

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الاخوان

الحث على اتحاذ الإخوان واختيارهم

- حدثنا سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا العجلي قال بعض الأدباء لابنه : يا بني ، إذا دخلت المصر فاستكثر من الصديق فأما العدو فلا تهتك به ، وإياك والخطب فإنها مشوار كثير العثار .^(١)

- قال : وبلغني عن الأوزاعي عن يحيى بن كثير : أن داود النبي عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : " يا بني ، لا تستبدل بأخ لك قديم أخا مستفاداً ما استقام لك ، ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد ، ولا تستكثر أن يكون لك ألف صديق " .

وكان يقال : أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفيره منهم .

وفي الحديث المرفوع : " المرء كثير بأخيه " . وأنشد ابن الأعرابي :
لعمرك ما مال الفتى بنخيرة * ولكن إخوان الثقات الذخائر

(١) هكذا في لسان العرب مادة « شور » والمشوار : الشوط . وفي الأمل : « مشوا » .

قال أبو الجراح العقيلي : وجدت أعراض الدنيا وذخائرها بعرض المتالف
إلا ذخيرة الأدب وعقيلة الخلّة ، فاستكثروا من الإخوان واستعصموا بعرا الأدب

وكان يقال : الرجل بلا إخوان كاليمين بلا شمال . وقال الشاعر :

إذا لم يكن للقوم عزٌّ ولم يكن * لهم رجلٌ عند الإمام مَكِينُ

فكانوا كأيدٍ أو هنَّ الله بطشها * تُرى أشملاً ليستَ لمن يمينُ

قال أيوب السخيتاني : إذا بلغني موتُ أخٍ لي فكأنما سقطَ عضوٌ مني^(١)

وقال القطامي^(٢) :

وإذا يُصيبُك - والحوادثُ جمّةٌ - * حثّتْ حدّاك إلى أخيك الأوثق

وقال آخر^(٣) :

أخاك أخاك إن من لا أخا له * كساجٍ إلى الميِّتِ بغيرِ سلاح

وإن ابنَ عمِّ المرءِ فأعلمَ جناحه * وهل ينهضُ البازي بغيرِ جناح

وقال التقيّ :

من كان ذا عضدٍ يُدركُ ظِلّامتهُ * إن الدليلَ الذي ليستَ له عضدُ

تنبو يدهُ إذا ما قلَّ ناصرهُ * ويأنفُ الضمُّ إن أثرى له عددُ

وقال آخر :

وبغضاءِ التقيّ أقلُّ ضييراً * وأسلمُ من مودةِ ذي الفُسوقِ

ولن تنفكُ تحسداً أو تعادى * فاكثراً ما استطعتَ من الصديقِ

(١) في الأصل : « إذ كأنما » (٢) بفتح القاف وضما وهـ :

ابن شبيب التليّ من بني جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت في ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وا
أصابك الخ . وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

طرقت جنوب رحالتنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب الملقى

(٣) هو مسكين الهادي راسمه ربيعة بن عامر (أنظر نزهة الأدب لبلندادى طبع بولاق ج ١ ص ٦٦) ؛

وكتب الفضل بن سيار الى الفضل بن سهل :

يا أبا العباس إني ناصح * لك والنصح لدى الود الكبير^(١)
لا تُسَلِّق ليوم صالح * إن إخوانك في الخير كثير
وليكن للشر ما أعددتهم * إن يوم الشر صعب قطير
هذه السوق التي آملها * يا أبا العباس والعمر قصير

قال المأمون : الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه، وطبقة كاللدواء لا يُحتاج إليه إلا أحيانا، وطبقة كاللحاء لا يحتاج إليه أبدا .

قال حدثني سعيد بن سليمان قال حدثنا إسماعيل بن زكريا عن سعيد بن طريف
عن عمير بن المأمون قال : سمعت الحسن بن علي يقول : من أدام الاختلاف الى
المسجد أصاب ثمان خصال : آية محكمة، وأخا مستفادا، وعلما مستطرفا، ورحمة
مُنْتَظَرَة، وكلمة تُكَلَّمُ على هدى أو تَرَدُّعُه عن ردى، وترك الذنوب حياة أو خشيّة .
قال وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال : كان يقال : صاحب رُقعة
في قبص الرجل ، فليظُر أحدكم يم يرقع قميصه .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه أنه قال : كان يقال : ما وجدنا شيئا
أبلغ في خير أو شر من صاحب .

وحدثني الرياشي عن الأصمعي قال حدثنا سليمان بن المغيرة قال : قال يونس :
أثنان ما في الأرض أقل منهما ولا يزدادان إلا قلة : دهم يوضع في حق ، وأخ
يُسَكَّنُ إليه في الله .

(١) في الأصل : «... لدى الود الكبير» بالواو المثلثة: روى الذي بعده : «إن إخوانك في الخير كثير»
بالباء المعجمة، فوضعت كلا من الكلمتين مكان الأخرى لاستقامة الكلام .

وحدثني شيخ لنا عن محمد بن مُنَافِر عن سفيان بن عُيينة قال : قال علقمة
ابن لييد العطاردي لابنه : يا بني ، إذا تَزَعَّكَ إلى صحبة الرجال حاجة ، فاصحب
منهم مَنْ إن حَبَّتْ زانك ، وإن خَدَمَتْه صانك ، وإن أَصَابَتْكَ خَصَاصَةٌ مانك ؛
وإن قَلَّتْ صِلَتُكَ قولك ، وإن صَلَّتْ شَدَّ صَوْلُكَ ؛ وإن مَدَدَتْ يَدَكَ بفضيل مَدَّها ،
وإن رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَثَا ؛ وإن سَأَلَتْهُ أَعْطَاكَ ، وإن سَكَتَ عَنْهُ أَبْتَدَاكَ ،
وإن نَزَلَتْ بِكَ إِحْدَى الْمَلَمَّاتِ آسَاكَ ؛ مَنْ لَا يَأْتِيكَ مِنْهُ الْبَوَائِقُ ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْكَ
مِنْهُ الطَّرَائِقُ ، وَلَا يَحْذُلُكَ عِنْدَ الْحَقَائِقِ ؛ وإن حَاوَلَ حَوْلًا آمَرَكَ ^(١) ، وإن تَنَازَعْتَا
مُتَفَسِّسًا ^(٢) آثَرَكَ .

قال محمد بن كعب القرظي ^(٣) لعمر بن عبد العزيز : إنَّ فَيْكَ عَقْلًا وَإِنَّ فَيْكَ
جَهْلًا ، فَدَاوِ بَعْضَ مَا فَيْكَ بَبَعْضٍ ، وَأَخِجْ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ كَانَ ذَا مَعْلَاةٍ ^(٤) فِي الدِّينِ
وَنِيَّةٍ فِي الْحَقِّ ، وَلَا تُؤَاخِجْ مِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ مِثْلُكَ عَنْدهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ إِلَيْكَ ، فَإِذَا
قَضَى حَاجَتَهُ مِنْكَ ذَهَبَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ . وَإِذَا غَرَمْتَ غِرَاسًا مِنَ الْمَعْرُوفِ
فَلَا تَبْغِيَنَّ أَنْ تُحْسِنَ تَرْبِيَّتَهُ ^(٥) .

وقال الأحنف بن قيس : خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِنْ اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ
فِي الْمَوَدَّةِ ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصْكَ مِنْهَا ، وَإِنْ عَثَرْتَ عَصَدَكَ ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ
إِلَى مُؤَوِّدَتِهِ رَفَدَكَ . وقال الشاعر :

إِنَّا خَالَكُ الصُّلُقِ مَنْ لَنْ يَخْدَعَكَ * وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ زَمَانٍ صَدَعَكَ * شَتَّ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ
* وَإِنْ رَأَاكَ ظَالِمًا سَعَى مَعَكَ *

٢٠ (١) حاول الشيء : أراده ، والحويل : الاسم منه ، وآمر : شارر . (٢) المفس :
الغيس . (٣) في الأصل « القرصي » وهو تحريف . (٤) المعلاة : الطلوال والشرف .
(٥) في الأصل : « فلا تبغين » .

وقال حُجَّة بن المضَرَّب :

أخوك الذي إن تدَّعه لِمَلِيَّةٍ * يُجَبِّكَ وإن تَقَضَّبَ إلى السَّيْفِ يَفْضِبُ

وكتب رجلٌ إلى صديق له : أنت كما قال أَعشى بِاهِلَةٍ :

مَنْ ليس في خيره مَنْ يُفْسِدَهُ * على الصَّدِيقِ ولا في صفوه كَدْرٌ
وليس فيه إذا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ * وليس فيه إذا بَايَسْتَهُ عَمَلٌ

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

أخوك الذي إن أَحْوَجَكَ مِلَّةٌ * من الدهرِ لم يَرَحْ لها الدهرَ وإِجَا
وليس أخوك الحقُّ مَنْ إن تَشَعَّبَتْ * عليك أمورٌ ظَلَّ يلحَاكَ لَأَمَّا

وقال آخر :

إذا كان إخوانُ الرجالِ حرارةً * فانتَ الحلالُ الحلوُّ والباردُ العذبُ
لنا جانبٌ منه دَمِيتٌ وجانبٌ * إذا رامه الأعداءُ مَرَكِبُهُ صَغْبُ
وتأخذه عند المكارمِ هِزَّةٌ * كما اهترَّحت البارجُ الفُصْنُ الرطبُ

وقال آخر :

أَبْكَى أَخَا يَتَقَانِي بَنَائِلِهِ * قَبْلَ السُّؤَالِ ويلقَى السَّيْفَ مِنْ دُونِي
إِن المَنَايَا أَصَابَتْني مَصَائِبُهَا * فاستعَجَلْتُ بِأَخٍ قد كان يَكْفِينِي

١٥

وقرأت في كتاب للهند : رأسُ المودَّةِ الاسْتِرْسَالُ .

وقال أكرمُ بنُ صَيْفِي : مَنْ تراخى تَأَلَّفَ، ومن تشدَّدَ تَفَرَّ، والشرفُ التناقلُ .

وقال حاتمٌ : العاقلُ فُطِنٌ مُتَغافلٌ .

وقرأتُ في كتاب للهند : مِنْ علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً^(١)
ولعلّ صديقه عدواً . قال العنّابي في ذلك :

أَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ زَعُمَ أَنِّي * صَدِيقُكَ، إِنِ الرَّأْيَ عَنْكَ لَعَارِِبُ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّيَ رَأَى عَيْنَهُ * وَلَكِنْ أَخِي مَنْ صَدَّقَهُ الْمَغَائِبُ

قيل لَبُرْدُ جِهْرٍ : أَخُوكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ صَدِيقُكَ ؟ قال : إِنَّمَا أَحِبُّ أَخِي
إِذَا كَانَ صَدِيقًا .

وقال بعضهم : إِن أَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ، مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عَلَيَّ .
وقال رجل في أخ له .

وَكُنْتُ إِذَا الشَّلَاةُ أَرْهَقْتَنِي * يَقُومُ لَهَا وَأَقْعُدُ لَا أَقُومُ

وقال آخر :

أَخٌ طَالَمَا مَسَّرَنِي ذِكْرُهُ * فَاصْبَحْتُ أَشْجَى لَدَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ * فَاصْبَحْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ
وَكُنْتُ أَرَانِي غَنِيًّا بِهِ * عَنِ النَّاسِ لَوْ مَدَّ فِي عَمْرِهِ
إِذَا جَشُّهُ طَالِبًا حَاجَةً * فَأَمْرِي يُخَوِّزُ عَلَى أَمْرِهِ

وصف أعرابي رجلاً قال : كَانَ وَاللَّهِ يَتَحَسَّى مَرَارَ الْإِخْوَانِ وَيَسْقِيهِمْ عَذْبُهُ .^(٢)

وقال أعرابي :

أَخٌ لَكَ مَا تَرَاهُ التَّهَمَرُ إِلَّا * عَلَى الْعِلَالِ بَسَامًا جَوَادًا^(٣)

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٧ وهو الصواب ، وفي الأصل : « ولعلّ عدوه عدواً » .

(٢) في الأصل « إِنَّ أَحَبَّ إِخْوَانِي إِلَيَّ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ إِلَيَّ » . (٣) كذا بالأصل ، ولم نجد هذه

الصيغة في كتب اللغة التي بين أيدينا ، ولعله يحذف عن « مرّة » المقابل للغيب ، وهو ما يقتضيه السياق .

(٤) هذه الأبيات نسبت في الأغاني لزيد الأعجم (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) . (٥) هو من

قولهم : على علامه ، أي على كل حال .

سألناه الجزيل فما تَلَكَّا * وأعطى فوق مُنِينَا وزادَا
فأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدْنَا * فأحسنَ ثم عُدْتُ له فعادَا
مِرَارًا لا أعودُ إليه إلَّا * تبسمَ ضاحكًا وثنى الوسادَا

المودة بالتشاكل

- بلغني عن ابن عيينة أنه قال: قال ابن عباس: القربة تُقطعُ والمعروفُ يُكفرُ، ولم يُرَ كَتَابُ القلوبِ .

قال رجل للعريضة: جئتكَ أخطبُ إليك مودتك؛ فقال: لا حاجة بك إلى الخطبة، قد جاءتك زنا فهو الله وأحل . وقال الكيث بن معروف:

- ما أنا بالنكيس الذي ولا الذي * إذا صد عنه ذو المودة يُقربُ
واكنه إن دام دمت وإن يكن * له مذهبٌ عني فلي عنه مذهبُ
آلٍ إن خيرَ الودِّ ودُّ تطوَّعت * به النفس لا ودُّ أتى وهو مُتعبُ

وقال الطائي:

- ذو الودِّ مني وذو القربى بمنزلة * وإخوتي أسرةٌ عندي وإخواني
عصابةٌ جاورتْ آدابهم أدبِي * فهم وإن فُرقوا في الأرض جيرانِي
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وغدت * أبداننا شِامًا أو خراسانِي

وقال عبد الله بن عبد الله بن عتبة لعمر بن عبد العزيز:

أين لي فكُنْ مثلي أو أبْتَغِ صاحبًا * كمثلك إني مُبتَغِ صاحبًا مثلي

(١) في الأصل: «جاوزت» بالزاي، والتصويب من ديوان أبي تمام . (٢) في الأصل:

«لشام» والتصويب من ديوان أبي تمام .

عزيرٌ إخواني، لا يتأل مودتي * من القوم إلا مسلمٌ كاملُ العقل
وما يلبثُ الإخوانُ أن يتفرقوا ، إذا لم يُؤَاف روحُ شكل إلى شكلٍ

وقال الطائي :

ولن تنظمَ العقدَ الكتابُ لزينة * كما ينظمُ الشملَ الشتيتَ الشمائِلُ
كتب بعضُ الكتابِ إلى صديقٍ له : إني صادفتُ منك جوهرَ نفسي ، فانا
غيرُ محمودٍ على الاتقياد لك بغيرِ زمامٍ ، لأن النفسَ يتبع بعضها بعضاً .

قال حدثني محمد بن داود قال حدثنا يزيد بن خلف عن يعقوب بن كعب عن
بقيّة عن صفوان بن عمرو عن شريح عن أبي عبيد قال : كتب أبو الدرداء إلى
سلمان : إن تكن الدارُ من الدارِ بعيدةً فإنَّ الروحَ من الروحِ قريبٌ ، وطيرُ السماءِ
على إلفه من الأرضِ يَقَعُ . ١٠

وقال أبو العتاهية :

يُقاسُ المرءُ بالمرءِ * إذا ما هو ماشأه
ولِلقلبِ على القلبِ * دليلٌ حينَ يلقاهُ
ولِلشكلِ على الشكلِ * مقاييسُ وأشباهُ
وفي العينِ غنىٌ للعينِ * أن سَطَقَ أفواهُ ١٠

وقال المساحي :

يُرْهَدُنِي فِي وَكْدِكَ أَبْنُ مُسَاحِي * مَوْدَّتُكَ الْإِرْدَالُ دُونَ دَوَى الْفَضْلِ
وَأَتَّ شَرَارَ النَّاسِ سَادُوا خِيَارَهُمْ * زِمَانُكَ، إِنَّ الرَّدْلَ لِلزَّمَنِ الرَّدْلِ

باب المحبة

قال حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن زيد عن حبيب بن عبيد عن المقدم بن معديكر، وكان أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمُهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ» .

- وحدثني محمد بن داود عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن ليث عن مجاهد قال : ثلاثٌ يُصِفِينَ لَكَ وَدَّ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ إِذَا لَقَيْتَهُ ، وَتُوسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ . وثلاثٌ مِنَ الْعِيَةِ : أَنْ تَعِيبَ عَلَى النَّاسِ مَا تَأْتِي ، وَأَنْ تَرَى مِنَ النَّاسِ مَا يَخْفَى عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَنْ تُؤْذِيَ جَلِيسَكَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ .

- ١٠ . وكان يقال : لَا يَكُنْ حُبَّكَ كَلْفًا وَلَا بُغْضُكَ تَلْفًا . أَيْ لَا تُسْرِفْ فِي حُبِّكَ وَبُغْضِكَ . ونحوه قولُ الحسن : أَحْبِرْهُنَّ فَإِنَّ أَقْوَامًا أَفْرَطُوا فِي حُبِّ قَوْمٍ فَهَلَكُوا . وكان يقال : مَنْ وَجَدَ دُونَ أَخِيهِ سِتْرًا فَلَا يَتَرَكْهُ .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى * فَصَادَفَ قَلْبًا فَارَاغًا فَنَمَكْنَا

- ١٥ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لطلبة الأسدئ : قُلْتُ عُمَاةُ بَنِي مُخَصِّنٍ ! لَا يُحِبُّكَ قَلْبِي ! قال : فعاشرةٌ جميلةٌ يا أمير المؤمنين ، فإنَّ الناسَ يتعاضرون على البغضاء .

وكتب رجلٌ إلى صديق له : الشوقُ اليك وإلى عهد أيامك — التي حَسَنَتْ بِكَ كَأَنَّمَا أَعْيَادٌ ، وَقَصُرَتْ بِكَ حَتَّى كَأَنَّمَا سَاعَاتٌ — يفوت الصفات ؛ وما جدد الشوقُ

وَكثُر دَوَائِيهِ تَصَاقُبُ الدَّارَ، وَقَرُبُ الْجَوَارِ: تَمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةَ الْمُتَجَدِّدَةَ فَيْكَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْفُرَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا .

قال الحسن : الْمُؤْمِنُ لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُغِيصُ وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ .

وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : إِنَّهُ لَيَبْلُغُ مِنْ حَسَنِ شَفَاعَةِ الْمَحَبَةِ أَنَّ الْحَبِيبَ يُبْنَى، فَيُظَنُّ بِهِ الْفَلْطُ وَيُذْنَبُ فَيُحْتَجُّ لَهُ بِالنَّالَةِ، وَذَنْبُهُ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ وَلَا تَحْتَاجُ لَهُ فِي جَوَازِ الْعُقُولِ .

وفيه : كُلُّ ذَنْبٍ إِذَا شُئْتَ أَنْ تَنْسَاهُ نَسِيتَهُ وَإِنْ شُئْتَ أَنْ تَذْكُرَهُ ذَكَرْتَهُ ، فَلَيْسَ بِخَوْفٍ . وَلَيْسَ الصَّغِيرُ مِنَ الذَّنْبِ مَا صَغَرَهُ الْحَبُّ ، وَإِنَّمَا الصَّغِيرُ مَا صَغَرَهُ الْعُدْلُ . وَإِسْ الذَّنْبُ إِلَّا مَا [لَا] يَصْلُحُ مَعَهُ الْقَلْبُ وَلَا يَزَالُ حَاضِرًا الدَّهْرَ ، وَإِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَتَاجِ اللَّؤْمِ وَمِنْ نَصِيبِ الْمَعَانِدَةِ ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّ الْغَفْرَانَ يَتَغَمَّدُهُ وَالْحَرَمَةَ تَشْفَعُ فِيهِ .

وَكُتِبَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ فِي فِصْلِ مِنْ كِتَابٍ : لَسَانِي رَطْبٌ بِذِكْرِكَ، وَمَكَائِكَ مِنْ قَلْبِي مَعْمُورٌ بِمَحَبَّتِكَ . وَنَحْوُهُ قَوْلُ مَعْقِلٍ أَخِي أَبِي دُلْفٍ لِمُخَارِقٍ :
لَعَمْرِي لَوْ قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَعْيُنٌ : لَقَدْ سَخِنَتْ بِالْبَيْنِ مِنْكَ عَيُونُ
فَسِرُوا أَيْمٍ، وَقَفَّ عَلَيْكَ مَوَدَّتِي « مَكَائِكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ

وَقَالَ رَجُلٌ لِشَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ : وَاللَّهِ أَجَبْتُكَ ، قَالَ : وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَنْتَ لِي بِجَارٍ وَلَا أُنْجٍ وَلَا قَرَابَةَ ! يَرِيدُ أَنْ الْحَسَدَ مُوَكَّلٌ بِالْأَدْنَى فَلَا أَدْنَى .

(١) زِيَادَةُ بَقْتَضِيهَا الْمَقَامُ . (٢) فِي الْأَصْلِ : « وَاقَهُ مَا أَجَبَكَ » بِزِيَادَةِ « مَا » وَفِي الْمَقْدُودِ (ج ١ ص ٢٣٤) : « أَنِّي أَجَبْتُكَ » بِدُونِ نَسَمٍ ، وَنَسَبَ هَذَا الْقَوْلَ فِيهِ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ . (٣) وَلَا قَرَابَةَ : أَيْ وَلَا ذِي قَرَابَةٍ ، وَقَدْ أَنْكَرَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ اسْتِعْمَالَ قَرَابَةٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ بِدُونِ إِضَافَةٍ . وَتَقَعَبَهُ شَارِحُهُ بِأَنَّهُ اسْتِعْمَالُهُ بِدُونِ الْإِضَافَةِ جَائِزٌ وَوَرَدَ فِي نَصِيحِ الْكَلَامِ مِنْ تَرْوِشٍ .

قال رجل لشهر بن حوشب : إني لأحبك قال : ولم لا نحبني وأنا أخوك
في كتاب الله ووزرك على دين الله وموثق على غيرك ! قال بشار :
هل تعلمين وراء الحب مثلة * تدني اليك فإن الحب أقصاني

وقال غيره :

أحبك حبيب لي واحد * وحب لأنت أهل لنا
فأما الذي أنت أهل له * فحسن فضلت به من سواكا
وأما الذي في ضمير الحشا * فليست أرى الحسن حتى أراكا
وليس لي المرء في واحد * ولكن لك المن في ذا وذاكا

وقال المسيب بن علس :

وعين السخط تبصر كل عيب = وعين أخى الرضا عن ذاك تغمي

ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فليست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليله * ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقال بعض الخلفاء لرجل : إني لأبغضك ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يخرج

من فقد الحب المرأة . ولكن عدل وإنصاف . وقال شريح :

خذى العفو متى تستدبى مودتي ، ولا تطبق في سورتى حين أغضب
فإني رأيت الحب في الصدر والأذى = إذا اجتمعا لم يلبث الحب ينقب

وقال أعرابي : إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسن بالفروع ،

ولا يظهر الود السليم إلا من القلب المستقيم .

وقال آخر : من جمع لك مع المودة الصادقة رأيا حازما . فاجمع له مع المحبة
الحالصة طاعة لازمة .

قال اليزيدي : رأيت الخليل بن أحمد فوجدته قاعدا على طُنْفَسَةٍ^(١) ، فأوسع لي
فكرهت التضييق عليه ؛ فقال : إنه لا يضيق سَمُّ الخياط على متحابين ولا تَسْعُ الدنيا^(٢)
مُبَاغِضِينَ . وقال أبو زُبَيْدٍ للوليد بن عقبة :

مَنْ يَحْنُكَ الصَّفَاءُ أَوْ يَنْبَدُلُ * أَوْ يَزُلْ مَنْمَا تَزُولُ الظَّلَالُ
فَأَعْلَمَنْ أَنِّي أَخُوكَ أَخُو الْعَهْدِ * يَدِ حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
لَيْسَ بِحُلٍّ عَلَيْكَ مَنِّي بِمَالٍ * أَبَدًا مَا أَسْتَقِلُّ سَيْفًا حِمَالُ^(٣)
فَلَكَ النُّصْرُ بِاللَّسَانِ وَبِالْكَفِّ أَذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ
كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ الرَّجَالُ * غَيْرَ أَنَّ لَيْسَ لِلنَّايَا أَحْتِيَالُ

وقال المُنْخَلُّ البشكري :

وَأُحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي * وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

وذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّ الْقُلُوبَ وَالْأَلْسِنَ رِيضَتْ لَهُ ، فَمَا تُعْقِدُ
إِلَّا عَلَى وَدَّهِ ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ .

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ذَاتَ يَوْمٍ : وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشِيرَةٍ مِنْ أَهْلِ
الْعِرَاقِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ صَرَفَ الدِّينَارَ بِالْدَّرْهِمِ ؛ فَقَالَ أَبُو حَاضِرٍ : مَثَلْنَا وَمَثَلُكَ
كَأَنَّ الْأَعْنَى :

عُلِقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِقْتُ رَجُلًا * غَيْرِي وَعُلِقَ آخَرِي غَيْرَهَا الرَّجُلُ

(١) الطُنْفَسَةُ (مثلثة الطاء، والفاء) : البساط الذي له نعل رقيق . (٢) في الأصل :

«الوليد بن عتبة» بالهاء، وهو تحريف . وأبو زبيد هو المنذر بن حزمة الطائي كان جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام
إلا أنه لم يسلم ومات نصرانياً، وكان من المعترين وكان نديم الوليد بن عقبة (أنظر كتاب الشعر والشعراء .
تأليف) طبع ليدن ص ١٦٧ (٣) في حاسة البحري (طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩) : «ما أقل
نلاقاً» .

أحبك أهل العراق وأحبت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك
ابن مروان .

وقال عمر لأبي مریم السلولي : والله لا أُحبك حتى تُحب الأرض الدم ؛ قال :
فتمنني لذلك حقاً ؟ قال : لا ؛ قال : فلا ضير . وقال عمر أيضاً لرجل هم بطلاق
أمرأته : لم تطلقها ؟ قال : لا أُحبها ؛ قال : أو كل البيوت بُنيت على الحب !
وأين الرعاية والتدبُّم^(١) ! .

قال أعرابي :

أحبك حباً لو بُليت ببعضه * أصابك من وجدٍ على جنون^(٢)
لطيف مع الأحشاء أمانه * فسببت وأما ليله فأنين^(٣)

وكتب رجل إلى صديق له : الله يعلم أنني أُحبك لنفسك فوق محبتي لإيالك^{١٠}
لنفسى ، ولو أني خيرت بين أمرين : أحدهما لي وعليك والآخر لك وعلى ، لآثرت
المروءة وحسن الأحدثوة بإيثار حظك على حظي ؛ وإنني أُحب وأبغض لك ، وأوالي
وأعادي فيك .

وقال بعضهم : هونٌ فقد يهبط الحب فيقتل ويهبط الهم فيقتل ويهبط السرور^(٤)
فيقتل ؛ وينفتح القلب للسرور ، ويضيق وينضم للهم والحب .

وقالوا : العشق اسم لما فضل عن المحبة . وقال بعضهم : العشق مرض^(٥)
قلب ضَعَف . وقال بعض الشعراء :

فم على معشوقة لا يزيدُها * إليه بلاءُ السوءِ الاتحِبَّ

(١) التذم للصاحب : أن يحفظ ذممه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) السبت : السكون والراحة . (٣) هون : خفف وأرق ، وفي الأصل : «أهون» .

(٤) هو الأعشى كما في اللسان مادة «تم» ، ومعنى «تم» أكل وأجهز .

ما يجب للصديق على صديقه

حدثنا أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن
أبي إسحاق عن الحارث عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال النبي صلى
الله عليه وسلم : ^(١) «لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَصَالٌ سِتٌّ : يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهِ ، وَيُجِيبُهُ
إِذَا دَعَاهُ ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ ، وَيَحْضُرُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ ،
وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» .

قال حدثني شبابة قال حدثنا القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن هشام
ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«أَعِنِ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، إِنْ كَانَ مَظْلُومًا نَحْنُ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا نَحْنُ لَهُ
مِنْ نَفْسِهِ» .

وحدثني القومسي قال حدثنا أبو بكر الطبري عن عبد الله بن صالح عن معاوية
ابن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن بكير قال قال معاذ بن جبل : إِذَا أَخِيَتْ
أَخًا فَلَا تَمَّارِهِ وَلَا تُسَارِهِ وَلَا تَسَّالَ عَنْهُ ، فَعَسَى أَنْ تُوَافِقَ عَدُوًّا فَيُخَيِّرَكَ بَيْنَ أَيْنَ فِيهِ
فَيُفَرِّقَ بَيْنَكَ .

وقال التمر بن توكب في هذا المعنى :

جزى الله عنا حمزة بنه ^(٢) توفيل * جزاء مفضل ^(٣) بالأمانة كاذب

بما سألت عني الوشاة ليكذبوا * على وقد واليتها في النوائب

(١) في الجلاس الصغير : «سلم على المسلم ست بالمعروف : سلم عليه ...» : (٢) نسبة إلى
تومس (بضم القاف وفتح الميم ، وضبطه الصاغاني بكسر الميم وهو المشهور على الستم) صقع كبير بين نهران
وبلاد الجليل . (٣) لا تمَّاره : لا تجادله . ولا تسَّاره : لا تلاحه وتناصبه . (٤) في الأصل :
«حمزة ابن نوفل» والتصويب عن اللسان مادة «قل» . (٥) المغسل : من الإغفل ،
وهو الخيانة .

قال حدثني محمد بن داود [قال] حدثني سعد بن منصور عن جرير عن عبد الحميد عن عنبسة قال قال ابن سيرين : لا تُكْرِمُ أخاك بما يكره ، ولا تَحِلِّنْ كتاباً الى أمير حتى تعلم ما فيه .

وكان يقال : يُستحسنُ الصبرُ عن كلِّ أحدٍ إلا عن الصديق .
وقال بعضُ الشعراء :

إذا ضَيِّقْتَ أمراً ضاقَ جدّاً * وإن هَوَّنتَ ما قد عَزَّ هاناً
فلا تَهْلِكْ بشيءٍ فأتَ يأساً * فكم أمرٍ تَصْعَبُ ثم لا تَأْ
سأصبرُ عن رفيقٍ إن جفاني * على كلِّ الأذى إلا المَوَّاناً

وقال ابن المقفع : أُنْذِرْ لصديقك دَمَكَ ومالك ، ولمعرفتك رِفْلَكَ ومحضرك ،
وللعامةِ بِسْرَكَ وتحيُّنَكَ . وأعدوك عدلك ، وضنَّ يديك وعرضك عن كلِّ أحدٍ .

قال أبو اليقظان : وليَّ خالد بن عبد الله بن أبي بكره قضاء البصرة بفعل يُحايي ؛
فقليل له في ذلك ؛ فقال : وما خيرُ رجلٍ لا يَقْطَعُ لأخيه قِطْعَةً من دينه !

قالوا : وقَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على عجوزٍ ، فقال : " إنها كانت
تأتينا أيامَ خديجةَ ، وإن حسنَ العهد من الإيمان " .

قال إبراهيم النخعي : إن المعرفةَ لتَنفَعُ عند الأسدِ المصوِّرِ والكلبِ العقورِ
فكيف عند الكريمِ الحبيبِ ! . وقال الخليل بن أحمد :

وَقِيْتُ كلَّ صديقٍ ودَّني ثَمناً * إلا المؤمِّلَ دُولَاتِي وأيامِي

وقال عمر بن أبي ربيعة في مساعدة الصديق :
وَحِلُّ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ * إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتَمِعاً سَمِعاً

(١) في الكامل للبرد طبع أوروبا ص ١٩٢ ج ١ : «سأصبر من ... الخ» .

أطاف يَغِيَّةً قَنِيْتُ عنها * وقلتُ له أرى أمراً شديداً
أردتُ رشاده جُهْدِي فلما * أبى وعصى أتيناها جميعا

وقال بعض الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخ أشرب * وإن كانت مُعْتَقَةً عَقَاراً
وإن يأكل أبو فروخ آكل * وإن كانت خَنَانِيصاً صِغَاراً^(١)

وقال رجل من الأعراب لأخيه له : أما والله رب يوم كنتور الطاهي رَقَاصٍ
بشراره، قد رميتُ بنفسي في أجيج لميعة فأحتل منه ما أكره لما يُحِبُّ^(٢) .

وأنشد ابن الأعرابي :

أُغْمَضُ للصديق عن المساوي * مخافة أن أعيش بلا صديق

وقال كُثَيْبٌ :

ومن لا يُغْمَضُ عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يَمُتُّ وهو عَاتِبُ
ومن يتَّبِعْ جَاهِداً كلَّ عَثْرَةٍ * يَجِدْهَا ولا يَسْلَمْ له الدهرَ صَاحِبُ

وقال آخر :

إذا ما صديقي رأيتُ سوءَ فعله * ولم يكُ عما ساءني يُفْهِقُ
صَبَرْتُ على أشياء منه تَرِيئُنِي * مخافة أن أبقَ بغير صديق

ومن المشهور في هذا قولُ النابغة :

ولستَ بِمُسْتَبَقٍ أخاً لا تَلْمُزُهُ * على شَعْبٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

(١) الخنايص : جمع خنوص وهو ولد الخنزير . (٢) في الأصل : « لما يحب » بالياء

وكان يقال : مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلَّهُ . وَأَنْشَدَنِي الرَّيَّاشِيُّ :
إِقْبَلْ أَخَاكَ بِبَعْضِهِ * قَدْ يُقْبَلُ الْمَعْرُوفُ تَزَرًّا
وَأَقْبَلْ^(١) أَخَاكَ فَإِنَّهُ * إِنْ سَاءَ عَصْرًا سَرَّ عَصْرًا

ونحوه قول الآخر :

أَخْ لِي كَأَيَّامِ الْحَيَاةِ إِخَاؤُهُ * تَلَوُّنُ أَلْوَانَا عَلَى خُطُوبِهَا
إِذَا عِبْتُ مِنْهُ خَلَّةً فَهَجَرْتُهُ * دَعَتْنِي إِلَيْهِ خَلَّةٌ لَا أَعِيَهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

إَصْبِرْ إِذَا عَصَبَكَ الزَّمَانُ ، وَمَنْ * أَصْبِرْ عِنْدَ الزَّمَانِ مِنْ رَجُلِهِ
وَلَا تَهِنْ لِلصَّدِيقِ تَكْرِمُهُ^(٢) * نَفْسَكَ حَتَّى تُعَدَّ مِنْ خَوَلِهِ
يَحْمِلُ أُنْقَالَهُ عَلَيْكَ كَمَا * يَحْمِلُ أُنْقَالَهُ عَلَى بَحْمَلِهِ
وَلَسْتَ مُسْتَقْبِلًا أَخَاكَ لَا^(٣) * تَصْفَحْ عَمَّا يَكُونُ مِنْ زَلَلِهِ
لَيْسَ الْفَقِي بِالَّذِي يَحُولُ عَنِ الشَّهِيدِ وَيُؤَيِّ الصَّدِيقُ مِنْ قَبْلِهِ^(٤)

وقيل لخالد بن صفوان : أَيْ إِخْوَانُكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الَّذِي يَغْفِرُ زَلَلِي ،
وَيَقْبَلُ عَلَيَّ وَيَسُدُّ خَلِّي^(٥) .

وقال بشر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى * ظَلِمْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
وقال الخريزني لأبي دؤف :

تَمَلَّكَ إِنْ كُنْتَ ذَا إِرْيَاءٍ * مِنَ الْعَالَمِينَ لَشَيْخٍ وَصِيفٍ^(٦)

(١) كذا بالأصل ، ولعله : « وأقبل أخاك » من إنقلته الفثرة والصفح عنه . (٢) في حاشية

البحري : « ولا تهين للصديق تكريمه » . (٣) في الأصل : « فاصفح » . (٤) في الأصل : « القدي » .

(٥) اللال : الأعذار . (٦) كذا ورد بالأصل ، ولم نوقف إليه في مصدر آخر .

الإنصاف في المودة

كان يقال : لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

وقال جرير :

وإني لأستحي أن أرى له * على من الحق الذي لا يرى لي^(١)

وله أيضا :

إذا أنت لم تُصِف أخاك وجدته * على طرف الهجران إن كان يعقل^(٢)
ويركب حد السيف من أن تضيئه * إذا لم يكن عن شفرة السيف معذل^(٣)
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني * يمينك ، فأنظر أي كف تبذل^(٤)
وقال آخر :

يا صخر أخبرني ولست بـجُبري : وأخوك نافعك الذي لا يكذب^(٥)
هل في القضية أن إذا استغنيت * وأمنتم فانا البعيد الأجنب^(٦)
وإذا الشدائد بالشدائد مرة * أفتجيبكم فانا المحب الأقرب^(٧)
عجبا لـلك قضية وإقامتي * فيكم على تلك القضية أعجب^(٨)
ولـالك طيب البلاد ورعيها * ولي الثماد ورعيتهن المجذب^(٩)

(١) أستحي : آتف . (٢) نسب المؤلف هذا الشعر لجرير ، وفي الحاشية طبع أوربا ص ٥٠٣ .
ومما هذا التنصيص على شواهد الطنيس (طبع بولاق ص ٦٩٤) أنه لمن بن أوس المزني . (٣) في الأصل :
« يعدل » والتصويب عن حاشية البحري ، وفي حاشية أبي تمام : « مزحل » . (٤) قال في اللسان
مادة « حيس » : « هو لمن بن أحر الكافي رقيق : هو ليرة الباهل » . (٥) ورد هذا البيت
في اللسان مادة « حيس » وشواهد المعنى هكذا :

ولجندب سهل البلاد وعذيا * ولي الملاح وزنهن المجذب

ثم قال المعنى : « ويروي (ولـالك أف البلاد ورعيها) ، والمراد بالمال هنا الإبل ، وبالأف :
ما لم يربح من الثبت ، والرعى : المرعى » . وفي الأصل : « المالك » وهو تحريف . (٦) الثماد :
جمع ثمذ (بالفتح وبالتحريك) وهو الماء العليل الذي لا مادة له ، وفي الأصل : « ولي الثمار » بالراء ،
وهو تحريف .

وإذا تكونت كريمة أَدْعَى لها * وإذا يُحاس الحيس يدعى جندب^(١)
 هذا لعمركم الصغار بعينه * لا أم لي إن كان ذلك ولا أب
 وقال ابن عينة : مثل على كرم الله وجهه عن قول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
 بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) ، فقال : العدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضل .

وقال الشاعر :

صَبَّغْتُ أُمَيْةً فِي الدَّمَاءِ رِمَاحَنَا * وَطَوْتُ أُمَيْةً دُونَنَا دُنْيَاهَا
 ويقال : مَنْ سَنَّ سُنَّةً فَلْيَرْضَ أَنْ يُحَكَّمَ عَلَيْهَا ، وَمَنْ سَالَ مَسْئَلَةً فَلْيَرْضَ
 بِأَنْ يُعْطَى بِقَدْرِ بَنَلِهِ .

وقال أبو العتاهية :

إذا ما لم يكن لك حُسْنُ فَهْمٍ * أَسَأَتْ إِبْجَابَةً وَأَسَاتَ سَمْعًا
 وَأَسَتْ الْقَهْرَ مُتَسَمًا بِفَضْلِ * إذا ما ضُفَّتَ بِالْإِنْصَافِ ذَرْعًا
 وقال حماد بن عمار :

لَيْتَ شِعْرِي أَىَّ حَكَمٍ * قَدْ أَرَأَيْتُمْ تَحْكُمُونَا
 أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطٍ * بَيْنَ وَأَتَمَّ تَأْخُذُونَا

وقال آخر :

إذا كنتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ * وَيَجْهَلُ مِنْكَ الْحَقُّ فَالْتَرِكُ أَجْمَلُ
 وَفِي الْعَيْشِ مَنَاجَاةٌ وَفِي الْمَجَرِّ رَاحَةٌ * وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُؤَاتِيكَ مَرَحِلُ^(٢)

(١) الحيس : القروا الأفعى يدقان ويعبثان بجنا شديدا ثم يسقون ذلك كالتريد . وفي الأصل :

« وإذا يجاش الجيش » بالميم والثين ، وهو تحريف . (٢) المرحل : المكان

الذي يرحل إليه ، ويحصل أن يكون " مزل " بالواو بدل الراء ، والمزحل : المكان الذي
 ينتقل إليه .

وقال بشار :

إن كنت حاولت هواناً فما * هنت وما في الهون لي من مقام
في الناس أبدال ولي مرحل * عن متب ناء ومرعى وخام^(٢)
لا نائل منك ولا موعد * ولا رسول، فعليك السلام
وقال آخر :

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقاً * عليه لغيره وهو الرسول^(٤)
وقال أكم بن صيفي : أحق من يشركك في النعم شركائك في المكار .
أخذه دعييل فقال :

وإن أولى البرايا أن تؤاسيه * عند السرور لمن آسالك في الحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يالفهم في المنزل الخسين
وأشد ابن الأعرابي :

فإن آثرت بالود أهل بلادها * على نازح من أهلها لا ألوها
فلا يستوى من لا ترى غيرك * ومن هو نالٍ عندها لا يريها^(٦)
وقال رجل لبعض السلاطين : أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه ،
وأولاهم بالإنصاف من بسطت القدرة بين يديه ، فأستدتم ما أوتيت من النعم بتأديته
ما عليك من الحق .

قال المستهل بن الكيث لبني العباس :

إذا نحن خفنا في زمان عدوك * وخفناكم إن البلاء لراكد

- (١) أنظر الحاشية رقم ٢ بالصفحة السابقة . (٢) المرعى : نوحام : الذي لا ينجع كثرة لسوئه .
(٣) هو عبد الله بن مصعب الزبيري رئيسي عائد الكلب . قاله في عبد الله بن حسن بن حسن (انظر
الكامل للبرد طبع أوروبا ص ٣١) . (٤) كذا في الكامل . وفي الأصل : «لأهلها» .
(٥) (انظر القصد الفريد ج ١ ص ٢٢٧) فقد ورد فيه هذا البيت بعض مخالفة عما هنا .
(٦) الله : المزة من الإلزام ، والإلزام الزيارة غيا . ولا يريها : لا يفارقها ولا يتحول عنها .

مداراة الناس وحسن الخلق والحوار

قال حدثنا الحسين بن الحسن [قال] حدثنا عبد الله بن المبارك عن وهيب^(١) قال : جاء رجل الى وهب بن منبه فقال : إن الناس قد وقعوا فيا وقعوا فيه ، وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم ؛ فقال له وهب : لا تفعل ، فإنه لا بد للناس منك ولا بد لك منهم ؛ لهم إليك حوائج ، ولك إليهم حوائج ، ولكن كُنْ فيهم أصمَّ سميعاً ، وأعمى بصيراً ، وسكوتاً نطقاً .

قال وحدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن علي^(٢) ابن رباح قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أربع خلال^(٣) إن أعطيتن فلا يضرك ما عدل به عنك من الدنيا : حسنُ خَلِيقَةٍ ، وعَفَافُ طَعْمَةٍ ، وصدقُ حديثٍ ، وحِفْظُ أمانةٍ .

قال : وبلغني عن وكيع عن مسعر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن باباه قال : قال عبد الله بن مسعود : خالطوا الناس وزايلوهم^(٤) .

عن وكيع عن سفيان عن حبيب بن ميمون قال : قال صعصعة بن صوحان لابن أخيه : إذا لقيت المؤمن خالطه^(٥) ، وإذا لقيت الفاجر خالفه ، وديك فلا تكلمته . قال المسيح صلى الله عليه : «كُنْ وَسْطًا وَآمِشْ جَانِبًا» .

(١) في الأصل : « ضد » . (٢) كذا ضبطه في تهذيب التهذيب بالتصغير .

(٣) في الأصل : « رباح » . ليا ، المثناة ، والتصويب عن تهذيب التهذيب . (٤) الطعنة : وجه

الكسب طيباً أرغبنا . (٥) كذا في النهاية لابن الأثير . وزايلوهم : فارقوم . وفي الأصل :

« وزايلوهم » . (٦) كذا في العقد الفريد ، وفي الأصل : « خالطه » بالصاد ، وخالطه في العشرة :

صافاه . وهذا المعنى وإن صح على الجملة فالمخالطة في هذا المقام أنسب .

وروى أبو معاوية عن الأحوص بن حكيم عن أبي الزاهرية قال قال أبو الرداء : إِنَّا لَنَكْثِرُ فِي وَجْهِهِ أَقْوَامٌ وَإِنَّا لَنَلْعَنُهُمْ .

ودخل ليبدء العجل^(٢١) على عمر رضى الله عنه ، فقال له عمر : أَقَتَلْتَ زَيْدًا ؟ فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ قَتَلْتُ رَجُلًا يُسَمَّى زَيْدًا ، فَإِنْ يَكُنْ أَخَاكَ فَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِيَدِي وَلَمْ يُبَيِّنْ بِهِ ؛ ثُمَّ لَمْ يَرَّ مِنْ عَمْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ مَكْرُوهًا .

قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي : قُلْتُ لِأَبِي : لِمَ تَجْلِسُ إِلَى فُلَانٍ وَقَدْ عَرَفْتَ عِدَاوَتَهُ ؟ فَقَالَ : أَخِي ثَارًا وَأَقْدَحُ عَنْ وَدٍّ . وَقَالَ الْمَهَاجِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِلَابِيُّ : وَمَا لِي لَا أَقْصِي الْمَرْءَ مِنْ غَيْرِ بَغْضَةٍ * وَأَدْنِي أَخَا الْبَغْضَاءِ مِنِّي عَلَى عَمْدٍ لِيُحِلَّتْ وَدًّا بَعْدَ بَغْضَاءٍ أَوْ أَرَى * لَهُ مَصْرَعًا يُرِيدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ يُرِيدِي

وقال عقال بن شبة : كُنْتُ رَدِيفَ أَبِي ، فَلَقِيَهُ جَرِيرٌ عَلَى بَغْلٍ خِيَاهُ أَبِي وَالْطَفَّةُ ؛ فَلَمَّا مَضَى قُلْتُ : أَبَعَدَ مَا قَالَ لَنَا مَا قَالَ ! قَالَ : يَا بُنَيَّ ، أَفَأَسْعَ جَرَحِي ! . قال ابنُ الحنفية : قَدْ يُدْفَعُ بِاحْتِمَالٍ مَكْرُوهٍ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ .

قال الحسن : حُسْنُ السُّؤَالِ نَصْفُ الْعِلْمِ ، وَمُدَارَاةُ النَّاسِ نَصْفُ الْعَقْلِ ، وَالْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ نَصْفُ الْمُؤْنَةِ .

مدح ابنُ شهابٍ شاعراً فأعطاه ، وقال : مِنْ أَبْتَنَى الْخَيْرَ أَتَقَى الشَّرَّ .

(١) الكثر : ظهور الأسنان للضحك يقال : كآثره إذا ضحك في وجهه وبأسطه . وفي رواية

« وَإِنَّا لَنَلْعَنُهُمْ » بدل « نلعنهم » . (٢) لم نثر على هذا الاسم وقد راجعنا ترجمة زيد بن

الخطاب في كتاب الطبقات الكبير لابن سعد وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ، وفيهما أن زيدا كان يحمل راية المسلمين يوم البصرة وجعل يشتد بالراية ويتقدم بها في نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قتل . وقيل إن قاتله

الرحال بن عوفة كما قيل إنه أبو مريم الحنفي .

وفي الحديث المرفوع : «أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ» . وقال : إِنَّ
حَسَنَ الْخُلُقِ وَحُسْنَ الْجَوَارِ يُعْمَرَانِ الدِّيارَ ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ . وقال : مَنْ حَسَنَ
اللَّهُ خَلْقَهُ وَخَلَقَهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

قال الشاعر :

فَنَى إِذَا نَبَتْهُ لَمْ يَغْضَبِ * أبيضُ بَسَامٍ وَإِنْ لَمْ يَحْجَبِ
مُوَكَّلُ النَّفْسِ بِحِفْظِ الْغَيْبِ * أَقْصَى رَفِيقِهِ لَهُ كَلَّا جَنْبِ^(١)
وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْعَجَمِ : حُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ فَرِينِ ، وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثِ ،
وَالْتَوْفِيقُ خَيْرُ قَائِدِ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : مَا تُبَالِي الْمَرْأَةُ إِذَا نَزَلَتْ مِنْ بَيْتَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ
صَالِحِينَ إِلَّا تَقَرَّلَ مِنْ أَبِيهَا .

١٠

وقال جعفر بن محمد : حُسْنُ الْجَوَارِ عِمَارَةٌ لِلدَّارِ ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ مَرَّةٌ لِلْمَالِ .
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ثَلَاثَةٌ مِنْ قَرِيشٍ أَحْسَنُهَا أَخْلَاقًا وَأَصْبَحُهَا
وَجُوهَا وَأَشَدُّهَا حَيَاءً ، إِنْ حَدَّثُوكَ لَمْ يَكْذِبُوكَ ، وَإِنْ حَدَّثْتَهُمْ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ لَمْ يَكْذِبُوكَ :
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ . وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .
وقال يزيد بن الطَّرَفِيَّةَ :

١٥

وَأَبْيَضَ مِثْلَ السِّيفِ خَادِمٌ رُقِيَّةٌ * أَشْمُ تَرَى سِرْبًا لَهُ قَدْ تَقَدَّدَا^(٢)
كَرِيمٍ عَلَى عِلَاتِهِ لَوْ تَسُبُّهُ * لَقَدْ ذَاكَ رِسَالًا لَا تَرَاهُ مُرَبَّدَا^(٣)
يُحِبُّ بِلَيْبِهِ إِذَا مَا دَعَوْتَهُ * وَيَحْسِبُ مَا يُدْعَى لَهُ الدَّهْرَ أَرْشَدَا^(٤)

(١) لعله : « كالأقرب » ليستقيم المعنى . (٢) تقدد : تقطع وبلى . (٣) في الشعر والشعراء :

« غزاته » . (٤) مربد : متغير الوجه من الغضب . (٥) كذا بالأصل ، والأصل في هذه
الكلمة أن تضاف إلى ضمير المخاطب (انظر شرح الأشمعي في باب الألفية في باب الإضافة) .

وقرأت في كتاب للهند : مَنْ تَزَوَّدَ نَحْمًا بَلَقَتْهُ وَأَسَنَتْهُ : كَفُّ الْأَذَى ، وَحَسْنُ الْخُلُقِ ، وَجَانِبَةُ الرَّيْبِ ، وَالتَّهْلُ فِي الْعَمَلِ ، وَحَسْنُ الْأَدَبِ .

وقال المتزافر في مداراة القرابة :

أَلَا إِنَّمَا الْمَوْلَى كَعَظِيمِ جَبَرَتِهِ * فَلَا يَحْرِقُ الْمَوْلَى وَلَا جَابِرُ الْعَظِيمِ

وقال آخر في مداراة الناس :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ * إِذَا شِئْتُ لَا قِيَتُ أَمْرًا إِلَّا أَشَاكِلُهُ
خَامِقَتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ * وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ
وقال بشار :

خَلِيلِي إِنَّ الْعَمْرَ سَوْفَ يُفِيْقُ * وَإِنْ يَسَارَا فِي غَسَدٍ نَخْلِيْقُ
وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّيْمَانِ إِذَا صَحَا * صَحَوْتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّيْمَانُ أَمُوْقُ

التلاقي والزيارة

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا الفضل بن دكين عن طلحة بن عمر عن عطاء
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زُرْ غِيًّا تَزِدَّ حُبًّا » .

وقال الأصمعي : دخل حبيب بن سويد على جعفر بن سليمان بالمدينة ؛ فقال
جعفر : حبيب بن سويد وأد الصديق ، حَسَنَ التَّاءِ ، يَكْرَهُ الزِّيَارَةَ الْمُحِلَّةَ ، وَالْقَعْدَةَ
الْمُسَيَّةَ .

وقرأت في كتاب للهند : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تَرِيدُ فِي الْإِنْسِ وَالنَّحَةِ : الزِّيَارَةُ فِي الرَّحْلِ ،
وَالْمُؤَاكَلَةُ ، وَمَعْرِفَةُ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ .

وقال الطائي :

وَحَظُّكَ لَقِيَّةٌ فِي كُلِّ عَامٍ * مُوَافَقَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

(١) الرجل : منزل الرجل ومسكه وبيته ، يقال : دخلت على الرجل رحله أى منزله .

قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الصوف عن موسى بن يعقوب السدوسي عن أبي السنان عن عثمان بن أبي سودة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ يَطِيبَ وَطَابَ تَمَشَاكَ تَبَوَّأَتْ مِنْ الْجَنَّةِ مَنَازِلًا" .

كتب رجل الى صديق له : مَظْنًا ، أَعَزَّكَ اللهُ ، فِي قُرْبِ تَجَاوُرِنَا وَبُعْدِ تَرَاوُرِنَا .
ما قال الأول :

ما أَقْرَبَ الدَّارَ وَالْجَوَارَ وَمَا * أَبْعَدَ مَعَ قُرْبِنَا تَلَاقِنَا
وَكُلُّ غَفْلَةٍ مِنْكَ مَحْتَمَلَةٌ ، وَكُلُّ جَفْوَةٍ مَغْفُورَةٌ ، لِلشَّغْفِ بِكَ ، وَالشَّقَةِ بِحَسَنِ
نَيْتِكَ ، وَمَسَاخِذِ بَقُولِ أَبِي قَيْسٍ :
وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيُزِرُّهَا * وَتَعْتَلُّ عَنْ إِيْتَانِهِنَّ تَعْذُرُ
وقالت أعرابية :

فَلَا تَحْمَدُونِي فِي الزَّيَارَةِ إِنِّي * أَزُورُكُمْ إِذْ لَمْ أَجِدْ مُتَعَلِّلًا
وكتب رجل الى صديق له يستريه : طَالَ الْعَهْدُ بِالْاجْتِمَاعِ حَتَّى كِدْنَا نَتَنَاكُرُ
عِنْدَ التَّلَاقِ ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِلسَّرُورِ نِظَامًا ، وَلِلْأُنْسِ تَمَامًا ، وَجَعَلَ الْمَشَاهِدَ مُوَحِّشَةً
إِذْ خَلْتُ مِنْكَ .

وقال سهل بن هارون :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَطُولَ بَنَائِلُ * وَإِلَّا لِقَاءُ الْمَرْءِ ذِي الْخُلُقِ الْعَالِي

(١) هو أبو قيس بن الأسلت والأسلت ، لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم بن واثق الخ (أنظر الأغانى

ج ١٥ طبع بولاق) . (٢) كذا في خزانة الأدب البغدادى ج ٢ ص ٤٨ والأغانى ج ١٥

ص ١٦٦ طبع بولاق ، وفي الأصل «ويكرمها» بآيات النون وهي لغة رديئة .

وقال بشار :

تسقط الطير حيث تلتقط^(١) الحب وتغشى منازل الكرماء
قال رجل لصديق له : قد تصدبت للقائك غير مرة فلم يقض ذلك ، فقال له
الآنر : كل برأتية فانت تأتي عليه .

قال ابن الأعرابي :

وأري إلى الأرض التي من ورائكم * إترجني يوماً عليك الراجع

وقال آنر :

رأيت أخوا الدنيا وإن بات آمنة * على سفري سري به وهو لا يدري
تناقلت إلا عن يد أستفيدها * وزورة ذى ود أشد به أزي

وقال آنر :

١٠

أزور محمدا وإذا ألقينا : تكلمت الضائر في الصدور
فارجع لم الله ولم يلمني * وقد رضى الضمير عن الضمير
كان سفيان بن عيينة يقول : لا تعفروا الأقدام إلا إلى أقدارها ، وأنشد :
نضع الزيارة حيث لا يزرى بنا * شرف الملوك ولا تحجب الزور^(٢)
وكان يقال : امش ميلاً وعد مريضاً ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش
ثلاثة أميال وزر أخوا في الله .

١٥

وقال بعض المحدثين :

إنما شئت أن تقلّ فزرت متابعاً * وإن شئت أن ترداد حبا فزرت غيباً

(١) الذي في الأغاني في ترجمة بشار : « يَنْتَرُ الحَبَّ » . (٢) في الأصل : « يضع

الزاري » وهو مخوف .

قالت : قَبَّحَكَ اللهُ ! فكان ماذا ؟ قال :

وَأَنْتِ أَقْصَى النَّارِ عَيْنَ * غَدَاةِ الصُّبْحِ ^(١) وَأَخِي الظُّننُ

قال عمه : فهَلَا كَانَ ذَا قَبْلُ ! .

قال الشاعر ^(٢) :

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا ^(٣) * وَتَغِيبُ فِيهِ وَهوَ جُشْلُ ^(٤) أَنْفِمْ
فَكَانَهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ * وَكَانَهُ لَيْلٌ طَلِيها مُظْلَمٌ

وقال الطائي :

بَيْضَاءُ تَبْدُو فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي * نَوْرًا وَتَبْدُو فِي النَّهَارِ فَيُظْلِمُ
وصف أعرابي امرأة فقال : كَادَ النَّزَالُ يَكُونُهَا ، لَوْلَا مَا تَمَّ مِنْهَا وَنَقَصَ مِنْهُ .

قال ابن الأعرابي : الحلاوة في العينين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .

قال أعرابي يصف امرأة :

خُرَاجِيَّةُ الْأَطْرَافِ مُرِيَّةُ الْحَشَا * فَرَارِيَّةُ الْعَيْنَيْنِ طَائِيَّةُ الْقِيَمِ

كَانَ الْمُقَنَعُ الْكِندِيُّ ^(٥) مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ وَكَانَ يَتَقَنَّعُ لِأَنَّهُ كَانَ مَتَى سَفَرٌ لَقِيَ (أَيِ

أُصِيبَ بِعَيْنٍ) ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

١٥ (١) غداة الصبح : غداة الغارة . (٢) هو بكر بن الطلاح كما في أمال القائل (ج ١ ص ٢٢٧)

طبع دار الكتب المصرية (ونهاية الأرب (ج ٢ ص ٢١) وأشعار الحماسة (ص ٦٥ طبع أوربا) .

(٣) في نهاية الأرب وأشعار الحماسة : « فرعها » . (٤) جشل : كثير ملتف . وأسم : أسود .

وفي أشعار الحماسة : « وحف » وهو الكثير الحسن . (٥) اسمه محمد بن ظفر بن عمير ، والقنع

لقب غلب عليه ، كان أحسن الناس وجهاً وأقدم قامة وأكلمهم خلقاً ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة

وفي الظلمات والأحداج أملح من * حل العراق وحل الشام واليمن
جنية من نساء الإنس أحسن من * شميس النهار وبدر الليل لوقرنا

الحكم بن صخر الثقفي قال : خرجت حاجاً مُحْتَفِياً ، فلما كنت ببعض الطريق
أتيتني جاريتان من بنى عُقيل لم أر أحسن منهما وجوهاً ، ولا أظرف ألسنة ولا أكثر
علماً وأدباً ، فقصرتُ بهما يومى فكسوتُهما ، ثم حجبتُ من قابل ومعى اهلى ، وقد
أصابتنى علةٌ فنصَلُ لها خَصَابِي ، فلما صرتُ إلى ذلك الموضع فأنذا أنا بإحداهما ،
فدخلتُ حلي ، فسألتُ مسألة مُنْكِرٍ فقلتُ : فلانة ! قالت : يدى لك أبى وأمى !
تعرُفْنِي وأُنْكَرُكِ ؟ قلتُ : أنا الحكم بن صخر ، قالت : إني رأيتُك عاماً أوّل شاباً
سوقاً وأراك العامَ ملكاً شيخاً ، وفي دُونِ هذا يُنْكَرُ المرءُ صاحبه ؛ قلتُ : ما فعلتُ
أخْطَكَ ؟ قالت : تزوجها ابنُ عمِّ لها وخرج بها إلى تَجْدٍ فذلك حيث يقول :
إذا ما قفلنا نحو تَجْدٍ وأهلِهِ * فحسبي من الدنيا قُفُولٌ إلى تَجْدٍ
قلتُ : لو أدركتها لتزوجتها ؛ فقالت : ما يمتك من شقيقتها في حبسها ،
وتظيرتها في جمالها ؟ — تعنى نفسها — قلتُ : بمعنى من ذلك ما قال كثيرٌ :
إذا وصلتنا خُلةٌ كي تُزِيلُنَا * أَيْلُنَا وقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أوّلُ

- ١٥ (١) الظلمات : جمع ظلمة وهي المرأة في اليهودج ، ثم قيل اليهودج بلا امرأة ولزاة بلا هودج : ظلمة .
(٢) الأحداج : جمع حدج وهو من مراكب النساء يشبه المحفة . (٣) في الأصل : « فغضب » .
(٤) هذا الموضع يسمى « إمرة » بكسر أوله وتشديد ثانيه كما في جمع الأمثال الميداني (ج ٢ ص ٢٤ طبع يولاق) وفرائد الآكل (ج ٢ ص ٦٥ طبع بيروت) والقدى في سجع ما استسجم أنه موضع في ديار بنى عبس .
(٥) في المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢١١) وردت هذه العبارة هكذا : « وفي وقت دون ذلك
٢٠ ما تنكر المرأة صاحبها » وهو مثل لفظه في الميداني « في دون هذا ما تنكر المرأة صاحبها » وقد وردت هذه
القصة في جمع الأمثال مع اختلاف يسير . (٦) كذا في المحاسن والأضداد (ص ٢١١ طبع
أوربا) . وفي الأصل : « أضح » بإحاء المهملة وهو محزف عن « أضح » بالمجعة وهو من قرى
إيمامة كما في ياقوت . (٧) كذا في الأصل « وفي جمع الأمثال : « تزيلها » .

وقال آخر :

فدع العتاب فربَّ شرَّ هاج أوله العتابُ

وقال الجعدي :

وكان الخليل إذا راني * فعاتبه ثم لم يُعتب^(١)

هوى له وهوى قلبه * سوى وما ذاك بالأصوب

فإني جرى على صرمة * إذا ما القرينة لم تُصحب^(٢)

قال رجل لصديق له يعاتبه : ما أشكوك إلا إليك، ولا أستبطئك إلا لك،
ولا أستريدك إلا بك، فانا منتظر واحدة من آتئين : عتي تكون منك، أو عقي
الفتى عنك .

وقال آخر : قد حيت جانب الأمل فيك وقطعت الرجاء لك، وقد أسلمني
اليأس منك إلى العزاء عنك ، فإن نزعت من الآن فصمخ لا تريب فيه، وإن
تماديت فهجر لا وصل بعده .

وقال بعض الشعراء :

ولا خير في قربي لنفرك نفعها * ولا في صديق لا تزال تُعابيه

بخونك ذو القربي مرارا وربما * وفي لك عند الجهد من لا تُناسيه^{١٥}

وقال آخر وهو أوس بن حجر :

وقد أعتب ابن العم إن كان ظالما : وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلا

وكتب رجل إلى صديق له : الحال بيننا تحتل الدالة ، وتوجب الأنس والثقة ،

وتبسط اللسان بالاستراحة .

(١) أي لم يرضى ، من أعتب الرجل صاحبه إذا أراضاه . (٢) القرينة هنا : النفس ،
وأصبحت : اتقادت .

وكتب رجل آخر إلى صديق له : قد جعلك الله ممن يحتمل الدالة الكبيرة
لدى الحرمة البسيرة، ورفعك عن أن تبلغ استراحة المستريد بعنف الحمية .
والعرب تقول لمن عوتب فلم يعتب : « لك العنبي بأن لا رضىت^(١) » .

ونحوه قول بشر بن أبي خازم :

غَضِبْتَ تَمِّمُ أَنْ تُقَتِّلَ عَامِرٌ * يَوْمَ النَّسَارِ فَاعْتَبُوا بِالصِّلِمِ^(٢)

وقال أوس بن حارثة لأبيه : العتاب قبل العقاب . وهذا نحو قول الآخر :
ليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعدك بعد وعده .

وقال إياس بن معاوية : خرجت في سفر ومعى رجل من الأعراب، فلما كان
ببعض المناهل لقيه ابن عم له فتعاطفا وتعتبا وإلى جانبهما شيخ من الحلى، فقال لما
الشيخ : أنعماً عيشاً، إن المعاتبة تبعث التجنى، والتجنى يبعث المخاصمة، والمخاصمة
تبعث العداوة، ولا خير في شيء ثمرته العداوة، فقلت للشيخ : من أنت ؟ قال :
أنا ابن تجربة الدهر ومن بلا ثلوثه، فقلت له : ما أفادك الدهر ؟ قال : العلم به،
قلت : فإذا رأيت أحداً ؟ قال : أن يبقى المرء أهدوءاً حسنة بعده، قال : فلم أبرح
ذلك الماء حتى هلك الشيخ وصليت عليه .

وقال رجل لصديق له : أنا أبقى على مودتك من عارض بغيره وعتاب يقدح^(٣)
فيه، وأؤمل نائياً من رأيك يغني عن اقتضائك .

(١) أى أن إعطى إياك بقولك : لا رضىت، على وجه المراءى لا رضىت أبداً .

(٢) يوم النصار : ذكره أبو عبيدة فقال : محاذت أسد وضيء وغطفان فغزوا بنى عامر فقاتلهم قتالا

شديداً فضربت بنو تميم لقتل بنى عامر فجمعوا وحلفاءهم يوم الفجار فقتلوا طينا أشد ما قتلت عامرا يوم

النصار . والصيلم : السيف . (٣) لعله ذكر الضمير باعتبار أن مرجعه الرد .

وقرأت في كتاب العتّابي : ثابِتُنا إفاقتك من سكر غفلتك، وترقّبنا أنتباهك من وسن رقدتك، وصبرنا على تجزّع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأس من خيرك، وكشف لنا الصبر عن وجه الغليظ فيك، فما نحن قد عرفناك حقّ معرفتك في تعديك لطويل حقّ من غلط في اختيارك .

وقال الشاعر :

فأيهما يا ليل إن تفعل بنا * فأنحر مهجور وأول مُعتب

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب : يجب على المرءوس اذا تجاوز به الرئيس حقّ مرتبته بعمله ، وكان تفضيله إنما وقع له بخفته على القلب وعمله من الأدب ، أن يقابل ذلك بمثله إن كان مُحامياً على عمله ، وإلا فلن يؤمنَ عليه . معنى بيت شريح :

فإني رأيتُ الحبَّ في الصدر والأذى * اذا آجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهب

باب الوداع

قال حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا مسم حدثنا مسلم بن قتيبة عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد بن أمية عن نافع عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا ودّع رجلاً "أَسْتَوِدِعُ الله دينك وأمانتك وخواتم عملك وآخر عمرك" .

قال وحدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن أبي كعب الأزدي عن موسى بن ميسرة عن أنس بن مالك : أن رجلاً أتى النبي

(١) كذا في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني والخلاصة في أسماء الرجال لخروجي فيمن اسمه إبراهيم .

وفي الأصل : «إبراهيم بن عبد الرحمن عن زيد بن أمية» وهو تحريف . (٢) ذكر هذا الحديث في الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر فيه هذه الجملة الأخيرة .

صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريدُ سفراً غداً فقال " في حفظِ اللهِ وكِـيـه زودك اللهُ
التقوى وغفرَ ذنبَكَ ووجَّهَكَ للخيرِ حيثُ كنتَ " .

المعتمرُ عن إياس بن دَغَقِيل قال : رأيتُ الحسنَ ودَّع رجلاً وعيناه تَهْمِلان
وهو يقول :

وما الدهرُ إلا هكنا فاصْطَرِهْ . رَزِيْشَةُ مالٍ أو فِرَاقُ حبيبٍ

قال وودَّع رَنْبِلٌ صديقاً له وهو يقول :

ودَاعُكَ مثْلُ وداعِ الربيعِ * وفقدُكَ مثْلُ آفِئْدَةِ الدِّيمِ^(١)
عليكَ السَّلامُ فكمْ من وفاءٍ * تُفَارِقُهُ مِنْكَ أو من كَرَمٍ

وقال الطائي :

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدْهَا ، قَلَّما تَع . رِفُ فَقَدْما لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا

وقال جرير :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلامِ عَلَيْكُمْ * قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ لَوْنِ الْعُلْدِ
أو كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ . يَوْمُ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ
أو كُنْتُ أَرْهَبُ وَشَكَّ بَيْنَ عَاجِلٍ * لَقِنْتُ أو لَسَّالْتُ مَا لَمْ يُسَّالِ

وبلغني عن بكر المازني أنه قال : دخلتُ على الواثق حين أمر بجلي ، فقال لي :

ما أسمُكَ؟ فقلت : بكرٌ ، قال : مَنْ خَلَّفْتَ وَرَاعَكَ ، قلتُ : بُيَّةٌ^(٢) ، قال : ما قالت
عند وداعك؟ قلتُ : قالت :

إِذَا غَيَّبَتْ عَنَّا وَخَلَّفَتْنَا * فَإِنَّا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَمُّ

(١) الدِّيم : جمع ديمة وهي مطريدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٢) في الأصل : « قال » .

أَبَانَا فَلَارِمَتْ مِنْ عِنْدَنَا * فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ^(١)
أَبَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبِلَا * دُجِحْنِي وَتُقَطِّعْ مِنَّا الرَّحِمَ^(٢)

قال : فما قلتَ لها أنتَ ؟ قال : قلت ما قال جرير :

ثِقِ بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ * وَفِي عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

كان لَبْنِي عُقَيْلٌ عَبْدٌ رَضِيعٌ بِلَبَّانٍ بَعْضُهُمْ فَبَاعُوهُ ، فَقَالَ حِينَ شَخَّصَ بِهِ مَوَالِيَهُ

شِعْرًا :

أَشَوْقًا وَلَمَّا يُمَضُّ بِي غَيْرَ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ إِذَا سَارَ الْمَطِيُّ بِنَا شِعْرًا^(٣)

وقال مسلمُ بنُ الوليد :

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ عِنْدَ وَدَاعِهِ * لِكَالْفَمْدِ يَوْمَ الرُّوعِ زَايِلَهُ النَّصْلُ

فَإِنْ أَغَشَى قَوْمًا بَعْدَهُمْ وَأَزْوَرَهُمْ * فَكَالْوَحْشِ يُذْنِبُهَا مِنَ الْآتِسِ^(٤) الْخُلُ

وقال آخرُ عند توديعه :

عَجِبْتُ لِمَطْوِجِ النَّوَى مَنْ يُجِبُّهُ * وَتَدْنُو بَيْنَ لَا يُسْتَلْذُ لَهُ قُرْبُ

وقال آخر :

مَا لَتْ تُودَعْنِي وَالْقَلْبُ يَتَلَبَّاهُ * كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْفُصْنِ

ثُمَّ أَسْتَمَرَّتْ وَقَالَتْ وَهِيَ بَاكِئَةٌ * يَا لَيْتَ مَعْرِفَتِي إِبَالَكَ لَمْ تَكُنْ^(٥)

وقال آخرُ لرجل ودَّعه : بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نَكُفَّ مِنْ غَرْبِ الشُّؤُونِ ، وَنَسْتَعِينَ عَلَى

فُرْقَةِ الْوَحْشَةِ بِالْكُتُبِ ، فَإِنِهَا أَلْسُنُ نَاطِقَةٍ ، وَعَيُونُ رَاقِمَةٍ .

(١) يقال : مارمت من عند فلان أي ما برحت . (٢) الذي في اللسان مائدة « ضمير » :

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْخِ بَدَل « أَبَانَا » . وقال : وَضَمَرْتَهُ الْأَرْضُ : عَيْتَهُ إِتَابَهُ مَوْتَ أَوْ سَفَرَهُ .

(٣) الرواية المشهورة : أَشَوْقًا وَلَمْ يَمُضْ لِي غَيْرَ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ إِذَا خَبَّ الْمَطِيُّ بِشِعْرًا

(٤) الْآتِسُ : الْإِنْسُ . (٥) الْقُرْبُ : سَبِيلُ الدَّمْعِ ، وَالشُّؤُونُ : الدَّمْعُ .

وقال البُحرى :

اللهُ جَارُكَ فِي أَنْطِلَاقِكَ * تَلْقَاءَ شَامِكَ أَوْ عِرَاقِكَ
لَا تَعْدُلْنِي فِي مَسِيرِهِ * يَرَى يَوْمَ مِيرَتُ وَلَمْ أَلَيْكَ
إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا * لِلْبَيْنِ تَسْفِيحُ غَرْبَ مَا لَكَ
وَعَلِمْتُ مَا يَلْقَى الْمَوَدُّعُ عِنْدَ ضَمِّكَ وَأَعْتِنَاكَ^(١)
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا * وَخَرَجْتُ أَهْرَبُ مِنْ فِرَاقِكَ

الهدايا

قال حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا عمير بن عمران قال حدثنا الحارث بن عتبة
عن العلاء بن كثير عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تصالحوا
فإن المصالحة تذهب غل الصدور، وتهادوا فإن الهدية تذهب بالسَّخيمة"^(٢).

وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو أهديت لي ذراع^(٣) لقبلت، ولو دُعيت إلى كراع^(٤)
لأجبت".

وفي حديث آخر : "تهادوا تحابوا فإن الهدية تفتح الباب المصمت وتسل
سخيمة القلب"^(٥).

قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال : سمعتُ نافعاً يحدث
قال : كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنة .

(١) كذا في ديوان البُحرى . وفي الأصل : «تمك» . (٢) السخيمة : الضغينة والحقد .

(٣) كذا في الأصل والمجاسن والأنداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث في البخارى ج ٢ ص ١٥٤

هكذا : "ولو دُعيت إلى ذراع أكرع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع أكرع لقبلت" . (٤) الكراع

بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق .

وروى الزبير بن بكار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة
يجلس وعمرو بن عبد الله بن صفوان ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعث إلى
الحارث في كل يوم بقرية من ألبان إبله ، فاختلف ما بينهما فأتى عمرو أهله ^(١) فقال :
لا تبعثوا للحارث باللبن فإنه لا نأمن أن يرده علينا ؛ وأتاه الحارث إلى أهله فقال :
هل أتاكم اللبن ؟ قالوا : لا ؛ فلما راح الحارث بعمره قال : يا هذا لا تجمع علينا المجر ^(٢)
وحبس اللبن ؛ فقال : أما أذقت هذا فلا يحملها إليك غيرة ، فحملها من ردم بنى جمع ^(٣)
إلى أجياد ^(٤) .

وبعث النضر بن الحارث إلى صديق له يسكن عبادان بنعلين مخصوفتين وكتب
إليه : بعثت إليك بهما وأنا أعلم أن بك عنهما غنى ، ولكنني أحبت أن تعلم أنك
منى على ذكرى .

١٠

وقال بعض الشعراء :

إلى الهدية حلوة * كالسحر تجلب القلوباً
لذني البغيض من الهوى * حتى تُصبره قريباً
وتعيد مضطرب العدا * وة بعد نفوته حبيباً

أهدى رجلاً إلى صديق له عبداً أسوداً ؛ فكتب إليه : أما بعد ، فلو علمت
عددًا أقل من واحد أو لونا شراً من الأسود لبعثت به إلى . وهذا نظير قول الآخر

(١) زيادة بقية السياق . (٢) في الأصل : « فقال » . (٣) في الأصل :

« لا » . (٤) ردم بنى جمع : موضع بمكة سمي بذلك لوقعة كانت فيه بين بنى جمع بن عمرو

ومين محارب بن مهران فيه كثير من بنى جمع . (٥) أجياد : موضع بمكة ، على الصفا ، واختلف

في سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمي بذلك لأن تبعاً لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك .

(٦) عبادان (هتج العيينة وتشديد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبنا دجلة ساكنين في بحر فارس .

وقد سُئِلَ كم لك من الولد؟ قال : خيبتُ قليل، قيل : وكيف؟ فقال : لا أقل من واحد ولا أخبت من بنت .

أهدى رجلٌ الى بعض الأمراء هديةً ، فكتب اليه الأميرُ : قد قبلتها بالموقع ورددتها بالإبقاء .

وكان ابن عباس يقول : مَنْ أُهْدِيَتْ اليه هديةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ؛ فأهدى اليه صديقٌ ثياباً من ثياب مصر وعنده أقوامٌ فأمر برفعها ، فقال له رجل : ألم تُخبرنا أنَّ مَنْ أُهْدِيَتْ له هديةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكل ويُشربُ ويُشَمُّ ، فأما في ثياب مصر فلا ، وقال خلف الأحمر :

أناي أخٌ من غيبةٍ كان غابها * وكنتُ اذا ما غاب أنسُدُهُ رَجَاً
بفاء بمعروفٍ كثيرٍ فديته * كإدسٍ راعى السوء في حصنه الوطبا^(١)
فقلت له هل جِئْتَنِي بهديةً * فقال بنفسى قلت أتحِفُ بها الكلبا^(٢)
مى النفسُ لا أرى لها [من] بليَّةً^(٣) * ولا أتمنى أن رأيتُ لها قُرْباً
أهدى رجلٌ إلى صديقٍ له وكتب إليه : الأنسُ سهل سبيل الملاطفة ، فأهديتُ
هديةً من لا يُحْتَشِمُ ، إلى من لا يُقْتَمُ .

وحثنا أحمد بن الخطيب قال حثنا أبو سلمة عن حُبابة بنت عجلان عن أمها
أم حفص عن صفية بنت جرير عن أم حكيم بنت وداع الخزاعية قالت : قلت
للنبي صلى الله عليه وسلم : ما جزاء الغنى من الفقير؟ قال : ” النصيحة والدعاء ”

(١) نشده : نزهة وسأل عنه . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) تكملة بتضيها

قلت : يَكْرِهُ رُدُّ اللَّطْفِ ؟ قال : " ما أَقْبَحَهُ ، لو أُهْدِيَتْ إِلَى ذِرَاعٍ لَقِيلَتْ ، ولو دُعِيَتْ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجِبْتُ ، تَهَادَوْا فَإِنَّهُ يُضْعِفُ الْحُبَّ وَيَذْهَبُ بِفَوَائِلِ الْقُلُوبِ " .

وحدثني محمد بن سلام الجُمَحِيُّ قال حدثني خلاد بن يزيد الباهلي قال :
أُهِدِيَتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ في يومِ المِهْرَجَانِ هدايا وهو أمير العراق فصُفِّت بين يديه ؛ فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا :

كَأَنَّ شَمَامِيْسَ فِي بَيْعَةٍ • تَسْبَحُ فِي بَعْضِ عِيْدَاتِهَا
وَقَدْ حَضَرَتْ رَسْلَ المِهْرَجَا • نِ وَصَفُّوا كَرِيْمَ هَدِيَّاتِهَا
عُلُوْتُ بِرَأْسِي فَوْقَ الرُّؤُوسِ • فَأَشْخَصْتُهُ فَوْقَ هَامَاتِهَا ^(٢)
لَأَكْسِبَ صَاحِبَتِي صَحْفَةً • تَغِيْظُ بِهَا بَعْضَ جَارَاتِهَا ^(٣)

١٠ . فامر له بجام من ذهب ، ثم أقبل يفرق بين جلسائه تلك الهدايا ، وينشد :

لَا تَجْتَظَنُ بَدُنِيَا وَهِيَ مَقْبَلَةٌ • فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّبْذِيرُ وَالسَّرْفُ
فَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا • فَالْحَمْدُ مِنْهَا إِذَا مَا أُدْبِرَتْ خَلْفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السلطان الى بعض العمال يستهديه مهارةً من ناحية عمله . فكتب اليه العامل : أَمَا المِهَارَةُ فَإِنْ أَهْلَ عَمَلِنَا يَصُونُونَهَا صِيَانَةَ الْأَعْرَاضِ ،

١٥ . وَيَسْتَرُونَهَا سَتْرَ الْحُرْمِ ، وَيَسْمُونَهَا مَهْوَرِ الْعَقَائِلِ ؛ وَأَنَا مُسْتَخْلِصٌ لَكَ مِنْهَا مَا يَكُونُ زَيْنَ المَرِيطِ ^(٤) وَمُخْلَانِ الصَّدِيقِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) اللطف : اسم من لطفه بكذا اذا برّه . (٢) يضمف الحب : يضاعفه .

(٣) كذا في الشعر والشعراء . وفي الأصل : « فأشخصتها » والراس مذكر . (٤) كذا في الشعر

والشعراء . وفي الأصل « تغيب » : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهرا بالضم ، وهو رله

٢٠ . الفرس . (٦) المخلان : ما يوجب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه .

وقال بعضهم : الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير، فكلماً لطفت ودقت كان أبهى لها، واذا كانت من الكبير الى الصغير، فكلماً عظمت وجلت كان أوقع لها وأنجح .
وكتب أبو السمط :

بدولة جعفر حسن الزمان * لنا بك كل يوم مهرجان
ليوم المهرجان بك أخیال * وإشراق ونور يستبان
جعلت هديتي لك فيه وشياً * وخير الوشي ما نسج السان

أهدى حسام بن مصك الى قتادة نملًا رقيقة، فجعل قتادة يزنها بيده، وقال :
إنك تعرف تخفف عقل الرجل في صنف هديته .

وقال الشاعر :

سقى مجاجنا نوء الثريا * على ما كان من مجل ومطل
هم جمعوا النمل وأحزروها * وسدوا دونها باباً بقفل
فإن أهديت فاكهة وجدياً * وعشر دجاج بعثوا بنعل
ومسوا كبن طولها نراع * وعشر من ردي المقل^(١) حيل
فإن أهديت ذاك ليحملوني * على نعل فلدق الله رجل
أناس تائبون لهم رواء * تقيم سماؤهم من غيرويل
إذا أنتسبوا ففرع من قريش * ولكن الفعال فعال عكيل^(٢)

كتب رجل الى صديق له : لولا أن البضاعة قصرت بي عن بلوغ الهمة
لأتعبت المسابقين الى بك . وكرهت أن تطوى صحيفة البر، وليس لي فيها ذكر،

(١) المقل : ثمر الدوم، وحمل : جمع حيل، والحيل : رذال الشيء . (٢) تائبون :

متكبرون، وصف من اتبه . (٣) عكل : قبيلة فهم غارة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحق : عكل .

فبعثت إليك بالمتدأ بمُنه وبركته، والمختوم بعليه وراثته : جراب يُلْع، وجراب
أَشْنَان^(١) .

أهدى الطائي الى الحسن بن وهب قلماً وكتب اليه :

قد بعثنا إليك أكرمك الله * به بشئ فكن له ذاك قبول

لا تفسد الى ندى كفك الغد * مرولا نيلك الكثير الجزيل

وأغفر قلة الهدية مني * إن جهد المقل غير قليل

وبعث أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع بنعل وكتب معها :

نعل بعثت بها لتلبسها * تسعى بها قدم الى المجد

لو كان يمكن أن أشركها^(٢) * جلدي جعلت شراكها خدي

وقال بعض الشعراء في نحو ذلك :

أو ما رأيت الورد آتحفنا به * إتحاف من خطر الصديق بياله

لو كان يهدي لأمرئ ما لا يرى * يهدي لعظم فراقه وزباله

لرددت تحفته عليه وإن علت * عن ذاك وأسهدت بعض خصاله

وقال المهدي :

تفاحة من عند تفاحية * جاءت فماذا صنعت بالفؤاد

واقه ما أدري أبصرتها * يقظان أم أبصرتها في الرقاد

قال : وكتب بعض الهمل الى صديق له : إني تصفحت أحوال الأتباع الذين

يجب عليهم الهدايا الى السادة في مثل هذا اليوم والتأسي بهم في الإهداء ، وإن

قَصَرْتُ الحال عن قَدْرِكَ ، فرأيتني إن أهديت نفسي فهي ملك لك لا حظ فيها لغيرك ،

(١) الأشنان : نبات وهو أجناس كثيرة ، وكلها من الحمض ، وتصل به الجباب وغيرها .

(٢) أشركها : أجل فاشراكا ، والشراك : سير النمل على ظهر "تقدم" .

ورميت بطرفي الى كرائم مالي فوجدت أكثرها منك ، فكنت إن أهديت شيئا منه
كله يدي مالك إليك ومُنْفِق نفقتك عليك ؛ وفزعتُ الى ودني وشكري فوجدتهما
خالصين لك قديمين غير مستحدثين ، ورأيتُ إن أنا جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا
اليوم الجديد برا ولا أطفا . ولم أقس منزلة من شكرى بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر
مُقَصِّرا عن الحق ، وكانت النعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة ؛ ولم أسلك سبيلا أتمس
بها برا أعتد به أو أطفا أتوصل إليه ، إلا وجدت رضاك قد سبقني اليه ، فجعلتُ
الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك ؛ وقد قلت في ذلك :

إِنْ أَهَدِ نَفْسِي فَهِيَ مِنْ مِلْكِهِ * أَوْ أَهَدِ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ

لما قدم معاوية المدينة مُنْصَرِفا من مكة ، بعث إلى الحسن والحسين وعبد الله
ابن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان بن أمية يهدايا
من كسبي وطيب وصلايت من المال ، ثم قال لرسله : ليحفظ كل رجل منكم ما يرى
ويسمع من الرد . فلما خرج الرسل من عنده ، قال لمن حضر : إن شئتم أنبأناكم
بما يكون من القوم ؛ قالوا : أخبرنا يا أمير المؤمنين ؛ قال : أما الحسن فلهه يُبْسَل
نساءه شيئا من الطيب ويُنْهَب ما بقي من حصره ولا ينتظر غائبا . وأما الحسين
فببدا بأيتام من قُتِل مع أبيه بِصَفْن ، فإن بقي شيء تخربه الجزر وسقى به الابن .
وأما عبد الله بن جعفر فيقول : يا بديح ^(١) ! اقض به ديني ، فإن بقي شيء فأنفذ به
عدائي . وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء عدي بن كعب ، فإن بقي شيء آذخره
لنفسه ومان به عياله . وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسول وهو يسبح فلا ينتفت إليه
ثم يعاوده الرسول فيقول ابعض كفتاته : خذوا من رسول معاوية ما بعث به ، وصله
الله وجزاه خيرا ، لا ينتفت إليها وهي أعظم في عينه من أحد ، ثم ينصرف الى أهله

(١) بديح : اسم مول كان لبد الله بن جعفر .

فيعرضها على عينه ويقول: أرفعوا، لعل أن أعود بها على ابن هند يوما ما .
وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليل من كثير، وما كل رجل من قريش وصل إليه
هكذا، ردوا عليه؛ فإن رد قبلناها . فرجع رسله من عندهم بنحو مما قال معاوية؛
فقال معاوية: أنا ابن هند! أعلم بقريش من قريش .

قال يونس بن عبيد: أتيت ابن سيرين فلدعوت الجارية، فسمعت^(١) يقول:
قولوا له: إني نائم - يريد: سنام -؛ فقلت: معي خبيص؛ فقال: مكانك حتى
أخرج إليك .

قال رجل لأبي الدرداء: إن فلانا يُقرئك السلام؛ فقال: هدية حسنة
وتحمل خفيف .

وبعث رجل إلى جارية يقال لها «راح» راج، وكتب إليها:
قل لمن يملك الملو * لك وإن كان قد ملك
قد شربنا لك فأشربني * وبشنا إليك بك
أهدى رجل إلى عبيد بن الأخطل شاة مهزولة، فكتب إليه عبيد:
وهبت لنا يا أخا متقير، وعجّل وأكرمها أولا
عجوزا أضربها دهرها * وأترها الثل دار البلى

(١) الخبيص: نوع من الخلواء يصنع في الطاج، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها
صاحب كتاب الأطعمة فراجعها في نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٢ علوم معاشية .
(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر في الأغاني (ج ٣ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لشارب بن برد، وروى أنه
بعث به إلى قتي بن بنى منقرأه بحملة، وكان يبعث إلى شارب في كل عام بأضحية من الأضاحي التي كان أهل
البصرة يسمونها سنة وأكثر لأضاحي . فمر بكنه في بعض السنين أن يجريه على رصمه فأرسل إليه نعيمة
عبدية من نعايق عبد الله بن دارم وهو ناعج مرذول . فأرسل إليه بشار بهذه الأبيات . وقد وردت هذه
الفصيدة في الأغاني باختلاف في بعض الأبيات والكلمات عما هنا .

سَلَوْتُ حِسْبَتُ بَاكَ الرِّعَاءُ * سَقَوْهَا الْفَرِيقُونَ وَالْحَنَظَلَا^(٢)
 وَأَجْدَبَ مِنْ ثَوْرِ زَرَاعَةٍ * أَصَابَ عَلَى جَوْعِهِ سُبُلًا^(٣)
 وَأَزْهَدَ مِنْ جِيفَةٍ لَمْ تَدْعُ * لَهَا الشَّمْسُ مِنْ مَفْصِلٍ مَفْصِلًا^(٤)
 فَاهْوَتْ يَمْنَى إِلَى جَنْبِهَا * نَفَلْتُ حَرَاقِفَهَا جَنْدَلًا^(٥)
 وَاهْوَتْ يَسَارَى لِعُرْقُوبِهَا * نَفَلْتُ عَرَاقِبَهَا مَفْزَلًا
 قَلْتُ أَيْسَعَ فَلَا مَشْرَبًا * تُؤَدِّي إِلَى وَلَا مَأْكَلًا^(٦)
 أَمْ أَجْعَلُ مِنْ جِلْدِهَا حَنْبَلًا * فَأَقْذِرُ بِجَنْبِهَا حَنْبَلًا^(٧)
 إِذَا هِيَ مَرَّتْ عَلَى مَجْلِسٍ * مِنَ الْعُجْبِ كَبَرُ أَوْهَلًا
 رَأَوْا آيَةً خَلَفَهَا سَائِقُ * يَحْتِثُ وَإِنْ مَرُولَتْ مَرُولًا
 فَكُنْتُ أَمَرْتُ بِهَا صَخْمَةً * بِشَحِيمٍ وَلَحِيمٍ قَدْ اسْتَكْبَلَا
 وَلَكِنْ رَوْحًا عَدَا طَوْرَهُ * وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ يَفْعَلَا
 فَضَّضَ الَّذِي خَانَنِي حَاجَتِي * بِأَسْتِ أَنَّهُ بَطَّرَهَا الْأَغْرَلَا^(٨)
 فَلَوْلَا مَكَائِكَ خَضَعْتُهَا * وَعَلَقْتُ فِي جِلْدِهَا جُلُجَلًا
 بَغَاءَتِ لَكِيمًا تَرَى حَالَهَا * قَتَعْلَمَ أَنَّ بِهَا مُبْتَلَى
 سَأْتُكَ لَهَا لِصَبِيَانَا * فَقَدْ زِدْتَنِي فِيهِمْ عَيْلًا
 نَخَذُهَا وَأَنْتَ بِهَا مُحْسِنٌ * وَمَا زَاتَ بِي مُحْسِنًا مُجْجَلًا

- (١) سلوح : وصف من السلح ، وهو الطير والبهائم كالنورط للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان مجوزاً
 (٢) الفريقون : تريقان للسموم مفتح مسهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كالملاحة لموضع الملح .
 (٤) في الأصل : « من مفصل يفصلا » وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهي رأس
 الورك . (٦) كلما في الأغانى اعتماداً على بعض أصوله الخطية . وفي الأصل : « فلا مشترى »
 وهو تحريف . (٧) الحنبل : القرد . (٨) الأغزل : الذي لم يتجن .

وبعث رجل إلى دُعيل بأخيته، فكتب إليه :

بعثت إلى بأُخِيَّة * وكنت حريًا بأن تفعلًا

ولكنها خرجت غشَّة * كأنك أُرْعِيَهَا حَرَمًا^(١)

فإن قيل الله قُرْبَانُهَا * فسبحان ربك ما أعدَّ

قبل لرجل قديم من مكة : كيف أئمان النعال بمكة؟ قال : أئمان الجداء بالعراق .

وقال مُسلم بن الوليد :

جزى الله من أهدى التَّزَجُّجِ^(٢) نَحِيَّة * ومن بما يهوى عليه وعَجَلًا

ألقنا هدايا منه أشبهن رِيحَهُ * وأشبهه في الحسن الغزال المكطَّلًا

ولو أنه أهدى إلى وصاله * لكان إلى قلبي أَلَدُّ وأوصلا

وكتب رجل إلى صديق له شرب دواء :

تأتى في الهدية كل قوم * إليك غداة شريك للدواء

فلما أن هممتُ به مُدَلًّا * لموضع حُرْمَتِي بك والإخاء

رأيت كثير ما أهدى قليلًا * لبعبك فأقتصرْتُ على الدعاء

وكتب رجل إلى صديق له : وجدتُ الموتة مُنْقِطَةً ما كانت الحِشْمَةُ عليها

متسلَّطة ، وليس يُزِيلُ سلطانَ الحِشْمَةِ إلا المؤانسةُ ، ولا تقع المؤانسةُ إلا بالبرِّ^(٣) والملاطفة .

العيادة

قال حنشا يزيد بن عمرو قال حنشا يزيد بن هارون قال حنشا شريك عن

أبي نُصَيْرٍ عن أنس بن مالك ، قال : عاد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلا من

(١) الحرمل : حب نبات كالسهم يمتنع عن الأكلة ، ولا يأكله إلا الهزى ، وقد يدارى به المصوم .

(٢) الجداء : جمع جدى . (٣) التزجج : تمر شجر بيتاني من جنس البيون ناعم الورق والحطب .

الأنصار من رَمِدٍ كان بعينه . ومن حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :
 "ثلاثة لا يُعَادُونَ صاحبُ الدَّمَلِ والرمد والضرس" .

وحدثني القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهاني عن إسماعيل بن عياش عن
 أُرْطَاة بن المنذر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

قال الشعبي : عيادة التَّوَكِّي أشدَّ على المريض من وجعه .

ثيان عن أبي هديّة عن أبي هلال قال : قال بكر بن عبد الله لقوم عادوه
 فاطالوا عنده : المريض يُعاد، والصحيح يُزار .

عاد قومٌ عليلاً فاطالوا عنده، فقال لهم : إن كان لكم في الدار حقٌ نفدوه
 وأنصروا .

عاد رجل رقبةً، ففنى رجالاً آكلوا مثل عِلَّته، فقال له رقبة : إذا دخلت على
 مريض فلا تتع إلى الموتى، وإذا خرجت من عندنا فلا تعد إلينا .

عاد أعرابيٌ أعرابياً فقال : بأبي أنت ! بلغني أنك مريض، فضاقوا الله على
 الأمر المريض، وأردت إتيانك فلم يكن بي نهوض ؛ فلما حملتني رجلاً، وليس
 بمحملان ؛ أتيتك بمرزبةٍ شيوخ ما مستها عرنيين قط، فأشمتها وأذكر نَجْدًا، فهو الشفاء
 بإذن الله .

قال كُثَيْب :

ألا تلك عِزَّةٌ قد أقبلت * تقلُّ للبين طَرْفًا غَضِيضًا
 تقول مَرِيضٌ وما عُدَّتْنا * فقلتُ لها لا أُطِيقُ النهوضا
 كَلانًا مَرِيضَانِ في بلدةٍ * وكيف يعود مريضٌ مريضًا

وقال آنر^(١):

إذا مَرَضْنَا أَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ * وَتُكْنِبُونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَنَعْتِزُّ

وقال بشار:

لو كانت الفدية مقبولة * لقلتُ بي لا بك حُماكا

وكتب آخر إلى عليل:

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مَعْتَلٌّ فَقُلْتُ لِمَ * نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْزُورٍ

يَا لَيْتَ عَتَهُ بِي غَيْرَ أَنْتَ لَهُ * أَجْرَ الْعَلِيلِ وَأَنْتَ غَيْرُ مَاجُورٍ

وكتب آخر إلى عليل:

أَقُولُ بِمَحَقٍّ وَاجِبٍ لَكَ لَا زِمَ * وَإِخْلَاصٍ شَكْرٍ لَا يَفْتِرُهُ الدُّهْرُ

بِي السَّوْءِ وَالْمَكْرُوهِ لَا بِكَ كَلِّمَا * أَرَادَاكَ كَانَا بِي وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

١٠

وقال آخر في مثله:

فَإِنْ تَكُ حُمَى الْقَبِّ شَقَّكَ وَرُدُّهَا^(٢) * فَمُعْبَاكَ مِنْهَا أَنْ يَطْوَلَ لَكَ الْعَمْرُ

وَقَيْنَاكَ! لَوْ تُعْطَى الْمُنَى فَيَكُ وَالْمَوَى * لَكَانَ بِي الشَّكْوَى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

وفي الحديث المرفوع "حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرَضَكُمْ بِالصَّدَقَةِ،

وَأَسْتَقْبِلُوا الْبَلَايَا بِالْإِسَاءَةِ". وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه:

١٥ "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ صَائِماً؟" قال عمر: أنا، قال: "فَمَنْ شَبَّحَ جَنَازَةً؟" قال عمر: أنا؛

قال: "فَمَنْ عَادَ مَرِيضاً؟" قال عمر: أنا؛ قال: "فَمَنْ فَيَكُمُ تَصَلَّقَ بِصَدَقَةٍ؟" قال

عمر: أنا؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ". وفي حديث

(١) هو المؤمل بن أسيد (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعه أول). (٢) حمى القب: ٢٠

التي تنوب المريض يوماً بعد يوم. (٣) الورد من أسماء الحمى وقيل: هو يومها الذي تأخذ فيه صاحبها.

آخر: أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إتمام عيادتكم المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على رأسه أو يده في يده ويسأله كيف هو، وتتمام تحياتكم المصافحة".

وقال الشاعر:

إن كنت في ترك العيادة تاركًا * حطى فاني في الداء بالجاهد
فربما ترك العيادة مُشْفِقٌ * وأتى على غلّ الضمير الحاسد

أبو حاتم قال حدثنا العتيبي عن أبيه قال: كان يقال: إذا أشتكى الرجل ثم عوفي ولم يُحدث خيراً ولم يكف عن سوء، لقيت الملائكة بعضها بعضاً وقالت: إن فلاناً داوينا فلم ينفعه الدواء.

وقال أبو حاتم حدثنا القحطاني قال: ^(١)أطلع معاوية في بئر الأبراء ^(٢)فاصابته لقوة، فاعتم بهامة سوداء وسد لها على الشق الذي أصيب فيه، ثم أذن للناس فقال: أيها الناس، إن ابن آدم بعرض بلاء: إما مُعَاتَبٌ يُعْتَب، وإما مُعَاقَبٌ بذنب، أو مبتلى ليُجَرَّ، فإن عُوِّبْتُ فقد عُوِّب الصالحون قبلي، وإني لأرجو أن أكون منهم؛ وإن عُوِّبْتُ فقد عُوِّب الخطأون قبلي، وما آمن أن أكون منهم؛ وإن مَرِضَ عضو مني فما أُحْصِيَ صحيحي ولما عُوِّبْتُ أكثر، ولو أن أمري إلى ما كان لي على ربي أكثر مما أعطاني. وإن كنت عاتباً على خاص منكم فاني حبيب على جماعتكم، أحب صلاحكم. وقد أُصِبتُ بما ترون، فرحم الله أمراً دعا لي بعافية! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء.

(١) أطلع: أشرف. (٢) الأبراء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجلفة ما

يل المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل: الأبراء: جبل عن يمين آرة وبين الطريق للصمد إلى مكة.

(٣) القوة (بالفتح): داء يصيب الوجه يسوج منه الشدق إلى أحد جانبي الشق.

مَرِيضٌ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ مَرَضَةً، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ وَأَبْطَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ:
مَا يُطِئُ بِكَ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَتَاهِرَكَ؛ قَالَ: أَنْتَ مُعَافٍ وَأَنَا مَبْتَلَى، فَالْعَافِيَةُ
لَا تَدْعُكَ تَسَهَّرَ وَالْمَرَضُ لَا يَدْعُنِي أَنَا، فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسُوقَ إِلَى أَهْلِ الْعَافِيَةِ الشُّكْرَ،
وَالِى أَهْلِ الْبَلَاءِ الصَّبْرَ وَالْأَجْرَ.

- حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْحَمِيِّ قَالَ: اشْتَكَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، بِفَعْلٍ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ؟ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ
قَالَ: كَمَا قُلْتُ لَصَاحِبِكَ.

- قال: وَقَعَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَوْنِثَ رِجْلَاهُ، بِفَعْلٍ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ
وَيَسْأَلُونَهُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ وَأَعْجَبُوا كِتَابَ قِصَّتِهِ فِي رُقْعَةٍ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ [عَائِدٌ]^(٢)
وَسَأَلَهُ دَفَعَ إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ.

١٠

- الْمَيْمُونُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مَجْهُودًا لَا يَقْصِدُ فِي شَيْءٍ^(٣)
إِلَّا أَنْصَرَفَ عَنْهُ، فَغَابَ مَرَّةً فَاطَالَ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَاهُ النَّاسُ بِفَعْلٍو يَسْأَلُونَهُ عَنْ
حَالِهِ وَمَا كَانَ فِيهِ، وَكَانَ فِيهِ بَرٌّ، فَأَخَذَ رُقْعَةً فَكَتَبَ فِيهَا:

- وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْفَلَاةِ * مِنَ الْمَشْرِقِيِّينَ إِلَى الْمَغْرِبِيِّينَ
وَأَطْوَى الْفَيَاقِ أَرْضًا فَارِضًا * وَأَسْتَمْطِرُ الْجَدَى وَالْفَرْقَدَيْنِ
وَأَطْوَى وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْمَمُومِ * إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِمُحْفَى حَنِينِ

١٥

(١) وثبتت رجليه أريده: أصابها رهن لا يبلغ أن يكون كسرا. (٢) زيادة يقتضها السياق.
(٣) المجهود: هو الذي نكد عبثه. وفي الأصل «مجدود» بالهال، والمجدود: المحظوظ،
والسياق يأباه.

فَقِيراً وَقِيراً أَخَا عُسْرَةٍ * بَعِيداً مِنَ الْخَيْرِ صِفَرِ الْيَدَيْنِ
كَثِيبَ الصَّدِيقِ بَيْحِ الْعَدُوِّ * طَوِيلَ الشَّقَا زَانِي الْوَالِدَيْنِ
وطرحها في مجلسه، فكل من سأله عن حاله دفع إليه الرقعة .

قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه أن نبطياً وقع من موضع طلي، فدخلوا يسألونه :
كيف وقعت ؟ فلما أكتروا عليه أخذ جرة وألقاها من يده وقال : هكنا وقعت .
أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أُحْدَبُ فسقط في بئر فذهبت حَدْبَتُهُ
فصار آدر^(٢)، فدخلوا يسألونه ويهشونه بذهاب حَدْبَتِهِ ، فجعل يقول : الذي جاء
شر من الذي ذهب .

الملائني قال : سقط ابن سُبْرمة القاضي عن دابته فوثقت رجله، فدخل يحيى
ابن نوفل الحميري عليه فقال : ١٠

أقول غداة أتاني الخبير * فدنس أحاديثه المهينة^(٣)
لك الويل من مخبر ما تقول ؟ * ابن لي وعد عن الجمجمة^(٤)
فقال خرجت وقاضي القضا * مشقة رجله مؤلمة
فقلت وضاعت على البلاد * وخفت المجللة المعظمة
فغزوان حر وأم الوليد * إن الله عافى أبا سُبْرمة
جزاء لمعروفه عندنا، * وما عتق عبده أو أمه ؟ ١٥

قال : وفي المجلس جار ليحيى بن نوفل يعرف منزله ، فلما خرج تبعه وقال :
يا أبا معمر، من غزوان وأم الوليد ؟ فضحك وقال : أو ما تعرفهما ؟ هما سَئوران
في البيت .

٢٠ (١) الوير : القليل المهان . (٢) الآدر : المصاب بانفخاخ في إحدى خصيتيه .
(٣) المهينة : الصوت الخفى . (٤) الجمجمة : عدم الإجابة في الكلام .

قال حدثنا الرياشي عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدقيش وهو شاك ،
فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجْدُنِي أجْدُ ما لا أشتي وأشتي ما لا أجْدُ ،
ولقد أصبحت في شر زمانٍ وشر أناس : مَنْ جاد لم يجِدْ ومن وجد لم يجِدْ .

قيل : لعمر بن العاص وقد مَرِضَ مرةً : كيف تجدك ؟ قال أجْدُنِي أذوب
ولا أثوب ، وأجْدُ نَجْوَى أَكْثَرِ مَنْ رُزِيَ ، فابقاء الشيخ على هذا ! .

سئل طليل عن حاله فقال : أنا مُبِلٌ غير مُسْتَقِلٍّ ، ومَتَائِلٌ غير متَحَامِلٍ .

وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال أجْدُنِي لم أرض حياتي لموت .

وقيل لرجل من العجم : ما حالك ؟ قال : ما حال مَنْ يريد سفرًا طويلاً
بلا زادٍ ! وينزل منزلاً موحشاً بلا أنيس ! ويقدم على جبار قد قتم العذرا بلا حجة ! .

قيل لِعِكْرِمَةَ : كيف حالك ؟ قال : بشرٌ ، أصبحت أجربَ مبسورا .^(٢)

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قيل لشيخ من العباد : كيف أنت ، وكيف
أحوالك ؟ فقال : ماكلها كما أشتي .

قيل لآخر : ما تشكى ؟ قال : تمام العِدة وأنقضاء المدة .

وبلغني عن معاوية بن قُوزة قال : مَرِضَ أبو الدرداء ، فعاده صديق له فقال :

أى شيء تشكى ؟ قال : ذُنُوبِي ؛ قال : فأى شيء تشكى ؟ قال : الجنة ؛ قال :
فندعوك بالطيب ؟ قال : هو أمرضني .

سئل رجل عن حاله فقال :

كنا اذا نحن أردنا لم نجِدْ * حتى اذا نحن وجدنا لم نُرِدْ

(١) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط ، والزه : ما يتأله الانسان من الطعام .

(٢) مبسورا : به داء البواسير .

أَرْجَفَ النَّاسُ بَعْلَةَ مَعَاوِيَةَ وَضَعِفَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، فَأَخَذَ مَعَاوِيَةَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مَصْقَلُ :

أَبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيئِكَ مِثْلَ جَنْدَلَةِ الْمَرَاكِمْ
قَدْ رَامَنِي الْأَقْوَامُ قَبْلَكَ فَأَمْتَمْتُ مِنَ الْمَظَالِمِ

٥ فقال مَصْقَلَةُ : أَمَّا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : « أَبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيئِكَ » ، فَقَدْ أَبْقَى اللَّهُ مِنْكَ جَبَلًا رَاسِيًّا وَكَلًّا مَرِيحًا لَصْدِيقِكَ وَسَمًّا نَاقِعًا لَعْدُوكَ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : « قَدْ رَامَنِي الْأَقْوَامُ قَبْلَكَ » ، فَمِنْ ذَا يَوْمِكَ أَوْ يَظَالِمُكَ ! فَقَدْ كَانَ النَّاسُ مُشْرِكِينَ فَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ سَيِّدَهُمْ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مُسْلِمِينَ وَأَصْبَحَتِ أَمِيرَهُمْ ؛ فَأَعْطَاهُ مَعَاوِيَةُ نَخْرَجَ ؛ فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَنَعْمَزَنِي غَمَزَةً كَادَ يَكْبِرُ مِنْهَا يَدِي وَأَنْتُمْ تَرْعَمُونَهُ مَرِيضًا .

١٠ وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : دَخَلَ كَثِيرٌ عَزَّةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْلَا أَنْتَ سُرُورُكَ لَا يَتِمُّ بَانَ تَسْلَمَ وَأَسْقَمَ لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرِفَ مَا بَكَ إِلَيَّ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَافِيَةَ وَلِي فِي كَفِّكَ النِّعْمَةَ ؛ فَضَحِكَ وَأَمْرًا بِهِ بِمَالٍ ؛ فَقَالَ :

وَنَعُودُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا * لَيْتَ التَّشَكَّى كَانَ بِالْعَوَادِ
لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِدْيَةٌ لِفَدْيَتِهِ * بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتِلَادِي

١٥

وقال آخر :

لَا تَشْكُونَ دَهْرًا صَحَّحَتْ بِهِ * إِنَّ الْغِنَى فِي صَحَّةِ الْجَسْمِ
هَبَكَ الْخَلِيفَةُ ، كُنْتَ مَشْفَعًا * بِلِنَادَةِ الدُّنْيَا مَعَ السُّقْمِ ؟

اعتَلَّ الْمُسَوِّرُ بِخَافِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعُودُهُ نَصَفَ النَّهَارِ؛ فَقَالَ الْمُسَوِّرُ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ هَلَّا سَاعَةً غَيْرَ هَذِهِ! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ أَحَبَّ السَّاعَاتِ إِلَيَّ أَنْ أُؤَدِّيَ فِيهَا الْحَقَّ أَشَقُّهَا عَلَيَّ.

وكتب رجل إلى صديق له: كيف أنت؟ بنفسى أنت! وكيف كنت؟ لازلت! وكيف قوتك ونشاطك؟ لا عِدَمَتَهُمَا وَلَا عِدَمَتَنَا هُمَا مِنْكَ، وَأَعَادَكَ اللَّهُ إِلَى أَحْسَنِ مَا عَوْدَكَ! لَوْلَا عَوَائِقُ يُوجِبُ الْعَذْرَ بِهَا تَفَضُّكَ لَمْ أَدْعُ تَعَرَّفَ خَبْرَكَ بِالْعَيْنِ، فَإِنَّمَا أَشْفَى لِلْقَلْبِ وَأَنْقَعَ لِلْغَلِيلِ وَأَشَدُّ تَسْكِينًا لِلْأَعْيُنِ الشُّوقِ.

وَقَرَأْتُ فِصْلًا فِي كِتَابٍ: لَنْ تَخْلُفْتُ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالْعَذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ لَمَّا أَغْلَى قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي لِحْصَا عَنْ خَبْرِكَ فِي مُسَاكٍ وَمُصْصَبِكَ وَتَقِلُّ الْحَالُ بِكَ تَبَعْتُ مَنْ تَقْسِمُ جَوَارِحَهُ وَصَبِكَ وَزَادَ فِي أَلْمِهَاءِ الْمَلِكِ وَمَنْ تَتَّصِلُ بِكَ أَحْوَالُهُ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ، وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ مَهْنَةً بِالْعَافِيَةِ غَيْرًا بِالْعَذْرِ، مَعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ إِرسالاً.

وقال عبد بن الحسحاس:

تَجْمَعُنْ مِنْ شَيْءٍ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعٌ * وَوَاحِدَةٌ حَتَّى بَلَغْتَ ثَمَانِيًا
سُلَيْمَى وَسَلَمَى وَالرَّابَّابُ وَزَيْنَبُ * وَهَنْدٌ وَدَعْدٌ وَالْمُنَى وَقَطَامِيَا
وَأَقْبَلْنَ مِنْ بَعْضِ الْخِيَامِ بَعْدَتِي * أَلَّا إِنْ بَعْضَ الْعَائِدَاتِ دَوَائِيَا

(١) أبو العباس: كنية عبد الله بن العباس. (٢) كذا ورد هذا المعنى بالأصل، ولم نوثق إليه في مصدر آخر سوى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) وورد فيه هكذا: «لَنْ تَخْلُفْتُ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالْعَذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ لَمَّا أَغْلَى قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي لِحْصَا عَنْ خَبْرِكَ يَجِبُ أَنْ تَقْسِمَ جَوَارِحَهُ وَصَبِكَ وَإِنْ زَادَ فِي أَلْمِهَاءِ الْمَلِكِ رَأَى تَتَّصِلُ بِهِ أَحْوَالُهُ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ». ولما بلغتنى إفاقتك كتبت مهنة بالعافية معفيا من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله. وظاهر أن رواية العقد أرفق من رواية الأصل غير أن فيها كلمة «يجب» نافية. ولعل أصل العبارة: وكيف بين يجب الخ أو نحو ذلك.

وقال عبد الله بن مُصعب الزُّبيري :

ما لي مَرِضْتُ فلم يَعُدَّنِي عَائِدٌ * منكم ويمرُضُ كلِّكم فاعودُ
فُسِّمِي «عائِدَ الكلب» ، ولأنَّه الآن يسمُّون «بني عائِد الكلب» .

التعازي وما يُمَثِّلُ به فيها

٥ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ غَسَّانِ بْنِ الْفَضْلِ قَالَ قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ : أَنَا نِي
أَبْنُ جَرِيحٍ بِمَكَّةَ يُعَزِّي نِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِي ، فَقَالَ : إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلْ أَهْلَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا
سَلَا كَمَا تَسْلُو الْبَهَائِمَ .

١٠ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى الْأَسْلَمِيُّ إِلَى الْمَهْدِيِّ يُعَزِّيهِ عَنْ أَبْنَتِهِ : أَمَا بَعْدُ ،
فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ عَرَفَ حَقَّ اللَّهِ فِيمَا أَخَذَ مِنْهُ مِنْ عَظَمِ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيمَا آتَى لَهُ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ هُوَ الْبَاقِي بَعْدَكَ ، وَأَنْ أَجْرَ الصَّابِرِينَ فِيمَا يُصَابُونَ بِهِ
أَعْظَمُ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ فِيمَا يُعَاقُونَ مِنْهُ .

ونحوه قول سهل بن هارون : التَّهَنُّةُ عَلَى أَجْلِ الثَّوَابِ ، أَوْلَى مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَى
عَاجِلِ الْمَصِيبَةِ .

وقال بعض الشعراء :

كَمْ مِنْ يَدٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا * لِلَّهِ فِي ظِلِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ

١٥ وَسَقَطَتْ مَقَادِيمُ فَمِ مَعَاوِيَةَ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعْمَرٍ السَّامِيُّ :
وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا بَلَغَ أَحَدٌ سِنِّكَ إِلَّا أَبْغَضَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، فَقُوكَ أَهْوَى عَلَيْنَا
مَنْ سَمِعَكَ وَبَصَرَكَ .

وقال صالح المُرِّي لرجل يعزّيه : إن لم تكن مصيبتك أحدثت في نفسك مَوْعِظَةً
فمصيبتك بنفسك أعظم . ونحوه : شر من المرزبة مسوء الخلف عنها . ومثله
قول الشاعر :

إن يكن ما به أُصِبتَ جليلاً * فَلَقَقْتُ العزاء فيه أجلاً
عزّى شَيْبُ بن شَيْبَةَ المَهْدِيَّ عن بانُوقة^(١) ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما عند الله
خير لها مما عندك ، وثواب الله خير لك منها .

عزّى رجلٌ عبدَ الله بن طاهر عن آبنته فقال : أيها الأمير ، تم تجزع ؟
* الموتُ أكرمُ نزالٍ على الحرِّمِ *

وقال جرير :

وأهونُ مَفْقُودٍ إذا الموتُ ناله * على المرءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّأَ

وقال آخر :

ولم أرَ نعمةً شَمِلَتْ كَرِيماً * كنعمته عورةٌ سُرَّتْ بِقَبْرِ
وعزّى رجلٌ رجلاً فقال : لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُنِيبُكها .

وقال لعمري بن عبد العزيز :

تَعَزَّرَ أميرَ المؤمنين فإنه * لِمَا قد ترى يُغْدِي الصَّغِيرُ وَيُولِدُ
هَلْ أَبْنُكَ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمِ * لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْمَنِيَةِ مَوْرِدُ

عزّى أبو بكر عمر رضى الله عنهما عن طفل أصيب به ، فقال : عوضك الله
منه ما عوضه منك .

وقال مجنود الوراق :

يُمَثِّلُ ذُو اللَّبِّ فِي نَفْسِهِ * مصائبه قبل أن تَنَزِلَا

(١) بانُوقة : بنت كانت للمهدي .

فإن تزلت بفتنة لم ترعه * لما كان في نفسه مثلاً
 رأى الهم يقضى إلى آخر * فصير آخره أولاً
 وذو الجهل يأمن أيامه * وينسى مصارع من قد خلا
 فإن بدته صروف الزمان * ببعض مصائبه أعولاً
 ولو قدم الخزم في أسره * لعلمه الصبر عند البلا

عزى موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر عن أبي له، فقال : أيسرك وهو
 بليّة وفتنة، ويحزنك وهو صلاة ورحمة ! .

وعزى رجل موسى بن المهدي عن أبي له فقال : كان لك من زينة الحياة
 الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

١٠ توفي سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض
 عماله وأطلب في كتابه ؛ فكتب إليه عمر :

حسبي حياة الله من كل ميت * وحسبي بقاء الله من كل هالك^(١)
 إذا ما لقيت الله عني راضياً * فإن شفاء النفس فيما هنالك^(٢)

١٥ كتب ابن المبارك إلى الرشيد يعزّيه بآب له : أما بعد ، فإن استطعت أن يكون
 شكرك لله حين قبضه أكثر من شكرك له حين وهبه ، فإنه حين قبضه أحرز لك^(٣)
 هبته ، ولو سلم لم تسلم من فتنته ؛ أرايت حزتك على ذهابه وتلهفك لفراقه ! أراضيت
 النار لنفسك فترضاها لأبنك ! أما هو فقد خلص من الكدر ، وبقيت أنت معلقاً
 بالخطر . وأعلم أن المصيبة مصيبتان إن جزعّت ، وإنما هي واحدة إن صبرت ،
 فلا تجتمع الأمرين على نفسك .

٢٠ (١) دخله الخرم وهو حذف فاء فموز . (٢) كذا في الأصل ولله « يعزّيه عن ابن له » .
 (٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام .

كتب عبد الله بن طاهر إلى أبي دُلف : المصائب حالة لا بد منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفا بعبده ، وآية ذلك أن يوفقه للصبر ويُلهمه الرضا ويتسَطَّ أمله فيما عنده من الثواب الآجل والخلف العاجل . ومنها ما يكون سُخْطا وانتقاما ، أقله حُزن وأوسطه قنوط وآخره ندامة ، وهي المصيبة حقاً الجامعة لخسران الدنيا والآخرة . ولم ترل عادة الله عندك الإخلاف والإتلاف . وإن يك ما نالك الآن أعظم مما أتى عليك في مواضي الأيام ، فلا تجر المأمول على قدر ذلك .

وكتب أبو دُلف إليه : إن تكن المصيبة جلّت ، فإن فيما أكرمني الله به من جميل رأي الأمير وما وضح للناس من فضل عنايته وأبتدائه إياي بكتبه ، ما عجّل العوض من المفقود .

وفي كتاب آخر : لئن كانت المصيبة جلّت ، إن فيما أبقي الله بقاء الأمير عوضا وإياها وخلفا كافيا . وحقيق بن عظمى النعمة عليه فيما أبقي الله أن يحسن عزاءه عما أخذ منه . وأحق ما صير عليه ما لا يستطيع دفعه .

وقرأت في كتاب لبعض الكُتاب في تنزية : أسأل الله أن يسد بك ما نلت الأيام من مكانه ، ويعمر ما أخلت من مشاهدته وأوطانه حتى لا يحقوا البائس ، وأن يستقبل لكم أيامكم بأحسن ما أمضاها لمن مضى منكم ، فيجعلكم الخلف الذي لا وحشة معه ولا وحشة عليه ، ويتولاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليّه .

وقرأت في كتاب تنزية : لا لوم على دمعية لا تملك أن تسفحها ، ولا على ألم في القلب لا يدفع أن يظهر فيك ، ولا عذر في سواهما مما أحبط أجرك وأشمت عدوك وضعف رأيك ، ولم يرجع إليك فائتا ولا إلى شقيقك بمكانه روحا ولا إلى من خلف

(١) في الأصل : « ... وما وضح للناس فإن فضل عنايته وأبتدائه إياي ... »

حفظاً . واعلم أن فرقاً ما بين ذي العقل وذى الجهل في مصيبيهما تعجل الما قبل
من الصبر ما يتأجل الجاهل .

وقرأت في كتاب تعزية : لو كانت التوائب مدفوعة عن أحد بكثرة من يقية ذلك
من إخوانه ويقديه منه بالأخص من أعزته والأقرب من ماله ، سلمت من أليها ،
وكان سبقي الى ذلك أبرز سبق ، وحظي بالتقدم فيه أوفر حظ .

وقرأت في كتاب : مصيبتك لي مصيبة ، وما نالك من أليها لي موجد . ولو كان
في الوسع أن أعلم كنه ما خامر قلبك من أليها لملت مثله على نفسي ، فإني أحب أن
أكون أسوتك في كل سار وغم ، وألا أتمتع بأيام غموميك ، ولا أقصر فيها عن مقدار
حالك .

وقرأت في كتاب : نسال الله حسن الاستعداد لما تنوكته^(١) ونتوقع حلوله ،
والأيسر لنا بما يقل الانتفاع به وتعظم النعمة فيه عما نحتاج اليه يوم تجمد كل نفس
ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ،
وأن يجعل ما وهب لنا من الصبر والعزاء إيماناً وإيقاناً ، ولا يجعله دُؤلاً ونسياناً .
قال أسماء بن خارجة اذا قدمت المصيبة تركت التعزية ، واذا قدم الإخاء قبج
الثناء .

قيل لأعرابية مات أبناها : ما أحسن عزائك ! فقالت : إن قلدي إياه أمتني
من المصيبة بعده . ونحوه قول الشاعر^(٢) :
وكننت عليه أحذر الموت وحده * فلم يسبق لي شيء عليه أحذر

(١) تنوكته : تنوفته . (٢) هو أبو نواس الحسن بن هاني ، وهذا البيت من أبيات قالها
في عهد الأمين ، وقيل هذا البيت :

طوى الموت ما بيني وبين محمد * وليس لما طوى المنية ناصر

ومثله :

وقد كنتُ أَسْتَعْفِي الإلهَ إِذَا اشْتَكَيْ * مِنْ الأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سُرْنِي الأَجْرُ

وقال أبو العتاهية :

وَكَمَا تَبَسَّلَى وَجْوهُ فِي النَّزَى * فَكُنَّا يَسْلَى عَلَيْنِ الْحَزَنُ

وفي الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا ^(١) يُصِبْ مِنْهُ".

ويقال : المصيبة الموجعة تُلْزِذُكَ اللهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ .

قال الأصمعي : مررتُ بأعرابيةٍ وَهِنَ يَدَيِهَا فَتًى فِي السَّيَاقِ ^(٢)، ثُمَّ رَجَعْتُ وَرَأَيْتُ

فِي يَدَيِهَا قَدَحَ سَوِيْقٍ تُشْرِبُهُ ، فَقُلْتُ لَهَا : مَا فَعَلَ الشَّابُّ ؟ فَقَالَتْ : وَارِثَاهُ ؛

فَقُلْتُ : فَا هَذَا السَّوِيْقُ ؟ فَقَالَتْ :

عَلَى كُلِّ حَالٍ يَا كُلَّ الْقَوْمِ زَادَهُمْ * عَلَى الْبُؤْسِ وَالْبَلَوَى وَفِي الْحَدَثَانِ

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ حَزَنُكَ الْيَوْمَ عَلَى وَلَدِكَ ؟ فَقَالَ : مَا تَرَكَ حُبَّ الْغَدَاءِ

وَالْعَشَاءِ لِي حَرًا .

وقال عمر بن عبد العزيز : إِنَّمَا الْجَزَعُ قَبْلَ الْمَصِيبَةِ ، فَإِذَا وَقَعَتْ فَالْهُ عَمَّا أَصَابَكَ .

اشْتَكَى بَعْضُ أَهْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ جَزَعًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَوْتِهِ فُسْرَى

عَنْهُ ؛ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : نَدَعُو اللهَ فِيمَا نَحِبُّ ، فَإِذَا وَقَعَ مَا نَكْرَهُ لَمْ نَخَالِفِ اللهَ

فِيمَا أَحَبَّ .

لَمَّا مَاتَ عُثْبَةُ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ عَبْدُ اللهِ : إِذَا مَا قَضَى اللهُ فِيهِ مَا قَضَى فَمَا أَحَبُّ

أَنْ تَدْعُوهُ فَأَجَابَنِي .

(١) يصب منه : يظله بالمصائب ليثبه عليها . (٢) السياق : تزع الروح كأن روحه تساق

لتخرج من بدنه .

قال رجل من طي^١ :

فلولا الأُمى ما عِشْتُ في الناس ساعة * ولكن إذا ما شئتُ أسعدني مثلي

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسَلْ أصطباراً وحسبة * سلوت على الأيام مثل البهائم
عزى محمد بن الوليد بن عتبة الوليد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين، ليشغلك
ما أقبل من الموت إليك، عمن هو في شغل^(٢) مما دخل عليك، وأعد لتزوله عدة تكون
لك حجاباً من الجزع وسيراً من النار . فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيت غفلة
تنبه عليها ولا جزعاً يستتر منه، وما توفيق إلا بالله . فقال محمد : يا أمير المؤمنين،
إنه لو استغنى أحد عن موعظة بفضل لكنته، ولكن الله يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ
الَّذِينَ تَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الطائي :

ويفرح بالشيء الممار بقاؤه * ويحزن لما صار وهو له دُخْر
عليك بشوب الصبر إذ فيه ملبس * فإن أبناك المحمود بعد أبناك النيب

وقال أيضاً :

أمالك إن الحزن أحلام نائم * ومهما يدُم فالوجد ليس بائم
تأمل رويدنا هل تعدن سالماً * إلى آدم أم هل تعد أبنا سالم

وقال آخر :

إصبر لكل مصيبة وتجلد * وأعلم بأن الدهر غير مخلد

(١) الأسي : جمع أسوة (بالضم وبكسر) وهي ما ينزى به الخزين . (٢) كذا في الأصل

أَوَمَا تَرَى أَنَّ الْحَوَادِثَ جَمَّةٌ * وَتَرَى الْمَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرَصِدٍ
وَإِذَا أَنْتَ مَصِيبَةٌ تُشْجَى بِهَا * فَأَذْكَرُ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
عَزَى رَجُلَ الرَّشِيدِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ لَكَ الْإِجْرُ لَا بِكَ ، وَكَانَ الْعَزَاءُ
مِنْكَ لَا عَنْكَ .

يَعَزَى أَهْلُ نَجْرَانَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلَامِ : لَا يُخْزِنُكُمْ اللَّهُ وَلَا يَفْتِنُكُمْ ، أَنَابَكُمْ
اللَّهُ ثَوَابَ الْمُتَّقِينَ وَأَوْجِبَ لَكُمْ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ .
عَزَى بَعْضُ الزُّبَيْرِيِّينَ رَجُلًا فَقَالَ : لَا يَصْفَرُ رَجُلٌ ^(١) رَجُلًا ، وَلَا يُوحِشُ بَيْتَكَ ،
وَلَا يَضِغُ أَجْرُكَ ، رَحِمَ اللَّهُ مَتَوَفَاكَ ، وَأَحْسَنَ الْخُلَافَةَ عَلَيْكَ .
قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أَسْكَنَ بَطْنَ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفَدَى * فَدَيْنَا وَأَعْطَيْنَا بِكُمْ سَاكِنَ الظَّهْرِ
فِيَالَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ * عَلَيْهَا تَوَى فِيهَا مَقِيمًا إِلَى الْحَشْرِ
وَقَاسَمَنِي دَهْرِي نَبِيَّ بَشَطِيرِهِ * فَلَمَّا تَوَفَّى شَطْرَهُ مَالٌ فِي شَطْرِي
فَصَارُوا دِيُونًا لِلنَّسَايَا وَمَنْ يَكُنْ * عَلَيْهِ لَهَا دِينَ قَضَاءٍ عَلَى عَصْرِ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ * فَكُلُّ عَلَى نُكُلٍ وَقَبْرٌ عَلَى قَبْرِ
وَقَدْ كُنْتُ حَىَّ الْخُوفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ * فَلَمَّا تَوَفَّوْا مَاتَ خَوْفِي مِنَ الدَّهْرِ
فَلَلَهُ مَا أَعْطَى اللَّهُ مَا جَزَى * وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الرِّزْيَةِ كَالصَّبْرِ
فَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُوَحِّشًا فَقَدْ يَرَهُمْ * وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُسَلِّيًا طَلِبُ الْإِجْرِ
عَزَى شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ : أَعْطَاكَ اللَّهُ عَلَى مُصِيبَتِكَ أَفْضَلَ
مَا أَعْطَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ .

(١) لَا يَصْفَرُ : لَا يَحْدِلُ .

وقال العُتيّ :

ما مالج الحزن والحرارة في آل * أحشاء من لم يمت له ولد
يُفَعْتُ بأبني ليس بينهما * إلا ليالٍ ليست لها عِدَّة
وكلُّ حزن يبتلى على قدم الدهر * وحزني يُجِدُّه الأبد

وقال أيضا :

ألا يزجر الدهرُ عنا المتونا * يبقى النبات ويَفني البينا
وأنحى على بلا رحمة * فلم يبق لي في جُفوني جفونا
وكنْتُ أبا سبعة كالبدور * أُفقي بهم أعين الحاسدين
فروا على حادثات الزمان * كثر الدراهم بالناقلين
فأفنتهم واحداً واحداً * إلى أن أبادتهم أجمعينا
وَأَلْقَيْنَ ذاك إلى ضارح^(١) * وَأَلْقَيْنَ هذا إلى دافينا
وما زال ذلك دأب الزما * ن يَفني الأوائِلَ فالأولينا
وحتى بكى لي حُسادهم * فقد أفرحوا بالدروع الجفونا
وحسبك من حادثٍ بأمري * ترى حاسديه له راحينا
وكانوا على ظهرها أنجماً * فأضحوا إلى بطنها يُنقلونا
فمن كان يُسليه مرَّ السنين * فحزني يجده لي السنونا
ومما يسكن وجدي بهم * بأن المتون ستلقى المتونا

كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عَزَى رجلاً قال : ليس مع الغراء مصيبةٌ ولا مع
الجزع فائدةٌ الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعده ؛ اذكروا فقد رسول الله صلى الله
عليه وسلم تصفّر مصيبتكم ؛ وعظم الله أجركم .

(١) الضارح : وصف من ضرح لبت إذا حفر له .

وكان على رضى الله عنه إذا عزى رجلا يقول : إن تجزع فأهل ذلك الرحم،
وإن تصبر ففى الله عوض من كل فائت؛ وصلى الله على محمد، وعظم الله أجرهم .

وقال أعرابي :

أَيْسَلُ رَأْسِي أَوْ تَطِيبُ مَشَارِبِي * وَوَجْهَكَ مَغْفُورٌ وَأَنْتَ سَلِيبُ
نَسِيكَ مِنْ أَمْسَى يُنَاجِيكَ طَرْفُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ وَارَى السَّرَابَ نَسِيبُ
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي أَنْفَى وَهُوَ مَيِّتٌ * كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ قَرِيبُ

وقال أعرابي :

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّا * أَقْنَا قَلِيلًا بَعْلَهُمْ وَتَقَدَّمُوا

وقال آخر :

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الْإِلَهَ إِذَا اشْتَكَى * مِنَ الْأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سَرَّنِي الْأَجْرُ
وَأَجَزَعُ أَنْ يَتَّأَيَّ بِهِ يَوْمَ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ يَتَّيَّنُ صَارَ مِمَّاعَدَهُ الْحَشْرُ

وقال آخر :

وَإِنَّا وَإِخْوَانُنَا لَقَدْ تَابَعُوا * لِكَالْمَغْنَمِ وَالرَّايِحِ الْمَتَهَجِّرِ

وقال سليمان الأعجمي :

رَبِّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ * عَدِمَتْهُ كُفٌّ مَغْرِبَةٍ
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ مَا تُمُتُهُ * أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسَةٍ

وتغزل معاوية بن أبي سفيان يوما فقال :

إِذَا سَارَ مَنْ خَلْفَ أَمْرِي وَأَمَامِهِ * وَأَوْحَشَ مِنْ جِيرَانِهِ فَهُوَ سَائِرُ

وقال آخر :

وإذا قيل مات يوماً فلان * راعنا ذاك ساعة ما يُحِيرُ
نذكر الموت عند ذاك وننسا * إذا غيبتنا عنا القبورُ

وقال آخر :

نُزاع من الجنائز قابلتنا * ونلهو حين نختفي ذاهبات
كروعة ثلثة لمفارسج * فلما غاب ظلت راتعات

وقال أبو نواس :

سبقونا إلى الرحى * بل وإنا لبالأثر

وكتب رجل إلى بعض الأمراء في تعزية : الأمير أذكركه من أن يذكر به ،
وأعلم بما قضاه على خلقه من أن يدل عليه ، وأسلك لسبيل الراشدين في التسليم لأمره
والصبر على قدره والتعجز لوعده ، من أن ينبئه من ذلك على حفظه ، أو أن يحتاج معزيه
عند حادث المصيبة إلى أكثر من الدعاء في قضاء حقه . فزاده الله توفيقاً إلى توفيقه ،
وأخضره رشده ، وسدّد للصواب غرضه ، وتولاه بالحسنى في جميع أموره ، إنه سميع
قريب . وقد كان من حادث قضاء الله في المتوفى ما أنقص وأرخص ، وبغى وأوجع ،
علما بما دخل على الأمير من النقص ، وعلى سروره من اللوعة ، وعلى أسفه من الوحشة ،
إلى ما خصني منه بمأس الرحم وأوشج القرابة . فأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزل له
الذكر ، وعصمه باليقين ، وأنجز له ما وعد الصابرين ، ورحم المتوفى ولقاه الأمن
والروح ، وفسح له في المصجع ، وجمعه وإياه بعد العمر الطويل في الدار التي لا خوف
عليهم فيها ولا هم يحزنون .

٢٠ (١) الثلثة (بافتح) : جماعة الغنم الكثيرة ، والثلثة (بالضم) جماعة الناس . (٢) أنقص :
أقلل وأرخص : أرجع . (٣) في الأصل : « وجمع له وإياه » .

وفي كتاب : نحن نحمد الله أيها الأمير إذ أخذ على ما أبقى منك ، وإذ سلب على ما وهب بك ؛ فانت العوض من كل فائت ، والجابر لكل مصيبة ، والمؤنس من وحشة كل فقد ؛ وحق لمن كنت له ولياً وعضداً أن يشغله حمد الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

- وكتب سعيد بن حميد إلى محمد بن عبد الله : ليس المعزى على سلوك السبيل
 التي سلكها الناس قبله والمضى على السنة التي سنها صالحو السلف له ؛ وقد بلغني ما حدث من قضاء الله في أم الأمير ، فتألم من ألم الرزية وفاجع المصيبة ما ينال خدمته الذين ينحصرهم ما خصه من النعم ، ويتصرفون معه فيما تناوله الله به من المحن . فأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزل له المثوبة والذخر ، ولا أراه في نعمة عنده نقصاً ، ووفقه عند النعم للشكر الموجب للزيد ، وعند المحن للصبر المحرز للثواب ، إنه هو الكريم الوهاب . ورحم الله الماضية رحمة من رضى سعيه وجازاه بأحسن عمله . ولو كانت السبيل إلى الشخصوس إلى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجل الأمير عن أن يعزبه مثلي بالرسول دون اللقاء ، وبالكتاب دون الشفاء ، ولكن الكتاب لقاء من لا سبيل له إلى الحركة ، وقبول العذر عن حيل بينه وبين الواجب .

- ولأبن مكرم : وما حركني للكتاب تعزيتك بمن لا ترميك الأيام بمثل الحادث^(١)
 فيه ، ولا تنقض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل إليك والصبر على مكروه جفائك ، مع ما كان الله أعاره من قوة العقل وأصالة الرأي ، ومد له من عناية إلى قصوى الغايات ، فإننا الله وإنا إليه راجعون على ما أفاقتنا الأيام منه حين تم واستوى ، وغالى في المروية ويتاهى ، وعند الله يُحتسب المصاب به ؛ وعظم الله لك فيه الأجر ، ومهل لك في العمر ،

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) لله « عن » .

وأجزل لك العوض والدُّنْخُ، فكل ما مضى من أهلك فانت سدادُ ثَمَنِهِ وجابرُ رزقيته .
وقد خلف من أنت أحقُّ الناس به من عجوزٍ وليت تربيتك وحياتك في طبقات
سِنِّكَ، وولَدِ رُبُوا في حُجْرِكَ ونبَتُوا بين يديك ، ليس لهم بعد الله مرجع سواك ، ولا
مَقِيل إلا في ذَرَاكَ ؛ فَأَتَشُدُّكَ اللهُ فيهم فإنه أَتَّحِبُّ أحوالهم بعمارة مروءته ، وقطعهم
بصلة فضله ، والله يَمِيزُهُ بِجَمِيلِ أثره وَيُخَلِّفُهُ فيهم بما هو أهله .

وفي فصل من كتاب : وقد جرى قضاء الله في هذه النازلة ما نطق عما نالك^(١)
وَأَبْقَى عندك ، وهو حقٌّ مِثْلُهَا وَقَدَّرُ مِثْلَهَا .

وفي فصل آخر : لو كان ما يَمْسُكُ من أذى يُشْتَرَى أو يُقْنَدَى ، رجوت أن أكون
غيرَ باخِلٍ بما تَضَنُّ به النفوس ، وأن أكون سِتْرًا بينك وبين كل مُلِمٍّ ومُحْذَرٍ .
فَأَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ ، وَأَجْزَلَ دُنْخُكَ ، ولا خَذَلَ صَبْرَكَ ولا قَتَنَكَ ؛ ولا جعل للشيطان
حظًّا فيكَ ولا سبيلًا عليك .

المداخني قال : قدِمَ رجل من عَيسٍ ، ضَرِيرٌ مَحْطُومُ الوجه ، على الوليد ؛ فسأله
عن سبب ضَرِّهِ ، فقال : يَتُّ لَيْلَةً في بطن وادٍ ولا أعلم على الأرض عَسِيًّا يزيد ماله على
مالِي ، فطَرَقْنَا سَبِيلًا فأنْهَبَ ما كان لي من أهلٍ ومالٍ وولدٍ إلا صَبِيًّا رَضِيْعًا وبِغِيرًا صَغِيرًا ،
فَنَدَّ البَعِيرُ والصَّبِيُّ معي فوضعتُه وأَتَبَعْتُ البَعِيرَ لِأَحْسِسَهُ ، فما جاوزتُ إلا ورأسُ^(٢)
الذئب في بطنه قد أَكَلَهُ ، فتركته وأَتَبَعْتُ البَعِيرَ ، فاستدار فرمى رَمْحًا حَطَمَ بها وجهي
وأذهب عيني ، فأصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا ولدٍ ، فقال الوليد : أذهبوا به إلى عُرْوَةَ
ليعلم أن في الناس من هو أعظمُ بلاءً منه ؛ وكانت عُرْوَةُ بن الزَّيْرِ أُصِيبَ بآبِنٍ
له وأصابه الداء الخبيث في إحدى رجليه فقطعها ، فكان يقول : كانوا أربعة —

٢٠ (١) لعله : « بما » . (٢) نَدَّ البَعِيرُ : شرد .

يعنى بنيه — فأبقيت ثلاثة وأخذت واحداً، وكُنَّ أربعة — يعنى يديه ورجليه —
فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً^(١)، أحملك، لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت
أبقيت لقد طأيت. وشخص الى المدينة فأتاه الناس يسكون ويتوجهون؛ فقال :
إن كنتم تُعِدُّونى للسباق والمصراع فقد أودى ، وإن كنتم تُعِدُّونى للسان والجاء
فقد أبى الله خيراً كثيراً .

وقال على بن الجهم :

مَنْ سَبَقَ السَّلَوةَ بالصَّبْرِ * فَازَ بِفَضْلِ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ
يَا عَجَباً مَنْ هَلَعَ جَاوِزِ * يُصْبِحُ بَيْنَ النَّمِّ وَالْوِزْرِ
مَصِيبَةُ الْإِنْسَانِ فِي دِينِهِ * أَعْظَمُ مِنْ جَائِحَةِ الدَّهْرِ

وقال بعض الشعراء^(٢) :

لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّ * أَيْ شَيْءٍ قَتَلَكَ
وَالْمَنَايَا رَصَدٌ * لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ * حِينَ تَلْقَى أَجَلَكَ
لَيْتَ نَفْسِي قُدِّمَتْ * لِلْمَنَايَا بِسَدِّكَ
أَيْ شَيْءٍ حَسَنٍ * لِلْفَتَى لَمْ يَكُ لَكَ

وقال آخر :

غُرٌّ أَمْرٌ مَتَّهَ نَفْ * سُنْ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ
هَيْهَاتَ ! أَعْيَا الْأَوَّلِ * نَ دَوَاءُ دَائِكَ يَدِيعَامُهُ

(١) فى الأصل : «ثلاثة» باثبات التاء . (٢) كذا بالأصل . وفى شرح أشعار الحماسة

(ص ٤١٤ طبة أوردوا) أن هذه الأبيات لأم تابط شراً ، ويقال لأم السليك بن السليكة ، وأولها :
طاف يفتي بحجة * من هلاك فهلك ورجح التبريزى فى نهاية الأبيات أنها لأم السليك
وذكر لهذا خبراً .

وقالت: صفة الباهلية في اختها :

كنا كفنسين في جرثومة^(١) سموا * حيناً بأحسن ما تسمو له الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعهما * وطاب قنواهما وأستنظر الثمر
أخنى على واحد ريب الزمان ولا * يبقى الزمان على شيء ولا يدر
كنا كأنجم ليل وسطنا قمر * يحلو الدجى فهو من بيننا القمر

ومن هذا أخذ الطائي قوله :

كأن بني تيهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

وقال آخر :

الكل أناس مقبر بفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد
وما إن زال رسم دار قد أخلقت * وبيت لميت بالفناء جديد
هم جيرة الأحياء أما جوارهم * فدايب وأما الملتقى فبعيد

وقال آخر :

لا يُبعد الله أقواماً لنا ذهبوا * أنفاهم حدان الدهر والأبد
تندم كل يوم من بقيتنا * ولا يؤوب إلينا منهم أحد

وقال النابغة :

حسب الخليلين أن الأرض بينهما * هذا عليها وهذا تحتها بالي

وقال آخر :

وقد كنت أرجو أن أملاك^(٢) حقة * فخال قضاء الله دون رجائيا
ألا ليئت من شاء بعدك إنما * عليك من الأقدار كان حذارياً

٢٠ (١) جرثومة الشيء : أصله . (٢) القنر : المذق وهو من النحل كالعقود من العنب .
(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملاك : أمتع بك ، يقال : ملك الله حييكم أي منعك به
وأعطاك معه شويلاً .

وقال آنر :

لعمرك ما وارى الترابُ فعالةً * وليكنه وارى ثيابا وأعظما
فضالةً^(١) بن شريك :

رى الحدثنُ نسوةَ آلِ حربٍ * بفاحشةٍ سَمَنَتْ لها مُمودا
فردَّ شعورهنَّ السودَ بيضا * وردَّ وجوههنَّ البيضَ سودا

وقال آنر :

أما القبورُ فأنهنَّ أوانسُ * بجوارِ قبرك والديارُ قبورُ
عمت مصيبتُهُنَّ هلاكُهُ * فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ
ردَّتْ صنائعُهُ عليه حياته^(٢) * فكأنه من نشرها منشورُ

منصور التمرى :

فإن يك أفته الليالي فاوشكت * فإن له ذكرا سيفني الليالي

وقال طفيلٌ يذكر الموت :

مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ * وَصَرَفُ الْمَنَاسِبِ بِالرِّجَالِ تَقَلُّبُ

وقال هشام أخو ذى الرمة :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْقَى بَغْيِلَانَ بَعْدَهُ * عِزَاءَ وَجْفَنِ الْعَيْنِ مَلَانُ مُتَرَعٍ
وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْقَى الْمَصِيْبَاتِ بَعْدَهُ * وَلَكِنْ نَكَءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

(١) نسب هذا الشعر في أمالي القالي (ج ٣ ص ١١٥ طبعة دار الكتب) للكاتب بن معروف الأسدي .

ونسبق شرح أشعار الحماسة (ص ٢٧ طبعة أوروبا) وشرح القاموس مادة سمد لعبد الله بن الزبير الأسدي .

(٢) السمود : النفلة وذهاب القلب ومعه قوله تعالى : (وَأَتَمَّ سَامُودُ) وهو تغير الوجه من الحزن كأنه

أصابها السواد . وقيل معناه ومن رءوسه يخن . (٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٧٨ طبع

دار الكتب المصرية) وهو الذي يستقيم به معنى الشعر . وفي الأصل : «إلى» . (٤) النك : مصدر

نَكَ القرح إذا قشرها قبل أن تبرا فندبت .

وفي فصل من كتاب لبعض الكتّاب : لست أحتاج مع علمك بما في الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة ، وما في الشكر عن^(١) حادث النعمة من الحظ ، إلى أكثر من الدماء في قضاء الحقيقتين ، ولا إلى إخبارك عما أنا عليه من الارتماض لضرائك^(٢) والجَلَدِ بسرائك ، لمعرفة بشركتي لك واتصال حالك بي في الأمرين .

التهنئة

حدثني زيد بن أنحزم^(٣) قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا ميمون [قال] حدثنا أبو عبد الله الناجي قال : كنت عند الحسن ، فقال رجل : ليهنئك الفارسُ ؛ فقال : لعله يكون بغلاً ، ولكن قل : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، وبلغ أشده ، ورزقت برّه . قال مجاهد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لمتزوج قال : "على اليمن والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودة عند الرحمن" .

قال أبو الأسود لرجل يهنئه بتزوج : باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر في المعركة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يقال : « بالرفاء والبنين » . وكان يقال : إن أول من هنا وعزري في مقام واحد عطاء بن أبي سفيان الثقفي ، عزري يزيد بن معاوية بأبيه وهناه بالخلافة ، ففتح للناس باب الكلام ، فقال : أصبحت رزيت خليفة وأعطيت خلافة الله ، قضى معاوية نحبّه ، فغفر الله ذنبه ؛ ووليت الرياسة ، وكنت أحق بالسياسة ؛ فأحتسب عند الله أعظم الرزية ، وأشكر الله على أعظم العطية . وعظم الله في أمير المؤمنين أجرك ، وأحسن على الخلافة عونك . وقالت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس : أعظم الله أجرك في أخيك ؛ لا مصيبة على الأمة أعظم من مصيبتك ، ولا عوص لها أعظم من خلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتماض : الحزن . (٣) أنحزم بمجمتين .

(٤) البغال : راكب البغال ، والبغال تعجز عن شأرا الأفراس .

قال المجتاج لأبيوب بن القريّة: اخطب على هند بنت أسماء، ولا تردّ على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيتكم من عند من تعلمون، والأمير معطيكم ما تسألون، أفنضحون أم تزدون^(١)؟ قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا. فرجع ابن القريّة الى المجتاج فقال: أقر الله عينك، وجمع شملك، وأبنت ربّك؛ على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات؛ جعلها الله ودودا ولودا، وجمع بينكما على البركة والخير.

كتب بعض الكتاب إلى رجل يهتبه بدار انتقل إليها: بخير مُتَقِلٍّ، وعلى أيمن طائر، ولأحسن إبان، أنزلك الله عاجلاً وآجلاً خير منازل المفلحين.

وقال ابن الرّفاع لمتزوج:

قُر السّماء وشمسها آجتعا * بالسّعد ما غاباً وما طلعا
ما وارت الأستار مثلها * فيمن رأيناها ومن شُيما
دام السّرور له بها ولها * وتهنأ طول الحياة معا

وكتب رجل إلى صديق له يهتبه بالدخول على أهله: قد بلغني ما هيّا الله لك من آجتماع الشّمل، بضمّ الأهل؛ ففّرّكك في النعمة، وكنت أسوتك في السّرور، وشاهدتك بقلبي، ومثلت ما أنت فيه لعيني، فخلّلت بذلك محلّ المعان للحال وزينتها، فهنيئاً هناك الله ما قسم لك، وبالرفاء والبنين، وعلى طول التعمير والسنين.

وكتب آخر من الكتاب إلى عامل: نحن من السّرور، بما قد استفاض من جميل أثرك فيما تلي من أعمالك، وخطمك وزمك إياها بحزمك وعزمك، وأنتياشك أهلها من جور منّ وإليهم قبلك، وسرورهم بتطاؤل أيامك والكون في ظلّ جناحك، في غاية من تخصّصه وتعمه نعمك، وتجوّل به الحال حيث جالت بك. فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك، ولم يردّ علينا آمالنا منكوسة فيك، كما ردها على غيرنا في غيرك. وهنيئاً هناك الله نعمه خاصّها وعامّها، وأوزعك شكرها، وأوجب لك بالشكر أحسن المزيّد فيها.

(١) في الأصل: «أو تزدون» والمقام هنا يقتضى «أم» المتصلة.

وكتب رجلٌ من الكتّاب إلى نصرانيٍّ قد أسلم بهتته : الحمد لله الذي أُرشدَ
أمرَك ، وخصَّ بالتوفيق عزمَك ، وأوضح فضيلةَ عقلك ، ورَجَّاحةَ رأيك ؛ فما كانت
الآدابُ التي حوَّيَها ، والمعرفةُ التي أوتيتَها ؛ لتدوم بك على غوايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليقُ
بُلكَ ، ولا يبرحُ ذُوو الحجا من موجي حَقِّكَ يُنكرون إبطاءَكَ عن حَقِّكَ وتَرْكَكَ البدارَ
إلى الدينِ القيمِ الذي لا يقبلُ اللهَ غيره ولا يُثيبُ إلا به ، فقال : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ
الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . والحمد لله الذي
جعلك في سابقِ علمه ممن هداه لدينه ، وجعله من أهلِ ولايته ، وشرفه بولاءِ خليفته .
وهناك الله نعمته ، وأعانك على شكره ؛ فقد أصبحتَ لنا أخًا ندينُ بمودته ومُوالاته
بعد التأثُّم من خُلُطتك ومخالفةِ الحقِّ بمشايعتك ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ لَا تَجِدُ
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ .

وكتب رجلٌ من الكتّاب تهتةً بحجٍّ : الحمد لله على تمامِ مُهاجِرِكَ ، وسلامةِ
بَدَأَتِكَ ورجعتك ، وإعظامِهِ المِنَّةَ بأوبَتِكَ ؛ وشكرِ الله سعيك ، وبرِّحَجِّكَ ، وتقَبُّلِ
نُسُكِكَ ؛ وجعلك ممن قلبه مُفْلِحًا مُنْجِحًا ، قد رَجَحَتْ صَفْقَتُهُ ، ولم تُبَرِّجْ تجارتُهُ ،
ولا أَعْدَمَكَ نِيَّةٌ تَفْضُلُ عَمَلِكَ ، وتوفيقًا يُحَوِّطُ دِينَكَ ، وشكرًا يَرْتَبِطُ نِعْمَتُكَ ؛ فهناكم
اللهُ النعمةُ ، وجمعكم في دارِ الخِلافةِ ، وجعلكم ساسةَ الامةِ والمُتَقَدِّمِينَ عندَ الإمام —
أيدهُ الله بالطاعة والنصيحة — فإنكم زِينُ السُلطان ، وعمُدَةُ الإخوان ، وأضدادُ أَكْثَرِ
أهلِ الزمان .

وكتب إلى رجلٍ عن صديقٍ له بهتته بِفِطَامِ مولود : أنا — أعزَّكَ الله — لِمَا
حَمَلَنِي الله من أياديك ، وأودعني من إحسانك ، وألزمني من شكرِكَ ، آخذ نفسي بِمِراةِ
أُمُورِكَ ، وتَفَقُّدِ أحوالك ، وتَعَرُّفِ كُلِّ ما يُحدثه الله عندك ، لأُقابَلَهُ بما يُلْزِمُنِي ، وأُقْضَى

الحق فيه عني ببلوغ الوُسْع ومقدار الطاقة، وإن كنا لا يُلْقَان واجبك، ولا يستَقِلَان بِثِقَل عارفتك . وكلُّ ما تَقَلَّ الله الفتى [و] يُلْغِه من أحوال البلوغ ورقاه فيه من درجات النمو، فنعمة من الله حادثة تُلْزِم الشكر، وحقُّ يجب قضاؤه بالتهنئة. وكتب الى وكيل المقيم ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفِطَام ، وصَلَّاح جسمه عند الطعام، وسلوته عن أول الغذاء، وسرورك ومن يليك بما وهب الله في هذه الحال من عافيته وحسن المدافعة عنه ؛ فأكثرُ لله الحمد ، وأسبغت في الدعاء والرغبة، وتصلقت عنه بما أرجو أن يتقبله ؛ وكتبت مهتًا بتجدد النعمة عندهم فيه . فالحمد لله المتطوِّل علينا قِبلَه بما هو أهله ، والمجْرى لنا فيما يُؤَلِّق على حسن عاداته . وهناك الله النعم، وصانها عندك من الغير، وحرسها بالشكر، وبلغ بالفتى أقصى مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العيان واليقين، بمنته وفضله .

١٠ وكتب بعض الكتاب تهنئةً بحجَّ الى صاحبه : الحقُّ للسادة عند ما يحذده الله لهم من نعمه في الدعاء، من جلائل حقوقهم على أوليائهم : وقد خصَّ الله حقَّك بما لا يَسْتَعْنِي معه آذخار مجهود في تعظيمه وشكره . ولولا أن الطاعة من حدوده، لم أنتظر إذنك لي في تلقيك راجلاً بالأوبة، إذ كان الكتابُ بها دون السعي بالمخ نصيب من التقصير. وأنا أسأل الله الذي أوفدك الى بيته الحرام، وعمر بك مشاهدته العظام، وأوردك حرمة سالماً، وأصدرك عنه غانماً؛ ومن بك على أوليائك وخدمك، أن يَهْتِك بما أنعم به عليك في بدأتك ورجعتك ؛ بتقبل السعي وتُجْح الطلِبة وتعريف الإجابة .

وكتب بعض الكتاب تهنئةً بولاية : فإنه ليس من نعمةٍ يحذدها الله عندك ، والصنعُ الجميلُ تُحدثه لك الأيام، إلا كان آرتياحى له وآستبشارى به وآعتدادي بما يَهَب الله لك من ذلك، حَسَبَ حقِّك الذي توجه، وبرِّك الذي أشكره، وإخائك

٢٠

الذى يَعرِّزُ وَيَجِلُّ عندى موقعه؛ بفعل الله ذلك فيه وله، ووصله بتقواه وطاعته .
وبلغنى خبرُ الولاية التى وَلَيْتَهَا، فَكُنْتُ شَرِيكَكَ فى السرورِ وعديلك فى الارتياح،
فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُعَرِّفَكَ بِمَنَّا وَبِرُكَّتِنَا، وَيرزُقَكَ خَيْرَهَا وَعَادَتَهَا، وَيُحَسِّنَ مَعُونَتَكَ عَلَى
صَالِحِ نَيْتِكَ فى الإحسانِ إِلَى أَهْلِ عَمَلِكَ وَالتَّأَلُّفِ لَهُمْ، وَاسْتِعْلَالِ الْعَدِيِّ فِيهِمْ،
وَيَرْزُقَكَ مُحِبَّتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَيَجْعَلَهُمْ خَيْرَ رَعِيَةٍ .

وكتب رجلٌ الى معزول: ^(١) فَإِنْ أَكْثَرَ الْخَيْرِ فَمَا يَقَعُ بِكَرُهُ الْعِبَادِ، لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:
(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ) . وقال
أَيْضًا: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) . وعندك بحمد الله من
المعرفة بتصاريف الأمور، والاستدلال بما كان منها على ما يكون، مَغْنَى عن الإثَارِ
فى القول . وقد بلغنى أَنَصْرَاؤُكَ عَنِ الْعَمَلِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنَصَرَفْتَ عَلَيْهَا مِنْ رِضَا رَعِيَّتِكَ
وَمُحِبَّتِهِمْ وَحَسَنِ ثَنَائِهِمْ وَقَوْلِهِمْ، لِمَا بَقِيَتْ مِنَ الْإِثْرِ الْجَمِيلِ عِنْدَ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ،
وَخَلَقْتَ مِنْ عَدْلِكَ وَحَسَنِ سِيرَتِكَ فى الدَانِي مِنْهُمْ وَالْقَاصِي مِنْ بِلَدِهِمْ؛ فَكَانَتْ
نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فى ذَلِكَ وَعَلَيْنَا، نِعْمَةٌ جَلَّ قَدْرُهَا وَوَجِبَ شُكْرُهَا . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
مَا أَعْطَاكَ، وَمَنْحَ فَيْكِ أَوْلِيَاكَ وَأَرْغَمَ بِهِ أَعْدَاكَ، وَمَتَنَ لَكَ مِنَ الْحَالِ عِنْدَ مَنْ
وَلَّاكَ؛ فَقَدْ أَصْبَحْنَا نَعْتَدُ صَرْقَكَ عَنْ عَمَلِكَ مَنَحًا مُجَدَّدًا، يَجِبُ بِهِ تَهْنِئَتُكَ، كَمَا يَجِبُ
التَّوَجُّعُ لِفَيْرِكَ .

وكتب رجلٌ من الكُتَّابِ فى تَهْنِئَةٍ بِمَحَجٍّ: لَوْلَا أَنَّ عَوَائِقَ أَشْغَالٍ يُوجِبُ الْعَذْرَ
بِهَا تَفْضُّلُكَ وَيَسُطُّهُ أَحْثَاؤُكَ، لَكُنْتُ مَكَانَ كِتَابِي هَذَا مَهْتًا لَكَ بِالْأَوْبَةِ، وَمَجْدَّدًا

(١) فى الأصل: «الخيبر» . (٢) فى الأصل: «ما بقيت» . (٣) بالأصل: «منها»

بك مهتداً، ومُحيماً نفسي بالنظر اليك. وأنا أسأل الله أن يشكر سعيك؛ ويتقبل حجك،
ويثبت في عليين أثرك، ولا يجعله من الوفاة اليه آخر عهده .

وكتب بعض الكتاب : لا مهنة أولى ما يكون مهتداً، تعظيماً لنعيمه فيما جتد
الله لك يامولاي بالولاية، مني؛ إذ كنت أرجو بها أنضام نثري، وتلافي الله بمنائتك
المتشئت من أمري . فهناك الله تجد النعم، وبارك لك في الولاية، وأفتحها لك
بالصنع الجليل، وختمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب .

باب شرار الإخوان

ذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة قتل : ذاك رجل ليس له صديق
في السرولا عدو في العلانية .

وقال الشاعر :

ولم من الخللان من تشحط النوى * به وهو داج للوصال أمين
ومنهم صديق العين أتا لقاءه * خلو وأتا غيبه فظنون^(١)
أقبل عينة بن حصن الى المدينة قبل إسلامه : فلقه ركب خارجون منها ؛
فقال : أخبروني عن هذا الرجل (يعني النبي صلى الله عليه وسلم)، فقالوا : الناس فيه
ثلاثة رجال : رجل أسلم فهو معه يقاتل قريباً وأفناء العرب^(٢) ، ورجل لم يسلم
فهو يقاتله ، ورجل يظهر الإسلام إذا لقي أصحابه ويظهر كفره أنه معهم
إذا لقيهم؛ فقال : ما يسمى هؤلاء ؟ قالوا : المنافقون ؛ قال : فأشهدوا أنني منهم ،
فأفمن وصفتهم أحزم من هؤلاء .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٨) : « وسئل شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان

فقال : ذاك رجل أشع ، وهي تزيد الضبط الذي أبتناه . (٢) ظنون : لا يرون به .

(٣) أفناء العرب : أغلاطهم الزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يدري من أي القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللهم اكفني بوائق الثقات، وأحفظني من الصديق.
وكتب رجل على باب داره: جَزَى اللهُ مَنْ لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ خَيْرًا، فَمَا
أَصْدَقَاؤُنَا فَلَا جُزْؤَ ذَلِكَ، فَإِنَّا لَمْ نُؤْتَ قَطَّ إِلَّا مِنْهُمْ .

وكتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك الزيات :
وكنْتَ أُنَى بِإِخَاءِ الزَّمَانِ * فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرْبًا عَوَانًا
وقد كنتُ أشكو اليك الزمانَ * فأصبحتُ فيكَ أَدُمُ الزمانَا
وكنْتَ أُعِدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ * فَهَآنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا
وقال محمد بن مهدي :

كَانَ صَدِيقِي وَكَانَ خَالِصِي * أَيَّامَ نَجْرِي بِجَارِي السُّوقِ
حَتَّى إِذَا رَاحَ وَالْمُلُوكَ مَعَا * عَدَّ أَطْرَاجِي مِنْ صَالِحِ الْخُلُقِ
خَلَيْتُ ثَوْبَ الْفِرَاقِ فِي يَدِهِ * وَقَلْتُ هَذَا الْوَدَاعُ فَانْطَلِقِ
لَيْسَتْهُ لَيْسَةُ الْجَدِيدِ عَلَى الْإِلَ * قُرَّ وَفَارَقْتُ فُرْقَةَ الْخَلْقِ

وقال آخر :

إِذَا رَأَيْتَ أَمْرًا فِي حَالِ عُسْرَتِهِ * مُوَاصِلًا لَكَ مَا فِي وُدِّهِ خَلُّ
فَلَا تَحْمَنَنَّ لَهُ أَرْبَ يَسْتَفِيدُ غَنًى * فَإِنَّهُ بَانْتِفَالِ الْحَالِ يَنْتَقِلُ

وكتب رجل إلى صديق أعرض عنه : لَوْلَا أَنِّي أَشْفَقْتُ مِنْ أَشْنَاتِ ظَنِّي
[في] إِبْجَابِكَ إِلَى مَا يَعْلَمُ اللهُ بَرَاءَتِي مِنْهُ فَيْكَ وَلَكَ لِمَعْجَبِكَ وَلِكَفَيْتِكَ مُؤْنَتِي، تَقَّةً بَأَنَّ
أَزْدِيَادَكَ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ سَتَرْدَكَ إِلَى؛ فَإِنْ رَجَعْتَ قَبِلْتُ وَتَمَسَّكَتُ وَأَغْنَبْتُ،
وَإِنْ أَصْرَرْتَ لَمْ أَتَّبِعْ مُوَلِّيَا، وَلَمْ آسَ عَلَى مُدِيرٍ، وَلَمْ أَسَاحِ نَفْسِي عَلَى تَعَلُّقِهَا بِكَ،

(١) كنا بالأصل ولم نوفق إلى هذا الكتاب في مصدر آخر بعد طول البحث عنه في مظانه .

ولم أَسَاعِدْهَا عَلَى نِزَاعِهَا إِلَيْكَ . فَمَنْ مِنْ زَمَانٍ تَرَكْتُكَ فِيهِ وَسَوِّمَكَ ثُمَّ أَبَى قَلْبِي ذَلِكَ ،
فَكَرَرْتُ وَعَظُفْتُ أَسَى عَلَى أَيَّامِي مَعَكَ وَمَا تَوَكَّدَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . وَمَا مِنْ كَرَّةٍ لِي
إِلَيْكَ إِلَّا وَهِيَ دَاعِيَةٌ إِلَى مَا أَكْرَهُهُ مِنْ اسْتِخْفَانِكَ وَتُغْوِيكَ . وَلَوْ فَهِمْتَ مَا اسْتَحَقَّقْتُ
بِهِ عَلَيْكَ مَا أَشْكُوهُ لَخَفَّ تَحْمَلُ مَا يَكُونُ مِنْكَ عَلَيَّ وَلَا جِئْتُ فِي عِتَابِكَ وَرِضَاكَ .^(١)

وفي جواب كتاب : وقد وزعني ما ضربته لي من الأمثال في كتابك عن
استبطائك . على أني لا أسترید إلا من أحتاج إلى صلاحه وأرغب في بقائه ؛ وقد
قيل :

يَا بَيْنَ إِلَّا جَفْسُوءَ وَظَلَمًا * من كثرة الوصل تَجْنِي الجُرْمَا^(٢)

وفي كل ما أجبتي ظلمت في معارضتي عن مَسْخِي جوابك بإيحاشي ، وفي اعتدائك
عليّ بما أنت جانيه عليك المحجة فيه . وما أنكر الخلاف بين الأب وأبنته والأخ وشقيقه
إذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بيني وبينك قط ، فإني لم أخالفك
ولم أشاححك ولم أنازعك ولم أعارض نَعَمَكَ يَلَا ولا أمرك بنهي .

وقال الحسن بن وهب :

سَأَكْرِمُ نَفْسِي عَنْكَ حَسَبَ إِهَانَتِي * لَهَا فَيْكٍ إِذْ قَرَرْتُ وَكَفَّ نِزَاعُهَا
هِيَ النَّفْسُ مَا كَلَّفَتْهَا قَطُّ خُطْبَةً * من الأمر إلا قل منه انتاعها
صَدَقْتُ لِعَمْرِي أَنْتَ أَكْبَرُ هُمَا * فَأَجْهَدُهَا إِذْ قَلَّ مِنْكَ آتِنَاغُهَا
هَبْ أَيْ أَعْمَى فَاتَتْ الشَّمْسُ طَرْفَهُ * وَغُيِبَ عَنْهُ نَوْرُهَا وَشُعَاعُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلَقَّقًا * فَكَشَفَهُ التَّمْهِيصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا

(١) كذا بالأصل . (٢) أصله تلجني حذفت إحدى تائييه .

فانت أني ما لم تكن لي حاجة * فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما * بلوتك في الحاجات إلا تماديا
فأست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فبين الرضا عن كل عيب كيلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا
كلانا غني عن أخيه حياته * ونحن إذا متنا أشد تقانيا

وكتب أيضا الى بعض إخوانه : أما بعد ، فقد عاقني الشك فيك عن عزيمة
الرأى في أمرك ؛ ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبني جفاء من غير ذنب ؛
فاطمعني أولك في إغائك ، وآسني أنك من وفائك ؛ فلا أنا في غير الرجاء أجمع لك
أطراحا ، ولا أنا في غد وانتظاره منك على ثقة ؛ فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح
الرأى في أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، فاقنا على أئلاف ، أو أفرقنا على اختلاف .
وكتب رجل الى صديقي له : نحن نستكثرك بأعتراك ، ونستديم صلتك
بجفائك ، ونرى الزيادة في الغم أدوم لجميل رأيك . ومثله قول كثير :
وإن شحطت يوما بكيت وإن دنت * تملكت وأستكثرها بأعتارها
ونحوه قول الككيت :

وقد يخلد المولى دعائي ويحتدي * أذاتي وإن يعدل به الضيم أغضب
فأؤنس من بعض الصديق ملالة الدنو - فاستبقهم - بالتجنب
وقال آخر :

إنك ما أعلم ذو ملة * يذهلك الأدنى عن الأقدم

(١) كذا في المحاسن والمساوي للبيهقي والمحاسن والأضداد لمجاظ . وفي الأصل : « ابتدأتني بلطف

عن غير حرمة » . (٢) كذا في الأصل ولعله : « رزى الزيادة في الغم أدوم الخ » .

وقال عبد الرحمن بن حسان :

لا خير في الود من لا تزال له * مستشعراً أبداً من خيفة وجلال
إذا تغيب لم تَبْرَحْ شَيْء به * ظناً وتسأل عما قال أو فعلاً

وقال مرة بن محكان :

تري بيننا خلقاً ظاهراً * وصدرأ عدواً ووجهاً طليقاً

ونحوه قول المرار :

كذبٌ تَحْصُهُ على لقومه * سلمُ اللسانِ محاربُ الإمرار

وحدثني أبو حزة الأنصاري قال : حدثنا العتي قال : قالت أعرابية لأبنا :
يا بني، إياك وُحْبَةٌ من مودته بشره فإنه بمنزلة الريح .

وكان يقال : الإخوان ثلاثة : أخٌ يُخْلِصُ لك وُدّه، ويُلْقِي في محبتك جهنّم .
وأخٌ ذُو نِيَّةٍ يقتصر بك على حُسن نيّته، دون رِفْده ومَعُونته . وأخٌ يُلْهِوُكَ^(١) لك لسانه،
ويتشاعل عنك بشانّه، ويُوَسِّعُك من كذبه وأيماّنه .

وقال المتقّب العبدى :

فإنما أن تكون أنى بصديق * فأعرف منك غنى من ثمنى

وإلا فأجتنبني وأتخذني * عدواً أتهيك وتقيني

١٥

وقال أوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم المهسد بالذى * يسوءك إن ولّى ويرضيك مُقْبِلاً

ولكن أخوك النّسائي ما دمت آمناً * وصاحبك الأدنى إذا الأمرُ أَعْضلاً

(١) كذا في الأصل ولعله : « بلسانه » والهواة والظهور : أن يبدى الإنسان فيه ما في طبيعته ويترن

بما ليس فيه من خلق ومرودة وكرم .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا وَدَّ اللّسانُ بِنافع * إذا لم يكن أصلُ المودة في القلب
وقال أبو حارثة المدني : ليس للملوك صديق ، ولا لحسود غني ، والنظر في العواقب
تلقيح العقول .

قال العباس بن الأحنف :

أشكو الذين أذاقوني مودتهم * حتى إذا أيقظوني في الهوى رقنوا
وأستهضوني فلما قت متهمضا * ^(١)بثقل ما حملوني في الهوى قعدوا

ونحوه قول المجنون :

وأدبني حتى إذا ما مبيتني * بقول يحل العصم سهل الأباطيح ^(٢)
تجافيت عني حين لا لي حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح ^(٣) ١٠

وقال آخر :

ولا خير في ود إذا لم يكن له * على طول مرّ الحادثات بقاء
وأشدّ آبن الأعرابي :

لما الله من لا ينفع الود عنده * ومن حبله إن مدّه غير متين
ومن هو إن يحدث له الغير نظرة * يقطع بها أسباب كل قرين ١٥

(١) في الأصل : « لثقل » باللام وليس هذا مقامها ، ورواية الديوان :

واستهضوني فلما قت متهمضا * بثقل ما حملوا من ودم قعدوا

(٢) العصم : جمع أعصم ، والأعصم من الظباء والوعول : ما في ذراعيه أو في أحدهما يعض رساتره
أسود أراحر . (٣) نسب القائل في أماليه (ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) هذين

اليتين لكثير ، وقد نسبهما أبو الفرج في الأغاني (ج ٢ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) للمجنون . ٢٠

ويقال : صاحب السوء جنوة من النار .

وقال علي عليه السلام : " لا تَوَاجِ الفاجر فإنه يزين لك فعله ويحب لو أنك مثله ويزين لك أسوأ خصاله ، ومدخله عليك ومخرجه من عندك شين وعار . ولا الأحق فإنه يمتد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرك ، فسكوته خير من نطقه ، ويعده خير من قربه ، وموته خير من حياته . ولا الكتاب فإنه لا ينفعك معه عيش ، ينقل حديثك وينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فما يصدق " .

قال أبو قبيل : أُسِرْتُ ببلاد الروم فَأَصَبْتُ على ركن من أركانها :
ولا تَصَحَّبْ أخا الجهل * وإياك وإيساه
فكم من جاهل أَرَدَى * حليماً حين آخاه
يُقَاسُ المرءُ بالمرء * إذا ما هو مآشاه
وللشيء على الشيء * مقاييسٌ وأشباه
وللقلب على القلب * دليلٌ حين يقاه

وقال عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه * فإن القرين بالمقارن مقتدي

وأنشد الرائي :

إن كنت لا تصحب إلا قتي * مثلك لم تؤت بأشالكاً

(١) ورد هذا البيت في حاسة البحري (ص ٣٠٧ طبة أوروبا) بلفظ : « وسل عن قرينه »

وكتب يامته : « خ : وأبصر قرينه » إشارة إلى نسخة أخرى . وورد في ديوان طرفة بن العبد

(ص ١٥٣ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) ضمن الأبيات المنسوبة إليه والراجح أنه لعدي بن زيد ، من

دالية المنهورة ، وهي من مجمرات أشعار العرب التي ذكرها أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في كتابه

« جهرة أشعار العرب » (ص ١٠٢ طبة بولاق) ومطلعا :

أعترف رسم الدار من أم معبد : نعم ورواك الشوق قبل التجدد

إِنَّ لَكَ الْفَضْلَ عَلَى مُجْتَنِي * وَالْمَسْكُ قَدْ يَسْتَصِحِبُ أَرْامَكَ^(١)
هَبْنِي أَمْرًا جِئْتُ أُرِيدُ الْهَدَى * بِخُذْ عَلَى ضَعْفِي بِإِسْلَامِكَ

وكتب يحيى بن خالد : أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ عَلَى يَقِينٍ أَتَى بِكَ ضَمِينٌ ، أُرِيدُكَ
مَا أُرَدَّتَنِي ، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَتُوبَ عَنِّي مَا كَانَ ذَلِكَ بِي وَبِكَ جَمِيلًا يَحْسُنُ عِنْدَ إِخْوَانِنَا ،
وإن وقعت المهادير بخلاف ذلك لم أعد ما يجب . والذي هاجني على الكتاب أنك
أبا نوح معروف بن راشد سألني أن أبوح له بما عندي ، وآفه يعلم أنني ما تبدلت
وما حلتُ عن عهد ، بل جمعنا الله وإياك على طاعته ومحبة خليفته .

وقرأتُ في كتاب للهند : ثَقِيَ بَذَى الْعَقْلِ وَالكَرَمِ وَأَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ ؛ وَوَأَصِلَ الْعَاقِلُ
غَيْرَ ذِي الْكَرَمِ ، وَأَحْتَرَسَ مِنْ سَيِّئِ أَخْلَاقِهِ وَآتَنَفَعَ بِعَقْلِهِ ؛ وَوَأَصِلَ الْكَرِيمَ غَيْرَ
ذِي الْعَقْلِ وَآتَنَفَعَ بِكَرَمِهِ وَأَفْعَهُ بِعَقْلِكَ ؛ وَأَهْرُبُ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ . ١٠

وقال حماد بن عمار :

لَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُكْرِهُ * مَا دَمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي بُسْرِ
مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَوَدَّةٍ * يَلْقَاكَ بِالْتَّرَجِيبِ وَالْبُشْرِ
يُطِيرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَذُ * حَيَّ الْقَدْرَ بِجَهْدِهَا وَذَا الْقَدْرَ
فَإِذَا عَدَا ، وَالْدَهْرُ ذُو غَيْرٍ ، * دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فَارْفُضْ بِإِجْمَالِ أُخُوَّةٍ مِنْ^(٢) * يَقْلِي الْمَقِيلَ وَيَعْشَقُ الْمُثْرَى
وَعَلَيْكَ مِنْ حَالِهِ وَاحِدَةٍ * فِي الْمُسْرَاةِ كُنْتَ وَالْبُسْرِ
لَا تَخْلُطُنَّهُمْ بِفَيْرِهِمْ * مِنْ يَخْلُطُ الْعِيقَانَ بِالْأَصْفَرِ^(٣)

(١) الزامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) في الأصل : «العاقِل» وهو

تحرير . (٣) كذا في الأغاني (ج ١٣ ص ٩٠) . وفي الأصل : «يطوى» وهو محرك .

(٤) في الأغاني (ج ١٣ ص ٩٠) : «مودة» . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سويد بن الصامت ^(١) :

أَلَا رَبُّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى * مَقَالَتَهُ بِالْفَيْبِ سَاعَكَ مَا يَفْهَرُ
مَقَالَتُهُ كَالشَّحْمِ مَا كَانَ شَاهِدًا * ^(٢) وَبِالْفَيْبِ مَا تَوَرَّعَ عَلَى ثَغْرِ النَّحْرِ
تَيْنُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ * ^(٣) مِنَ الضُّغْنِ وَالشُّحْنَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ
فَرِشْنِي بِخَيْرِ طَالَمَا قَدْ بَرَّيْتَنِي * وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَرِي

وقال آخر :

وَصَاحِبُ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ * أَشْفَقَ مِنَ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كَمَا كَسَانِي تَسْمِي بِهَا قَدَمٌ * أَوْ كَفَرَايَ نِيَطْتُ إِلَى عَضُدٍ
حَتَّى إِذَا دَانَتْ الْحَوَادِثُ مِنْ * ^(٤) خَطَوِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
إِخْوَلٌ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ * عَيْسَى وَيَرَى بِسَاعِدِي وَيَدِي
وَكَانَ لِي مُؤْنَسًا وَكُنْتُ لَهُ * لَيْسَتْ بِنَا وَخَشَاةٌ إِلَى أَحَدٍ
حَتَّى إِذَا اسْتَرَفَلَتْ يَدِي يَدَهُ * كُنْتُ كَسْتَرْفِيدَ يَدِ الْأَمِيدِ

وقال بعض الأعراب :

إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ كُلُّهُمْ * إِخْوَانٌ غَدِيرٌ عَلَيْهِ قَدْ جُلُوا
طَلَوْا نِيَابَ الْوَفَاءِ بَيْنَهُمْ * ^(٥) وَصَارَ تَوْبُ الرِّيَاءِ يُتَذَلُّ
أَخُوهُمْ الْمُسْتَحِقُّ وَصَلَهُمْ * مَنْ شَرَبُوا عَنْدهُ وَمَنْ أَكَلُوا
وَلَيْسَ فِيهَا عَلِمَتْ بَيْنَهُمْ * وَبَيْنَ مَنْ كَانَ مُعْلِمًا عَمَلٌ

(١) ذكر الحسان في مادة «نشر» هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لمعمر بن حبيب.

(٢) كذا في الحسان، والمأثور: الذي يؤثر عنه شره وسمه، وفي الأصل: «أموه» وهو تحريف؛

وثغرة النحر: قريحته؛ يريد أنه يغطه في غيبته. (٣) كذا ورد هذا الشطر في الحسان. وفي الأصل

ورد هكذا: * ولاجن: البغضاء والنظر الشرير * (٤) دانت: قاربت. (٥) يظن:

يلبس كثيرا، ومنه البقلة والمبلة من النياب: ما يلبس ويجهن ولا يهان.

قال رجل لآخر : بلغني عنك أمرٌ قبيح ، فقال : يا هذا ، إنَّ صحبة الأشرار
ربما أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار .

وقال دَعِيل :

أبا مُسلم^(١١) كُنا - حَلَفْنِي مَوْدَةً * هَوَانًا وَقَلْبَانًا جَمِيعًا مَعًا
أحوطك بالود الذي لا تحوطني * وأرأبُ منك الشعبَ أن يتصدعًا
فلا تلحني لم أجد فيك حيلةً * تحرقَت حتى لم أجد فيك مرقعًا
فهبك يميني آسأَ كَلْت فَأَحْسَبُهَا^(٢) * وَجَشَمْتُ^(٣) قَلْبِي قَطْعَهَا فَتَخَشَعَا^(٤)

وقال يزيد بن الحكم التقي :

تَكَاشَرْنِي^(٥) كُحْرَهَا كَأَنَّكَ نَاصِعٌ * وَعَيْنُكَ تَبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي^(٦)
لِسَانُكَ مَاذَى^(٧) وَقَلْبُكَ عَقَمٌ * وَشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مُنْطَوِي^(٨)
عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِي إِنْ لَقِيتُهُ * وَأَنْتَ عَدُوِّي لَيْسَ ذَاكَ بِمَسْتَوِي^(٩)
أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهَوْ أَمْرًا هَوَيْتَهُ * وَلَسْتَ لِمَا أَهَوَى مِنْ الْأَمْرِ بِالْهَوِي

(١) هذا بالأصل . وفي الأغاني (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا غلدة » . (٢) كذا

بالأصل ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة إلا بمعنى استأكل الشيء . طلب منه أن يأكله ، والمساكلة :
الذين يأخذون أموال الضعفاء كاليتيم ويعيشون عنها ، والظاهر أن المراد هنا في الشعر تأكل يده ،
والصيغة الدالة على هذا المعنى في كتب اللغة هي اشكل وتأكل . (٣) في الأغاني طبع بولاق

ج ١٨ ص ٤٧ : « فقطعها » . (٤) في الأغاني : * وجشمت قلبي صبرة فتخشعا *

(٥) تكاشرتي : تضاحكتني من قولهم : كثر عن أسنانه إذا كشف عنها . (٦) دور : مضطرب .

(٧) الماذي : العسل الأبيض . (٨) كذا في الأمل ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب

ورواية البيت فيه : ٢٠

لسانك ماذى وفيك عقم * وشرك مبسوط وخيرك منطوي

(٩) وفي الأصل : « ملوتى » : روى هذا البيت في حاشية البعري :

نود عدوى ثم ترم أني * صدقك ليس الفعل منك بمستوى

أراك أَجْتَوَيْتَ الْخَيْرَ مِنِّي وَأَجْتَوَيْ * أَذَاكَ فَكُلُّ يَحْتَوِي قُرْبَ مَحْتَوِي^(١)
 وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طِغَتْ كَمَا هَوَى * بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مُنْتَهَوَى^(٢)
 ويقال : إِيَّاكَ وَمَنْ مَوَدَّتْهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ فَعِنْدَ ذَهَابِ الْحَاجَةِ ذَهَابَ الْمَوَدَّةُ .
 وقال الحكيم : ثلاثة لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ : لَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ
 الْغَضَبِ ، وَلَا الشَّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ ، وَلَا الْأَخُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

قال جرير :

فَأَنْتَ أَهْبَى مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً * فَإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لَا أَخَالِيَا^(٣)
 تَعَرَّضْتُ فَاسْتَمَرَّتْ مِنْ دُونِ حَاجَتِي * خَالَكَ إِنْ مَسْتَمِرًّا لِحَالِيَا
 وَإِنِّي لَمَعْرُورٌ أَعْلَلُ بِالْمُنَى * لِيَالِي أَرْجُو أَنْتَ مَالِكٌ مَا لِيَا
 بَأَى نِجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا * نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَتَايِكَ مَاضِيَا^(٤)
 أَلَا لَتَخَافَا نَبْشِي فِي مُلْمِيَةِ * وَخَافَا الْمُنَايَا أَنْ تَفْشُو تَكَايَا^(٥)

(١) المجتوى : الكاره . (٢) كذا في أمالي القالي . وفي الأصل : «لولاك» .

(٣) القفة : أعلى الجبل ، والنقيق : أرفع موضع فيه . (٤) روى هذا البيت في التفاضل
 ص ١٧٧ طبع أوروبا :

فَأَنْتَ أَبِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً * فَأَنْتَ عَرَضْتَ فَنَاقِي لَا أَبَالِيَا
 وهو من قصيدة طويلة مذكورة في التفاضل بين جرير والفرزدق مطلعها :

أَلَا حَيَّ رَهْبِي ثُمَّ حَيَّ الْحَالِيَا * فَقَدْ كَانَ مَأْنُوسًا فَأَصْبَحَ خَالِيَا
 وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيما تقدم من هذا الجزء ص ٧٥ لبعد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما
 ذكر في كثير من كتب الأدب مثل الكامل للبرد والعقد الفريد ورواه الأديب ضيق شعر مطلعها :

رَأَيْتُ فَضِيلًا كَانَ شَيْئًا مَلْفَا * فَكَشَفَهُ التَّحْيِصَ حَتَّى بَدَا لِيَا
 (٥) النجاد : حامل السيف ، وقد ورد هذا التمرق الأغانى (ج ٧ ص ٥٢) والتفاضل
 (ص ١٧٧) هكذا :

بَأَى نِجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا * قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مَحَلِّ كَانَ بَاقِيَا
 بَأَى سَنَابِطٍ تَطْلُعُ الْقَوْمَ بَعْدَمَا * نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَتَايِكَ مَاضِيَا
 (٦) يقول : لا تخافا أن أتبرعنكما إن أملت بكما ملية ما عشت وخافا ذلك متى إذا مت (راجع كتاب
 التفاضل ص ١٧٨) .

وقال أبو العتاهية :

أَنْتَ مَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ صَا * حَبَكَ اللَّهُمَّ أَخُوهُ
فَإِذَا أَحْتَجْتَ إِلَيْهِ * سَاعَةً بَجَّكَ فُوهُ

وقال آخر :

مَوَالِينَا إِذَا آفَقَرُوا إِلَيْنَا * وَإِنْ أَثَرُوا فَلَيْسَ لَنَا مَوَالِي
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِيمَنْ شَرَّكَكَ فِي النِّعْمَةِ وَخَذَلَكَ عِنْدَ النَّائِبَةِ : بَرِيضٌ حَجْرَةٌ وَيَرْتَعُ
وَسَطًا .

قال المدائني : لحن الجملج يومًا ، فقال الناس : لحن الأمير ، فأخبره بعض
من حضر ، فتمثل بشعر قَعْنَبَ بن أمِّ صاحب :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ * وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عَنْدهُمْ أَذِنُوا^(٢)
فَطَانَةٌ فَطَنُوهَا لَوْ تَكُونُ لَهُمْ * مَرْوَةٌ أَوْ تُقَى اللَّهُ مَا فَطَنُوا
إِنْ يَسْمَعُوا سَيِّئًا طَارُوا بِهِ فَرَحًا * مَنَى وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

باب القرايات والولد

حدثني زَيْدُ بن أَنَزَمٍ قال حدثنا أَبُو دَاوُدَ قال حدثنا إِسْحَاقُ بن سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ
من ولد سَعِيدِ بن العاص قال أَخْبَرَنِي أَبِي قال : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ
فَمَتَّ إِلَيْهِ بِرَحِمٍ بَعِيدَةٍ ، فَلَانَ لَهُ وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” إِعْرِفُوا
أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَا قُرْبَ بِالرَّحِمِ إِذَا قُطِعَتْ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً وَلَا بُعْدَ بِهَا
إِذَا وَصِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً “ .

(١) في الأصل : « ترين » بالثاء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) الحجرة : الناحية .

٢٠ (٣) أذنوا : استمعوا .

حدثني شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَيَّاشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ : احذروا ثلاثاً ، فإنَّ معلقات بالمرش : النعمة تقول يا ربَّ كُفِّرْتُ ، والأمانة تقول يا ربَّ أَكَلْتُ ، والرِّحْمُ تقول يا ربَّ قُطِعْتُ .

حدثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَيْسُ بْنُ يُونُسَ قَالَ قَالَ حُجْرِبُ بْنُ دِنَارٍ : إِنَّمَا سُمُّوا أِبْرَاراً لِأَنَّهُمْ بَرُّوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، وَكَأَنَّ لَوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَكَفَلَكَ لَوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا .

حدثني أَبُو سَفْيَانَ الْغَنَوِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ حَيَّوَةَ بْنِ شَرِيحٍ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «أَبْرَأُ الرَّجُلُ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَّ أَبِيهِ» .

حدثني الْقُومِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَحَالِفُ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» .

وحدثني أيضاً عَنْ خَالِدِ بْنِ مَخْلَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الرَّحِمُ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحِمِ قَالَ لَهَا مَنْ وَصَلَكَ وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعَتْهُ» .

حدثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ قَالَ عُمَانُ : كَانَ عَمْرٍاءُ يَمْنَعُ أَقْرِبَاءَهُ أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَأَنَا أُعْطِي قَرَابَاتِي لَوَجْهِ اللَّهِ ، وَلَنْ يُرَى مِثْلُ عَمْرٍاءَ .

(١) ورد في الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » ولعلها رواية . (٢) الشجعة :

الشجعة من كل شيء ، يقال : بينهما شجعة رحيم .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا إبراهيم بن موسى قال حدثنا محمد بن ثور^(١) عن معمر عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ سَرَهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوسَعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن عبد الله ابن عيسى عن عبيد بن أبي الجعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبُرُّ وَلَا يَرُدُّ الْقَدْرُ إِلَّا الدُّعَاءُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يَصِيبُهُ» .

حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا عبد الأعلى قال حدثنا سعيد عن مطر عن الحكم بن عتيبة عن النخعي عن ابن عمر قال : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «إِنَّ وَالِدِي يَأْخُذُ مِنِّي مَالِي وَأَنَا كَارِهِ» فقال : «أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّكَ وَمَالُكَ لِأَيْبِكَ» .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال : أخبرني بعض العرب : أن رجلاً كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وكان له أب كبير ، وكان الشاب عاقاً بأبيه ، وكان يقال للشاب «مَنَازِلُ»^(٢) فقال الشيخ^(٣) :

بَرَزَتْ رَحِمُ بَنِي وَبَيْنَ مَنَازِلٍ * جَزَاءُ كَمَا يَسْتَنْجِزُ الدِّينَ طَالِبُهُ
تَرَبَّتْ حَتَّى صَارَ جَعْدًا شَمَرْدَلًا * إِذَا قَامَ سَاوَى غَارِبَ الْفَعْلِ غَارِبُهُ^(٤)

١٥ (١) هو معمر بن راشد ، وهو الذي يروي عنه محمد بن ثور كما في التهذيب . (٢) كذا في الخلاصة في إسماء الرجال للزوزجي وفي الأصل «عينة» وهو تحريف . (٣) هو منازل ابن فوطان ذكره في القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها . (٤) هو فوطان التميمي كما في لسان العرب مادة «جعد» . (٥) تَرَبَّتْ : تَرَبَّى . والجعد الطويل . والشمردل : الفتى القوي ، وقد اختلف اللسان (في مادة جعد) عما هنا في إيراد هذا البيت ، وأورد سناه في بيتين وهما :

وريشه حتى إذا ما تركته * أذا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وبالمحض حتى آض جعداً عططاً * إذا قام ساوياً غارب الفحل غاربه

تَظَلَّمَنِي مَالِي كَذَا وَلَوَّى يَدِي * لَوَّى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ
وَأَنَّى لَدَاعٍ دَعْوَةٌ لَوْ دَعَوْتُهَا * عَلَى جَبَلِ الرَّيَّانِ لَا تَقْضُ جَانِبُهُ

فبلغ ذلك أميراً كان عليهم ، فأرسل إلى الفتي ليأخذه ، فقال له الشيخ : أخرج من
خلف البيت ، فسبق رُسل الأمير ، ثم أتيت الفتي بأبن عمه في آخر عمره فقال :

• تَظَلَّمَنِي مَالِي خَلِيَجٌ وَعَقْنِي * عَلَى حِينٍ كَانَتْ كَالْحَنِي عِظَامِي
تَحْشِيرُهُ وَأَزْدَدْتُهُ لِيَزِيدَنِي * وَمَا بَعْضُ مَا يَزِدَادُ غَيْرُ عُرَامٍ^(١)

^(٢) وقال يحيى بن سعيد مولى تميم كوفي لأبيه :

• غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُظُّكَ بِأَفْعًا * تُعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَهْتَلُ^(٣)
إِذَا لَيْلَةٌ نَالَتْكَ بِالشُّكْرِ لَمْ أَتِ * لَشُكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ^(٤)
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي * طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمَلُ^(٥)
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْوَقْتَ فِي الْعَمَةِ الَّتِي * إِلَيْهَا جَرَى مَا أَسْتَبِيهِ وَأَسْلُ^(٦)
جَعَلْتَ جَرَانِي مِنْكَ جَبْهًا وَغَلْظَةً * كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعُمُ الْمُنْفَضُّ^(٧)
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبَوَيْ * كَمَا يَفْعَلُ الْجَارُ الْجَاوِرُ تَفْعَلُ^(٨)

قال القاسم بن محمد : قد جعل الله في الصديق البار عَوْضًا مِنَ الرَّحِمِ الْمُدْبِرَةِ

- (١) العرام : الشراة والأذى ، وفي الأصل : « غرام » بالفتح المعجمة وهو تحريف .
• (٢) هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت الفقي كما في الأغاني (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار
الحماسة (ص ٣٥٤ طبع أوروبا) ، وقيل : إنها تروى لابن عبد الأعلى ، وقيل : لأبي العباس الأعمى .
• وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام
بتلايب الولد وسله لوالده قائلا له : « أنت وما لك لأبيك » . (٣) في أشعار الحماسة
• « أدنى إليك » . (٤) رواية هذا البيت في الحماسة :
• (٥) في الحماسة : « ضلت كما الجار ... الخ » .

فلما بلغت السن والغاية التي * إليها مدى ، كنت فيك أو لم

• (٥) في الحماسة : « ضلت كما الجار ... الخ » .

كتب عمر إلى أبي موسى : مَرُّ ذَوَى الْقَرَابَاتِ أَقَّ يَتَرَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا .
 وقال أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : تَبَاعَدُوا فِي الدِّيَارِ تَقَارَبُوا فِي الْمَوْتَةِ .
 قيل لأَعْرَابِيٍّ : مَا تَقُولُ فِي ابْنِ عَمَلِكٍ ؟ قال : عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ .
 وقال قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدِيرٍ * وَسَيِّئِي مِنْ حُدَيْفَةٍ قَدْ شَفَانِي
 قَتَلْتُ بِأَخَوَاتِي سَادَاتِ قَوْمِي * وَقَدْ كَانُوا لَنَا حَلَى الزَّمَانِ
 فَإِنْ أَكُّ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَلِيلِي * فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
 قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، حين تصفح القتلى يوم الجمل : شَفَيْتُ
 نَفْسِي وَجَدَعْتُ أَنْفِي . وفي مثل ذلك قول القائل :^(١)

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أَسْمَ أَخِي * فَإِذَا رَمَيْتُ يُصَيِّبُنِي سَهْمِي
 وَلَوْ أَنَّ عَفْوَتُ لَأَعْفُونُ جَلَّالًا * وَلَوْ أَنَّ قَرَعَتُ لَأَوْهِنُ عَظْمِي
 قتل رجل من العرب ابن أخيه فدفع إلى أخيه لِيَقْبِدَهُ ، فلما أهوى بالسيف
 أُرْعِدَتْ يَدَاهُ ، فالق السيف من يده وعفا عنه وقال :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ نَاسَاءً وَتَعْزِيَةً * إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِيدِ
 كَلَامَهَا خَلْفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ : هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وقال بعضهم :

بَكَرِهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو * تُفَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ النَّصَالِ
 فَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرْكُمْ عَلَيْكُمْ * وَتَقْتُلُكُمْ كَمَا نَا لَا بُدَّ

وقال عدى بن زيد :

وَنَظَمُ ذَوَى الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً * عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ

(١) هو الحارث بن رطله الذهل كما في الحماسة . (٢) في الحماسة : « سطوت » .
 (٣) في الأصل : « لابن أخيه » وهو تحريف .

وقال غيره :^(١)

مَا خُذْ مِنْكُمْ آلَ حَرْبٍ لِحَوْشٍ * وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ وَكُنْتُمْ بَنِي أَبِي
إِذَا كُنْتُ لَا أُرَى وَتُرَى عَشِيرَتِي * تُصَبِّجَانِجَاتُ النَّبْلِ كَشَحِي وَمَنْكِي^(٢)

قال حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البكري

عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«حَقُّ كَبِيرِ الْإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ» .

والعرب تقول في العطف على القرابة وإن لم يكن وأدا : «أَنْفَكَ مِنْكَ وَإِنْ
ذَنْ» . ومثله : «عَيْصُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَشْبَا» .^(٣)

وقال القريب قولب :

إِذَا كُنْتُ مِنْ سَعْدٍ وَأَمَكَ فِيهِمْ * غَرِيْبًا فَلَا يَغْرُزُكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدٍ
فَإِنْ آبَنَ أَخِي الْقَوْمَ مُصْنًى إِثَاوَه * إِذَا لَمْ يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَعْلُدٍ
وقال أمية بن أبي عايد لإياس بن سهم :

أَبْلُغْ إِيَّامَا أَنْ عَرَضَ آبِنِ أَخِيكَ * رِدَاؤُكَ فَاصْطَنْ حُسْنَهُ أَوْ تَبَدَّلْ^(٤)

(١) ذكر هذان البيتان في الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها لجندل بن عمرو . (٢) كنا في ديوان

الحماسة ، وفي الأصل : «آل حرب» . وفيه بدل «لحوش» «بحوش» . (٣) في ديوان
الحماسة : «وإن كان لي مولى» . وقد أشار شارحه إلى رواية الأصل وقال : إنه ما دخله الكف وهو حذف
الساكن من مغايلين ، وهو قبيح في غير الخرج . قال شارح الحماسة : «وليس في الحماسة بيت مكفوف
غيره» . ثم قال : «ويروى مولى» ، فعل هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما
معرفتان مصافتان : مولاى وبني أبي . (٤) في الحماسة : «تخاني» وقيل أراد به الكفاة مولا .

(٥) في الحماسة : «جانحات» بلون أي كاسرات الجناح ، يقال : جنحه إذا كسر جناحه . ويجوز أيضا
أن يكون جانحات من جنح إليه إذا مال . وأشار شارح الحماسة إلى الرواية التي وردت بالأصل ولكنه
استحسن الأولى لأنه لا يقال : رماه فأجناحه . (٦) ذن : سال غمظه وفي جمع الأثل : «وان كان
أذن» . (٧) العيص : الجماعة من الدر تجتمع في مكان واحد . والأشب : شدة الضفاف الشجر حتى
لا يجازيه . (٨) مصنى إثاوه : مقصود حقه ، يقال : أصنى فلان إنا فلان إذا أماله وقصه
ظه . (٩) اصطن : من واخفظ . أمر من اصطن . وهو الاتعال من صان . وتبدل : أمتس .

فإنَّكُ ذا طَوِيلٍ فَأَيُّ ابْنٍ أَخْتِكُمْ * وكلُّ ابْنٍ أَخِيٍّ مِنْ مَدَى الْحَالِ مَعْتَلٍ^(١)
فَكُنْ أَسَدًا أَوْ نَعْلَبًا أَوْ شَبِيهَهُ * فهُمَا تَكُنْ أَتُسَبُّ إِلَيْكَ وَأَتُكَلِّ^(٢)
وَمَا نَعْلَبُ إِلَّا ابْنَ أَخِي نَعَالِبٍ * وإنَّ ابْنَ أَخِيٍّ الْيَتِيمِ رَيْثَالُ أَشْبَلٍ
وكتب بشر بن المغييرة بن أبي صُفْرَةَ إلى عمِّه بهذه الأبيات :

جفاني الأميرُ والمغيرةُ قد جفا * وأمسي يزيدُ لي قد أزوَّجَ جانبُهُ
وكلُّهم قد نال شِبعًا لبطنه * وشبَّعُ الفقى لَوْمٌ إذا جاع صاحِبُهُ
فيا عمَّ مهلاً وأتَّخِذْنِي لِنُوبَةٍ * تتوبُ ، فإنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهُ
أنا السيفُ إلا أن للسيفِ نُبُوَّةٌ * ومثلي لا تَبْشُرُ عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

دخل رجل من أشرف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به
يعيبه ويشتمه ، وفي المجلس رجل يَشْتُوهُ فشرَّع معه في القول ؛ فقال له : مهلاً ! إنِّي
لَا كُلُّ لِحْمِي وَلَا أَدَعُهُ لَا كُلَّ .

ويقال : القُرَابَةُ محتاجة إلى المَوَدَّةِ ، والمَوَدَّةُ أقربُ الأَنْسابِ ، والبيت المشهور في هذا :

فإذا القُرَابَةُ لَا تُقَرِّبُ قَاطِعًا * وإذا المَوَدَّةُ أَقْرَبُ الأَنْسابِ

وقيل لبُزْرِجِمْهَر : أخوك أحبُّ إليك أم صديقك ؟ فقال : إنما أَحَبُّ أُنْحَى إذا
كان صديقًا .

وقال خلداسُ بن زُهَيْرٍ :

رَأَيْتُ ابْنَ عَمِّي بَادِيًا لِي ضَعُفُهُ * ووَاعِزُهُ فِي الصَّدْرِ لَيْسَ بِذَاهِبٍ
وَأَنشَدَنَا الرَّيَّاشِي :

حَيَاةُ أَبِي السَّيَّارِ خَيْرٌ لِقَوْمِهِ * لِمَنْ كَانَ قَدَسُ الأُمُورِ وَجَرَّبًا
وَنَعْتَبُ أحيانًا عَلَيْهِ وَلَوْ مَضَى * لَكَا عَلَى الباقِي مِنَ النَّاسِ أَعْتَبًا

(١) كذا في كتاب أشعار الهذليين ، وهو الذي يتفق مع السياق بعده ، وفي الأصل : « فانَّكُ ... »
(٢) في كتاب أشعار الهذليين : « متل » بالنون المعجمة ، واغثلى : ارتفع . (٣) كذا في أشعار
الهذليين . وفي الأصل : « إليه » .

وقال الشاعر :

- ولم أرَ عِزًّا لأمري كعشيره ^(١) * ولم أرَ ذُلًّا مثل نأْي عن الأهل
ولم أرَ مثل الفقر أَوْضَعَ للفتى * ولم أرَ مثل المالِ أَدْفَعَ للردل
ولم أرَ من عُدِمَ أضَرَ على الفتى * إذا عاش وسط الناس من عَدِمَ العقل
كان مهلهل صارا إلى قبيلة من اليمن يقال لهم جَنْبٌ ، نخطبوا إليه فزوجهم وهو
كارهٌ لا غترابه عن قومه ، ومهروا أبنته أدما ^(٢) فقال :

أنكحها فقدما الأراقم ^(٣) في * جَنْبٍ وكان الجباء من أدم
لـو بابائين جاء يخطبها ^(٤) * رمل ما أنفُ خاطب بدم ^(٥)

وقال الأعشى :

- ومن يفترب عن قومه لا يزل يرى * مصارعَ مظلوم مجرا ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وإن يُبَيَّ ^(٦) * يكن ما أساء النار في رأس ككبجا
وربّ بقيع لو هتفت يحموه * أثنى كريم ينفض الرأس مغضبا ^(٧)

وقال رجل من غطفان :

إذا أنت لم تسبق ودَّ صحابة ^(٨) * على دخنٍ أكثرت بث المعائب

- ١٥ (١) عشيره : قبيلته . (٢) الأدم : اسم جمع للأديم ، والأديم : الجلد ما كان ، وقيل :
الأحمر ، وقيل : المدبوغ . (٣) الأراقم : حتى من تطلب وهي قبيلته . (٤) أبائين :
تثنية أبان ، وما جبلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض ، وللآخر : أبان الأسود . (٥) رمل :
خضب بالدم . وفي الأغاني (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « خرج » .
(٦) ككبج : جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) ينفض الرأس : يحرّكه كالسهم عما
يقال له . (٨) على دخن : على كدورة . وأصل الدخن (بالتحريك) : مصدر دخنت النار إذا ألتق
٢٠ عليها حطب وطب وكثرت دخانها ، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا إلى سواد .

وَأَتَى لِأَسْتَبْقَى أَمْرًا سَوِيًّا مُدَّةً * لَمَتَّوْهُ عَرِيضٌ مِنَ النَّاسِ عَائِبٌ^(١)
 أَخَافُ كَلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَتَجَحَّهَا * إِذَا لَمْ تُجَاوِبْهَا كَلَابُ الْأَقَارِبِ
 قَالَ رَجُلٌ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ : مَا تَقُولُ فِي مَوْتِ الْوَالِدِ ؟ قَالَ : مَلَكَ حَادِثٌ ؛
 قَالَ : فَمَوْتُ الزَّوْجِ ؟ قَالَ : عُرْسٌ جَسِيدٌ ؛ قَالَ : فَمَوْتُ الْأَخِ ؟ قَالَ : قَصٌّ
 الْجَنَاحِ ؛ قَالَ : فَمَوْتُ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : صَدْعٌ فِي الْفَوَادِ لَا يُجْبَرُ .

وَكَانَ يُقَالُ : الْعُقُوقُ تُكَلُّ مِنْ لَمْ يَشْكَلْ .

شَكَا عُمَانُ عَلِيًّا إِلَى الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ فَقَالَ : أَنَا مِنْهُ كَأَبِي الْعَاقِ ، إِنْ عَاشَ
 عَقَهُ وَإِنْ مَاتَ بَجَعَهُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِي ، إِنْ عَظِمَ حَقُّكَ عَلَيَّ لَا يُثِيبُ صَغِيرَ حَقِّي عَلَيْكَ ،
 وَالَّذِي تَمَّتْ بِهِ إِلَيَّ أُمْتُ بِمَثَلِهِ إِلَيْكَ ، وَلَسْتُ أَزْعِمُ أَنَا عَلَى سَوَاءٍ . ١٠

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ لِأَبْنَتِهِ يَحْيَى : إِنْ اللَّهُ لَمْ يَرْضَكَ لِي فَأَوْصَاكَ بِي ، وَرَضَينِي
 لَكَ فَلَمْ يُوصِنِي بِكَ .

غَضِبَ مَعَاوِيَةُ عَلَى زَيْدِ بْنِ أَنَسٍ فَهَجَرَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
 أَوْلَادُنَا ثِمَارُ قُلُوبِنَا وَعِمَادُ ظُهُورِنَا ، وَنَحْنُ لَهُمْ سَمَاءٌ ظَلِيلَةٌ ، وَأَرْضٌ ذَلِيلَةٌ ، فَإِنْ غَضِبُوا
 فَأَرْضِيهِمْ ، وَإِنْ سَأَلُوا فَأَعْطِهِمْ ، وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ قُتْلًا فَيَعْلَوْا حَيَاتَكَ وَيَتَمَنَّوْا مَوْتَكَ . ١٥

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ أَبْنُوكَ ؟ — وَكَانَ عَاقًا — فَقَالَ : عَذَابٌ رَغِفَ بِهِ النَّهْرُ ،
 فَلَيْتَنِي قَدْ أَوْدَعْتُهُ الْقَبْرَ ، فَإِنَّهُ بَلَاءٌ لَا يُقَاوِمُهُ الصَّبْرُ ، وَفَائِدَةٌ لَا يَجِبُ فِيهَا الشُّكْرُ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : أَيُّ وَلَدِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : صَغِيرُهُمْ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَصَرِيضُهُمْ
 حَتَّى يَبْرَأَ ، وَغَائِبُهُمْ حَتَّى يَقْدَمَ .

٢٠ (١) التَّزْيِيزُ : الَّذِي يَتَرَوَّضُ لِلنَّاسِ بِالْإِشْرَ . (٢) رَغِفَ (بَكَرَعِيَّة) : سَبَقَ وَتَقَدَّمَ .

ناول عمر بن الخطاب رجلاً شيئاً فقال له : خدمك بنوك ؛ فقال عمر : بل
أغنانا الله عنهم .

وولد للحسن غلام، فقال له بعض جلسائه : بارك الله لك في هبته، وزادك من
أحسن نعمته ؛ فقال الحسن : الحمد لله على كل حسنة ، ونسأل الله الزيادة في كل
نعمة ، ولا مرجحاً بمن إن كنت عائلاً أنصبنى، وإن كنت غنياً أنعملي، لا أرضى
بسمعي له سعياء، ولا بكدي له في الحياة كدّاً، حتى أشفق له من الفاقة بعد وفاتي، وأنا
في حال لا يصل إلى من غمه حزن ولا من فرحه سرور .

قال الأصمعي : عاب أعرابي ابنه في شرب النبيذ، فلم يثبت وقال :
أين شربة من ماء ككرم شربتها * غضبت علي ! الآن طاب لي الخمر
سأشرب فأغضب لا رخصت، كلاهما * إلى لذيذ : أن أعفك والسكر
وقال الطير قاح لابنه صمصامة :

أصمصامُ ابن تشفع لأهلك تلقها * لها شافع في الصدر لم يبرج
هل الحب إلا أنها لو تمزجت * لنجحك يا صمصام قلت لها أذبحي
أحاذر يا صمصام إن يث أن يلى * تُرائي وإياك أمرؤ غير مُصلح
إذا صك وسط القوم رأسك صكة * يقول له الناهي ملكك فاصبح^(١)

وانشد ابن الأعرابي :

أحب بُنتي ووددت أني * دأنت بُنتي في قعر لحديد
وما بي أن تهون علي لكن * مخافة أن تنوق البؤس بعدي

(١) لم يثبت : م يرضه ولم يبرج عن الشراب الذي غضب عليه من أجله . (٢) أصح :

ونحوه قول الآخر :

لولا أُمِّيَّةٌ لم أجزع من العَدم * ولم أجب في الليالي حِنْدَسَ الظُّلم
وزادني رغبةً في العيش معرقي * ذُلُّ اليتيمة يحفوها ذوو الرِّحم
أحاذر الفقر يوما أن يُلمَّ بها * فيهلك السَّتر من الحِمْ على وَصم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقًا * والموت أكرمُ نَزَلٍ على الحُرِّم

وقال أعرابي في أخته :

يا شقة النفس إن النفس والهمة * حَرَى عليك ودمع العين مُنْسيجُم
قد كنتُ أخشى عليها أن تُقتلني * إلى الحمام فيُدى وجهها العَدم
فآلآتِ نِمتُ فلا همَّ يُورقني * تهدي العيون إذا ما أودت الحُرِّم

وقال أعشى سُليم :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ وَافِدٍ * إذا ما البيوتُ لِسْنِ الجليدا
كفيت الذي كنتُ أرْجى له * فصرت أبا لي وصرتُ الوليدا
وقال أعشى همدان في خالد [بن عتاب] بن ورفاء :

فإن يكُ عَتَابٌ مَضَى لسبيله * فما مات من يَبقى له مثلُ خالدٍ

وفي الحديث المرفوع : ”ريحُ الولد من ريح الجنة“ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد أبني بنته : ”إنكم تُحِبُّونَ وإنكم تُبْخَلُّونَ وإنكم لِنِ رِيحَانِ اللَّهِ“ .

وقالت أعرابية :

يا حَبْدَا رِيحُ الوَلَدِ * رِيحُ الخُرَّامِ بالبَلَدِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هذا يدلُّك على تفضيلهم الخُرَّامِ .

وكان يقال : ابْنُكَ رِيحَانُكَ سَبْعًا ، وخادمك سَبْعًا ، ثم عدوُّ أو صديق .

مرّ أعرابيٌ يَنْشُدُ أبنا له بقوم، فقالوا : صِفْهُ ؛ فقال : دُنَيْبٌ، قالوا : لم نَرَهُ ؛ فلم يَلْبِثِ القومُ أن جاء على عُنُقِهِ يُجْعِلُ ؛ فقالوا : ما وجدتَ أبناكَ يا أعرابي ؟ قال : نعم هو هذا ؛ قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرتاك ، ما زال منذَ اليومَ ين أيلينا .
قال الشاعر في امرأة :

نعمَ جَنِيحُ الفتى إذا بردَ ال * ليلُ مُخَيَّرًا وقرَقَفَ الصِّردُ^(١)
زيناها الله في العيون كما * زُينَ في عين والدٍ ولدُ
وفي الحديث : "من كان له صبيٌّ فَلْيَسْتَصِبْ لَهُ" .
وقال الزبير وهو يرقصُ أبنا له :

أبيضُ من آل أبي عَتِيْق * مباركُ من ولد الصَّدِيقِ
* أَللهُ كما أَلَدَريقُ *
وقال أعرابي :

لولا بُنَاتُ كُزُغِ القَطَا * حُطِطْنَ من بعضِ الى بعضِ^(٢)
لكانَ لى مُضْطَرَبٌ واسعٌ * في الأرضِ ذاتِ الطُولِ والعَرْضِ
وانما أولادُنا بيننا * أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هبَّتِ الرِّيحُ على بعضهم * لامتنتُ عني من الغَمِضِ
أنزَلنى الدهرُ على حَكَمِهِ * من مَرَقِبٍ عالٍ الى خَفِضِ
وأبترنى الدهرُ ثيابَ الفنى * فليس لى مالٌ سوى عِرْضِ
قال بعضُ النِّسائيين : إنما قيل : سَعْدُ العَشيرة ، لأنه كان يركب في عشرة من ولده ، فكانهم عَشيرة .

(١) قرَف : أَرَدَ من البرد . والصرد : الرجل القوي على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات في الأملج ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية ببعض مخالفة عما هنا ، وذكرنا أيضا في الخامسة شرح التبريزي طبع أدور بالمر ١٤١ وفيها اختلاف في الرواية وتقديم وتأخير في ترتيب الأبيات ، ونسبت إلى حطّان بن المعل .

وقال ضرار بن عمرو الضبيّ، وقد رُئي له ثلاثة عشر ذكرا قد بلغوا : من سرّه
بنوه ساءتة نفسه .

قال بشر بن أبي خازم :

إذا ما علّوا قالوا أبونا وأئنا * وليس لهم عَالِينٌ أمٌ ولا أبٌ^(١)

وقال آخر :

أنا أبٌ عمك إن نابتك نائبة * وليس منك إذا ما كعبك اعتدلا

وأشدنا الرّياشي :

الرحمُ بلّها بخير البُلان^(٢) * فإنّ فيها للديارِ العمرانُ

وأمر المال وبنت الصفران^(٣) * وإنما آشتقت من أسم الرحمن

وقال المعلّوط :

ومن يلق ما ألقى وإن كان سيّدا * ويخش الذي أخشى يسر سيرة هارب
غفاة سلطانٍ على أظنه * ورهطى ، وما عاداك مثل الأقارب

دخل عثمان بن عفان على أخته وهي عند عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال :
يا بنية : ما لي أراك مهزولة ؟ لعل بعلل^(٤) يُغيرك ؟ فقالت : لا ، ما يُغيرني ؛ فقال
لزوجها : لعلك تُغيرها ! قال : فافعل ، فلغلام يزيد الله في بني أمية أحبّ إلىّ منها .

(١) طالين : حال من الضمير في « لهم » . (٢) بلّ الرحم يبلّها (بضم الباء) بلا وبلالا :

وصلها ونذاها . والبلان : قال ابن سيده : « يجوز أن يكون البلان اسما واحدا كالنفران والريحان وأن

يكون جمع بل » . (٣) كذا بالأصل ولم نوفق إليه في مصدر آخر، وقد أورد في اللسان مادة بلل هذا

الشعر مقتصرًا فيه على مصدر البيت الأول وبجزاليت الثاني . (٤) أغار الرجل امرأته : تزوّج من

أخرى فأحدث عندها الفيرة .

قال النعمان بن بشير :

وإني لأعطي المالَ مَنْ ليس سائلا * وأدركُ للولى المغانيدَ بالظلم
وإني متى ما يلقى صارما له * فإبيننا عند الشدائد من صرم
فلا تعُدِّ المولى شريكك في الغنى * ولكننا المولى شريكك في العُدم
إذا متَّ ذو القربى إليك بِرَحْمِهِ * وعشك وأستغنى فليس بذى رَحْمٍ
ولكن ذَا القربى الذى يستخفه * أذاك ومن يرى العدو الذى تَربى

وقال بعض الشعراء :

لقد زاد الحياة إلى حبا * بناتى أنهن من الضعاف
عجاف أن يرين البؤس بعدى * وأن يشرن رقبا بعد صافي
وأن يعررن أن كسى الجوارى * فنبو العين عن كرم عجاف^(١)
قيل لعلى بن الحسين : أنت من أبر الناس ولا نراك تؤاكل أمك ؛ قال :
أخاف أن تسير يدى الى ما قد سبقت عينها اليه فأكون قد عَقَقْتُها .
قيل لعمربن نذر : كيف كان ير أبوك بك ؟ قال : ما مشيتُ نهرا قط إلا مشى
خلفى ، ولا ليلا إلا مشى أمامى ، ولا رقي سطحا وأنا تحته .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عطاء بن السائب عن
عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده :

تركت أباك مُرْعَشَةً يده * وأمك ما تُسبِّغ لها شرابا
إذا غنَّت حمالة بطن وجَّ * على بيتضاتها ذكرت كلابا

فقال عمر : مم ذاك ؟ قال : هاجر الى الشام وترك أبوين له كبيرين ، فبكى عمر
وكتب الى يزيد بن أبي سفيان في أن يرَّحله ، فقدم عليه ، فقال : يرَّ أبويك وكن معهما
(١) كرم : كريمات : وإذا وصف بالمصدر التزم فيه الإفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مُرَبَّعةٌ كِلابٌ بالبصرة إليه تنسب ، والعوام تقول مُرَبَّعة الكلاب .

قال أبو علي الضرر :

أَتَيْتُكَ جَدْلَانِ مُسْتَبْشِرًا * لِبُشْرَاكِ لِمَا أَتَانِي الْخَبْرُ
أَتَانِي الْبَشِيرُ بَانَ قَدْ رُزِقَتْ * غَلَامًا فَأَهْجَنِي مَا ذَكَرُ
وَأَنْتَ ، وَالرُّشْدُ فِيمَا فَعَلَا * تَ ، أَسْمِيَّتَهُ بِأَسْمِ خَيْرِ الْبَشَرِ
وَطَهَّرْتَهُ يَوْمَ أُسْبُوعِهِ * وَمَنْ قَبْلُ فِي الذِّكْرِ مَا قَدْ طَهَّرُ^(١)
فَعَمَّرَكَ اللَّهُ حَتَّى تَرَا * هَذَا قَارِبَ الْخَطْوَةِ مِنَ الْكِبَرِ
وَحَتَّى تَرَى حَوْلَهُ مِنْ بَنِيهِ * وَإِخْوَتِهِ وَبَيْنَهُمْ زُمَرُ
وَحَتَّى يَرُومَ الْأُمُورَ الْحَسَامَ * وَيُرْجَى لِنَفْعٍ وَيُخْشَى لَضُرِّ^(٢)
وَأَوْزُطِكَ اللَّهُ شُكْرَ الْعَطَاءِ * فَإِنَّ الْمَزِيدَ لَعَبْدٍ شَكَّرُ
وَصَلَّى عَلَى السَّلَفِ الصَّالِحِ * نَ مِنْكُمْ وَبَارَكَ فِيمَنْ غَبَرُ^(٣)

١٠

وهذا قد وقع في باب التهانئ أيضا .

قال المأمون : لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من بره به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن وهما في السجن ، ففتحهما السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة ، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قفم^(٤) كان يسخن فيه الماء ، فلأه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائما وهو في يده حتى أصبح .

١٥

(١) ما هنا زائدة . ولعل المأث من آل البيت ، فأشار بطهارته في الذكر إلى قول الله تعالى : (إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَلْعَبَ عَنْكُمْ الرَّحْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) . (٢) أوزطك : أهلك ، وفي الأصل : «أودعك» . (٣) غبر : بقى ، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد . (٤) قفم : إنا ، من نحاس .

٢٠

رقص أعرابيُّ ابنه وقال :

أُحِبُّهُ حُبَّ الشَّجِيعِ مَالَهُ * قد كان ذاق الفقر ثم ناله
* إذا يُريد بَذْلَهُ بَدَا لَهُ *

- دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده أخته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : هذه تُفَاحَةُ القلب ؛ فقال : أَيْنِذَا عَنكَ ؛ قال : ولم ؟
قال : لَأَنْهَن يَلِدُن الأعداء ، وَيُقَرِّبُن البُعداء ، وَيُورِثُن الضغائن ؛ فقال : لا تَقُلْ ذلك يا عمرو ، فوالله ما مَرَضَ المريض ولا تَلَبَّ الموتى ولا أَعَانَ على الأحران مثلهن ، وإنك لو أجدُّ خلا قد نفعه بنو أُخته ؛ فقال له عمرو : ما أعلبك إلا حَبِثَتَن إلى .

الاعتراف

- كان يقال : الاعتراف يَهْدِمُ الاعتراف .
كتب بعض الكتَّاب إلى بعض العمال : لو قابلت حَقَّكَ على بِمَتَقَمِّ المودة ومؤكد الحرمة إلى ما جَدَّه الله لك بالسلطان والولاية ، لم أَرْضَ في قضائه بالكتاب دون تَجَشُّم الرحلة ومُعَانَاة السفر اليك ، لا سيما مع قُرب الدار منك ؛ غير أن الشغل بما أَلْفَيْتُ عليه أمور من الانتشار وعلائق الخراج وغير ذلك مما لا خيار معه ، أَهْلَيْتُ في الظاهر محلَّ المُقَصِّرِينَ ؛ وإن وهب الله فُرْجَةً من الشغل وسهَّلَ سبيلًا اليك ، لم أَتَخَلَّفَ عما لي فيه الخط من مجاورتك والتنسم بريحك واليتمُّ بالنظر اليك ، غاديا ورائحا عليك ، إن شاء الله تعالى .

(١) كتب ابن الجهم إلى نجاح من الحبس :

- إن تَعَفَّ عن عبدك المسير ففى * فضلك ماوى للصَّفْحِ والمِنَنِ
أُتَيْتُ ما أَسْتَحِقُّ من خطا * فعُدْ لما أَسْتَحِقُّ من حَسَنِ

(١) في الأصل : «أبو الجهم» وهو مخريف .

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفو من القادر * لا سيما عن غير ذي ناصر
إن كان لي ذنبٌ، ولا ذنبَ لي، * فإله غيرك من غافر
أعوذ بالوَد الذي بيننا * أن يُفسد الأول بالآخر
كتب رجلٌ إلى جعفر بن يحيى يستبطنه، فوقع في ظهر كتابه : أحتج عليك
بغالب القضاء، وأعتذر إليك بصادق التَّيَّة .

قال بعض الشعراء :

وتعذر نفسك إِمَّا أَسَاتَ * وغيرك بالعذر لا تعذر
وتُبصر في العين منه القذى ^(١) * وفي عينك الخدع لا تُبصر

وقال بعض الشعراء :

يا ذا المميز للإخاء ولا * إخوان في التفضيل والقدر
لا يَقْبِضَنَّكَ عن معاشرتي * بالأنس أن قصرت في برّي
إني إذا ضاق أمرٌ ^(٢) يَجِدَا * عني آستعنتُ عليه بالعذر
وفي الحديث المرفوع : " من لم يقبل من معتذر صادقًا كان أوكاذبا لم يرد
على الخوض " . وفيه : " أقبلوا ذوى الهنات عثراتهم " .

اعتذر رجل إلى أبي عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيتُ عذرا أشبه باستئناف
ذنبٍ من عذرك .

وكان يقال : أعجلُ الذنوب عقوبة العذر، واليمينُ الفاجرة، وردُّ التائب وهو
يسأل العفو خائبا .

(١) في الأصل : « وتبصر في غيرك القذى » . وفي الحديث : « يبصر أحدكم القذى في عين
أخيه ولا يبصر الخلل في عينه » . والخلل : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على
مثال شواريح النخل . (٢) الجدا (وزان قن) : العطية .

وقال مطرف : ^(١) المَآذِرُ مَكَاذِبُ .

اعتذر رجل الى ابراهيم فقال له : ^(٢) قد عذرتك غير معتذر، إن المآذير يشوبها الكذب .

ويقال . ما اعتذر مذنب إلا آزداد ذنباً .

وقال الشاعر :

٥

لا تَرَجُ رجعة مذنب * خلط احتجاجاً باعتذار

اعتذر رجل الى سلم بن قتيبة، فقبل منه وقال : لا يدعوتك أمر تخلصت منه الى أمر لعلك لا تتخلص منه .

وقال الشاعر :

١٠ فلا تعذرناني في الإساءة إنه * شرار الرجال من يسىء فيعذر
وقال ابن الطيرة :

هينى أمراً إما بريئاً ظلمته * وإما مسيئاً تاب بعد وأعتباً

وكنْتُ كذى داءٍ تنبى لدائه * طيباً فلما لم يجده تطيباً

كتب بعض الكتاب معتذرا : توهمت ، أعزك الله ، نفرتك عند نظرتك الى

١٥ عنوان كتابي هذا بأسمى ، لما تضمته من السخيمة على ، فأخليت منه ، وانتظرت باستعطافك من طوييتك في عاقبة أمسداد العهد ، وأمنت أضطغانك لى الدين الحقد ، واختصرت من الاحتجاج المنسب الى الإصرار ، والاعتذار المتعاولين النظراء ، والإقرار المثبت للأقدام ، الاستسلام لك . على أنك إن حرمتنى رضاك أئسعت بعفوك ، وإن أعدمنيها تَوَعَّرَ صدرك لم تَصُقْ من الرقة على من مُصيبة

٢٠ (١) هو مطرف بن الشخير . والمآذر : جمع مذرة بمعنى الطور ، والمكاذب : جمع الكذب كالحاسن والمقاسم ، وهو كقولهم : إن المآذير يشوبها الكذب . (٢) هو ابراهيم النخعي .
(٣) في الأصل : « سالم » وهو مخرب .

الحِرمَان ؛ وإِن قسوتَ رجعتَ بك عواطفُ من أياديكَ عندى نازعةٌ بك الى
استِمَامِها لدى . ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلةُ سُوء من خُؤلوا بالإحسان .
ولا نعمة على مجرم اليه أجلُّ من الظفر ، ولا عقوبة لمجرم أبلغ من الندم ؛ وقد
ظفِرتَ وندمتُ . كتبتُ وأنا على ما يُحبُّ بشرًا ^(١) إن تنمدت زلتى ، وكما تُحبُّ ضراء
إن تركت إقالنى ، وبخير في كلتا الحالتين ما بقيت .

وكتبتُ في كتاب اعتذار واستعطاف : كم عسى أن يكون أنتظاري لعطفك !
وكم عسى أن يكون تماديك في عتبك ؛ لولا أنى مضطراً الى وصلك وأنت مطبوع
على هجرى . لقد استحييتُ واستحييتَ من ذلِّ وعِزِّك . وحَفَضى جَنَاحى ونأى
بجانبك .

وفي كتاب آخر : قد أودعنى الله من نعمك ما بسطنى فى القول مُدلاً به عليك ،
وَوَكَّد من حُرْمَتى بك ماشفع لى فى الذنوب اليك ، وأَعْلَقنى من أسبابك ما لا أخاف
معه نبوات الزمان علىّ فيك ، وأَمْتَنَتى بملك وأنا لك بادرة غضبك ؛ فاقدمتُ ثقةً
بإقالك إن عقرتُ ، وبتقويمك إن زُغْتُ ، وبأخذك بالفضل إن زَلَلْتُ .

وفي كتاب اعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقتك ؛ فإن تجمع علىّ العلة وعتبك أَفْدَح ^(٢) .
على أن ألم الشوق قد بلغ بك فى عقوبتي ؛ وحضرني هذا البيتُ على ارتجال فوصلتُ
به قولى :

لك الحقُّ إن تَعْتَبُ علىّ لآئى * جَفَوْتُ وإما تَتَغَفَّرُكَ الفضلُ
أنهيتُ عذرى لأتهى الى تَفَضُّلك بقبوله وإن أَبْلَكَ بِمَعِ إفراطى فى البرِّ بك
تفرطى فيه ، والى ذلك ما أسألك تعريفى خيرك لأراح اليه ، وأستريدُّ الله فى أمره لك .

٢٠ (١) فى الأصل : « شرا » . (٢) أفدح : أهبط وأقل . (٣) من هنا الى آخر الكتاب
غير واضح فى الأصل وقد أثبتناه هكذا جهداً وصلت اليه الطائفة ، على أن لم نشر على هذا الكتاب فى مصدر آخر .

وفي فصل آخر :

أنا المُقَرَّبُ بِقُصُورِي عَنْ حَقِّكَ، وَأَسْتَحِقُّ جَفَاءَكَ، وَبِفَضْلِكَ مِنْ عَنَّاكَ أَعُوذُ،
فَوَاللَّهِ لَنْ تَأْخُذَ كِتَابِي عَنْكَ، مَا أَسْتَرِيدُ نَفْسِي فِي شُكْرِ مَوَدَّتِكَ، وَطِيفِ عَنَانِكَ. وَكَيْفَ
يَسْلَاكَ أَوْ يَنْسَاكَ أَخِي مُقَرَّمُ بِكَ يَرَاكَ زِينَةَ مَشْهُدِهِ وَمَغِيْبِهِ ! .

• وَكَيْفَ أَنْسَاكَ لَا أَيْدِيكَ وَاحِدَةً * عِنْدِي وَلَا بِالَّذِي أَوَّلَيْتَ مِنْ نَعَمٍ

وفي آخر الكتاب :

إِذَا أَعْتَذَرَ الصَّدِيقُ إِلَيْكَ يَوْمًا * مِنَ التَّقْصِيرِ عَذْرًا أَخِي مُقَرَّرٌ
فُضْنُهُ عَنْ عِتَابِكَ وَأَعْفُ عَنْهُ * فَإِنَّ الصَّفْحَ شَيْئٌ كُلُّ حَرٍّ

وقال الخليل بن أحمد :

١٠ لو كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي * أَوْ كُنْتُ أَجْهَلُ مَا تَقُولُ عَذْرَتُكَ
لَكِنْ جَهِلْتُ مَقَالَتِي فَعَذْلَتِي * وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذْرَتُكَ
قِيلَ لُبُّدٌ جَمِهر : مَا بِالْكَمِّ لَا تُعَاتِبُونَ الْجَهْلَةَ ، قَالَ : لَأَنَا لَا زَيْدَ مِنَ الْعُمَيَّانِ
أَنْ يُبْصِرُوا .

وقال ابن الدنينة :

١٥ بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ * بَعْضُ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ
وَلَمْ يَعْذِرْ عَذْرَ الْبَرِّ، وَلَمْ تَزَلْ * بِهِ ضَعْفَةٌ (١) حَتَّى يَقَالَ مُرِيبٌ
وَكُتِبَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَتَذَرُ : أَنَا مِنْ لَا يُحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا يُعَالِطُكَ
عَنْ جُرْمِهِ، وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ ، وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ ،
وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ بِالزَّلَّةِ .

(١) في الأصل : « أَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتُكَ » وهو خطأ من النسخ . (٢) في حاشية
أبي تمام : « سكتة » . وفي بعض كتب الأدب : « بهتة » .

وقرأت في كتاب: لست أدري بأى شيء استجرت تصديق ظنك حتى أنفدت على به حكم قطيعتك ، فوالله ما صدق على ولا كاد ، ولا استجرت ما توهمته فيمن لا يلزمني حقه . وأعينك بالله من يدار إلى حكم يوجب الاعتذار ، فإن الأناة سبيل أهل التقى والنهى ، والظن والإسراع إلى ذوى الإخاء يُنتجان الجفاء ، ويُميلان عن الوفاء^(١) إلى اللفاء .

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر إلى رجل في آخر يوم من شعبان : والله فإني في غير يوم عظيم ، وتلقاء ليلة تفتت عن أيام عظام ، ما كان ما بلغك .

وقرأت في كتاب معتذر : إنك تُحسِّن مجاورتك للنعمة ، وأستدامتك لها ، واجتلابك ما بعد منها بشكر ما قرب ، واستعمالك الصنح لما في عاقبته من جميل عادة الله عندك ؛ ستقبل العذر على معرفة منك بشناعة الذنب ، وتُقيل العثرة وإن لم تكن على يقين من صدق النية ، وتدفع السيئة بالتي هي أحسن .

اعتذر رجل إلى جعفر بن يحيى البرمكي ، فقال له جعفر : قد أغناك الله بالعذر منا عن الاعتذار ، وأغنانا بالموادة لك عن سوء الظن بك .

وقال بعض الشعراء :

إذا ما أمرؤ من ذنبه جاء تائباً * إليك فلم تَغْفِرْ له فلك الذنبُ

كان الحسن بن زيد بن الحسن والياً للنصور على المدينة ، فهجاه ورد بن عاصم المبرسم فقال :

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميلُ

وقد كان الرسول يرى حقوقاً * عليه لأهلها وهو الرسولُ

٢٠ (١) اللفاء : اليسير الحقير ، يقال : رضى فلان من الوفاء بالفاء ، أى رضى من حقه الوافى بالقليل .

(٢) غير يوم : بواقية ، جمع غابر .

فطلبه الحسن فهرب منه ، ثم لم يشعر إلا وهو مائل بين يديه يقول :
 سيأتي عذري الحسن بن زيد * وتشهد لي بصفتي القبور
 قبور لو بأحمد أو علي * يلوذ بحجيرها بحفظ المحير
 هما أبوك من وضعا تضعه * وأنت برقع مارقا جدير

فاستخف الحسن كرمه ، فقام إليه فبسط له رداءه وأجلسه عليه .

وفي كتابي لمعتذر : علو الرتبة واتساع القدرة وأنبساط اليد بالسطوة ، ربما
 أنست ذا الحق المحفوظ من الأحرار فضيلة العفو وعائدة الصفح وما في إقالة المذنب
 واستبقائه من حسن السماع وجميل الأحكام ، فبعثته على شفاء غيظه ، وحركته
 على تبريد غلته ، وأسرعته به إلى مجانبه طباعه وركوب ما ليس من عادته . وهمتك
 تجل عن دناءة الحقد ، وترتفع عن لؤم الظفر .

وفي فصل : نبت بي عنك غيرة الحدائث فردتني إليك الحنكة ، وواعدتني عنك
 الثقة بالأيام فادننتني إليك الضرورة ، ثقة بإسراعك إلي وإن كنت أبطأت منك ،
 وقبولك العذر وإن كانت ذنوبي قد سدت عليك مسالك الصفح ، فأى موقف هو
 أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبة فيه لك ! وأى خطية هي أودى بصاحبها من
 خطية أنا راكبها لولا أنها في رضاك ! .

أوقع التجاج يوما بخالد بن يزيد يعيه ويتقصه وعنده عمرو بن عبدة : فقال
 عمرو : إن خالدا أدرك من قبله وأتعب من بعده بتقديم غلب عليه وحديث لم يسبق
 إليه ، فقال التجاج معتبرا : يا بن عبدة ، إنا لنسترضيكم بأن نغضب عليكم ، ونستعطفكم

بان نال منكم ، وقد غلبتم على الحلم ، فوثقنا لكم به ، وعلينا أنكم تحبون أن تحلموا ،
فعرضنا للذي تحبون .

قال المنصور لرجل أتاه تائباً معذيراً من ذنب : عهدي بك خطيئاً فما هذا
السكوت ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لست وفد مباهاة وإنما نحن وفد توبة ، والتوبة
تُلقى بالامتكانة .

وقع بين أبي مسلم وبين قائد له كلام ، فأرَبى عليه القائد الى أن قال له :
يا لقيط ! فاطرق أبو مسلم ، فلما سكنت عنه فورة الغضب ندم وعلم أنه قد أخطأ
 واعتذر وقال : أيها الأمير، والله ما أنبسطت حتى بسطتني ولا نطقت حتى أنطقتني
فاغفر لي ؛ قال : قد فعلت ؛ فقال : إني أحب أن أستوثق لنفسى ؛ فقال أبو مسلم :
سبحان الله ! كنت نسيء وأحسين ، فلما أحسنت أسيء ! .

قال الطائي :

وكم ناكث للعهد قد نكثت به * أمانيه واستخدي بحقك باطله
خاط له الإقرار بالذنب روحه * وجناته اذ لم تحطه قبائله

وقال آخر :

حتى متى لا تزال معذيراً * من زلة منك ما أثجائبها
لا تشق عيبها عليك ولا * ينهك عن مثلها عواقبها
لتركك الذنب لا تقارفه * أيسر من توبة تقاربها
قال أعرابي لأبن عم له : سأتحطى ذنبك الى عذرك ، وإن كنت من أحدهما
على يقين ومن الآخر على شك ؛ ليتم المعروف مني اليك ، ولتقوم الحجة مني
عليك .

عَنْبُ الْإِخْوَانِ وَالتَّبَاغُضِ وَالْعَدَاوَةِ

حدثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ مُعَاذَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ هِشَامَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَجِلُّ مُسْلِمٌ أَنْ يُصَارِمَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، وَأَيُّمَا فَعَلَ فَإِنَّهُمَا نَاكِحَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرْمِهِمَا وَإِنْ مَاتَا لَمْ يَتَخَلَّ الْجَنَّةُ» .

قال بعض الشعراء :

سَنَ الضَّغَائِنِ آبَاءُ لَنَا سَلَفُوا * فَلَنْ تَبِيدَ وَالْآبَاءُ أَبْنَاءُ

هذا مثل قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : العداوة تُتَوَارَثُ .

وقرأت في كتاب للهند : إذا كانت المَوَاجِدَةُ عن علة كان الرضا مرجوًا ، وإذا

كانت عن غير علة كان الرضا معدوما . ومن العجب أن يطلب الرجل رضا أخيه
فلا يَرْضَى ، وأعجب من ذلك أن يُسَخِّطَهُ عَلَيْهِ طَلَبُهُ رِضَاهُ .

قال بعض المحدثين :

فَلَا تَلْهُ عَنْ كَسْبِ وَدِّ الْعَدُوِّ * وَلَا تَجْمَعَنَّ صَدِيقًا عَدُوًّا

وَلَا تَقْتَرِرْ بِهِ لَوْ أَمْرِي * إِذَا هِجَّ فَارِقَ ذَلِكَ الْمَدْرَا

وقال آخر :

أَحْذَرُ مَوَدَّةَ مَا ذِيقَ^(١) * شَابَ الْمَرَارَةَ بِالْحَلَاوَةِ

يُحْصِي الْعُيُوبَ عَلَيْكَ أَيَّامَ الصَّدَاقَةِ وَالْعَدَاوَةِ

وقال أبو الأسود الدؤلي :

إِذَا الْمَرْءُ ذَوُّ الْقُرْبَى وَذَوُ الضَّغْنِ أَجْحَفَتْ * بِهِ سَنَةٌ حَلَّتْ مَصِيبَتُهُ حَقِيدِي

(١) المذاق : الذي يشوب الودة بكدر ولا يخلصه .

وقال محمد بن أبان اللّاحق لأخيه إسماعيل :

تلوم على القطيعة من أتاها * وأنت سنتها في الناس قبلي

وقال آخر :

ورؤعت حتى ما أراع من التوى * وإن بان جبرأت على كرام

فقد جعلت نفسي على اليأس تنطوي * وعبني على هجر الصديق تسام

قال أحمد بن يوسف الكاتب :

ما على ذاكنا أفرقتنا بسندنا^(١) * دولا بيننا عقدنا الإخاء

نظمن الناس بالمتقفة السمة * بر على غدرهم ونفسى الوفاء

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسان من عدوه ؟ قال : بأن يزداد فضلا

١٠ في نفسه .

وكان يقال : احذر معاودة الذليل ، فربما شرق بالذباب العزيز .

كتب رجل من الكلاب الى صديق له يتجنى عليه :

عبت على ولا ذنب لي * بما الذنب فيه ولا شك لك

وحاذرت لومي فبادرتني * الى اللوم من قبل أن أبذرك

فكنا كما قيل فيما مضى * خذ الص من قبل أن ياخذك

١٥

وقال آخر :

رأيتك لما نلت مالا، ومنا * زمان ترى في حد أنيابه شغبا^(٢)

جعلت لنا ذنبا لتمتع نائلا * فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

(١) ستاد : اسم موضح . (٢) الذنب : تهيج الشر ، وفي الأصل : «شعبا» .

وقال آخر :

تُرِيدُ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتَ بِخَيْلَةٍ * وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرِضِي الْأَخْلَاءَ بِالْبَخْلِ
وَجَدَّكَ لَا يُرِضِي ^(١) إِذَا كَانَ عَاتِبًا * خَلِيلُكَ إِلَّا بِالْمَوَدَّةِ وَالْبَذْلِ
مَنْ تَجَمَّعِي مَتَا كَثِيرًا وَنَائِلًا * قَلِيلًا يَقْطَعُ ذَاكَ بَاقِيَةَ الْوَصْلِ

كتب رجل الى صديق له :

لَنْ سَاءَ لِي أَنْ يَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ * لَقَدْ سَرَّنِي أَنَّيْ خَطَرْتُ بِبَالِكَ ^(٢)

وقال آخر :

إِذَا رَأَيْتُ أَزْوَارًا مِنْ أُنْحَى ثِقَةٍ * ضَاقَتْ عَلَى بَرْحِ الْأَرْضِ أَوْطَانِي
فَإِنْ صَدَدْتُ بِوَجْهِي كَى أَكْفَنَهُ * فَالْعَيْنُ غَضَبِي وَقَلْبِي غَيْرُ غَضْبَانِ

وقال إبراهيم بن العباس :

وَقَدْ غَضِبْتُ فَمَا بَالَيْتُمْ غَضَبِي * حَتَّى أَنْصَرَفْتُ بِقَلْبٍ سَاخِطٍ رَاضِي
وقال زهير :

وَمَا يَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ * تُخْبِرُكَ الْعَيْنُ عَنِ الْقُلُوبِ

وقال دريد :

وَمَا تَخْتَنِي الضَّمِينَةُ حَيْثُ كَانَتْ * وَلَا النَّظَرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ

وقال ابن أبي خازم :

خُذْ مِنَ النَّهْرِ مَا كَفَى * وَمَنْ الْعَيْشِ مَا صَفَا
لَا تُلَحِّنْ بِالْبُكَاءِ * عَلَى مِثْلِ عَفَا

(١) في الأصل : «وجدتك لا ترضى» . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدببة مطلعها :

قَفَى يَا أَمِيرَ الْقَلْبِ تَقْضُ لِبَانَةً * وَنَشْكُ الْهَوَى ثَمَّ أَضْلَى مَا بِدَاكِ

خَلَّ عَنْكَ الْعَتَابُ إِنَّ * خَانَ ذُو السُّودِّ أَوْ هَفَا
عَيْنُ مَنْ لَا يُحِبُّ وَصَد * لَكَ تُبْدَى لَكَ الْخَفَا

وقال أعرابي يذكر أعداءه :

يَزْمَلُونَ جَنِينَ الضَّغْنِ بَيْنَهُمْ * وَالضَّغْنُ أَشْوَهُ أَوْ فِي وَجْهِهِ كَلْفٌ^(١)
إِنْ كَاتَمْنَا الْقَلَى نَمَتَ عَيْونُهُمْ * وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ
وقال ابن أبي أمية :

كَمْ قَرْحَةٍ كَانَتْ وَكَمْ تَرْحَةٍ تَخْزِصَتْهَا لِي فِيكَ الظُّنُونُ
إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَهَا * تُضْمِرُهُ أَنْتَ عَنْهَا الْعِيُونُ

وقال آخر :

أَمَا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي عُنْوَانَ الَّذِي أَبْدَى

وقال آخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَنَى وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا آتَقَيْنَا لَيْسَ مِمَّنْ أُعَاتِبُهُ
يقول : لا أقدر [أن] أنظر إليه ، فكأن الشمس بنى وبينه . ومثله :
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي * كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

وقال التمر بن تَوَلَّب في الإعراض :

فَصَنَعْتُ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قَنَاعِهَا * بَدَأَ حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَعَتْ بِحَاجِبِ
أَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ :

يَا قِمْرًا لِلنَّصِيفِ مِنْ مَنَهْرِهِ * أَبْدَى ضِيَاءَ لُثْمَانٍ بَقِيَتْ
يريد أنه أعرض بوجهه فبدا له نصفه .

٢٠ (١) زمل الشيء : أخفاه . (٢) الكلف : شيء يطو الوجه كالسهم ويعرف بالنش .

وقال آخر في الضغينة :

وفينا وإن قيل أصطلحنا تَصَاغُنْ * كما طَرَأَ أوبَارُ الْجِرَابِ عَلَى النَّشْرِ^(١)

وقال آخر في نحوه :

وقد نَبُتَ المَرْعى عَلَى دِمَنِ التَّرى * وَتَنَقَّى حَرَّازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هَيَا

وقال الأخطل :

إِنَّ الضُّغِينَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدِمْتُ * كَالْعُرْيَكُنْ حِينَا ثُمَّ يَنْشُرُ^(٢)

تُشْمُسُ الْعَدَاوَةَ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ * وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَّرُوا

وقرأت في كتاب للهند : ليس بين عداوة الجوهريّة صلح إلا ريتا ينكت،

كالماء إن أُطِيلَ إِسْمَانُهُ فَانْه لَا يَتَنَعَّجُ مِنْ إِطْفَاءِ النَّارِ إِذَا صُبَّ عَلَيْهَا .

قال سعد بن أبي وقاص لعمار بن ياسر : إن كنا لتعتك من أكابر أصحاب

عمر صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا لم يبق من عمرك إلا ظمء الحمار فقلت وفعلت ؟

قال : أيما أحب إليك : موتة على دحل أو مُصَارَمَةٌ جَمِيلَةٌ ؟ قال : مصارمة جميلة ؟

قال : لله على ألا أكلك أبدا .

وقال بعض الشعراء في صديق له تغير :

أَحُولٌ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ * عَيْنِي وَيَرَى بِسَاعِدِي وَيَدِي^(٣)

١٥

(١) النشر: الكلاء يبيع أعلاه وأسفله ندى أخضر تدفى منه الابل (يكثرونها ونحلبها) إذ ريت ؟

كذا ذكره صاحب اللسان في مادة (نشر) ، وقد ساق هذا البيت في أبيات لمعبر بن جباب ، وقال في تحصيله :

يقول : ظاهرنا في الصلح حسن في مرآة العين وباطنا فاسد كما تحسن أوبار الجرب عن كل النشر ونحت دا .

منه في أجوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر في هذا البيت : نشر الجرب بعد ذهابه ونبات ويرطبه

حتى ينحس . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الجرب ينشر نشرًا ونشورًا إذا حي بعد ذهابه . هـ .

٢٠

(٢) اللز : الجرب . (٣) يقال : ما بقي منه إلا قدر ظم الحمار أي لم يبق من عمره إلا يسير

لأنه يقال : إنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمًا من الحمار وهو أقل الدواب صبرًا على العطش يند لماء .

كل يوم في الصيف مرتين . (٤) أحولت عيه بمعنى حولت ، والمراد الإعراض والانصراف .

وقال المُنْقَبِ العَبْدِي :

ولا تَعِدِي مَوَاعِدَ كاذِبَاتٍ * تَمُزُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي
فَإِنِّي لَوْ تُعَانِدُنِي شِمَالِي * عِنَانِكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
أَذَا لَقَطَعْتُهَا وَلَقُلْتُ بِبَنِي * كَذَلِكَ أُجْتَوِي مَنْ يَحْتَوِينِي

وقال الكُمَيْت :

ولَكِنْ صَبْرًا عَنْ أُنْجٍ عَنْكَ صَابِرٍ ^(١) * عَزَاءً إِذَا مَا النَّفْسُ حَقَّ طَرَوْهَا
رَأَيْتُ عَذَابَ الْمَاءِ إِنْ حِيلَ دُونَهَا * كِفَاكَ لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ شَرُّوْهَا ^(٢)
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَيْسَةُ مَرْكَبٌ * فَلَا رَأْيَ لِلْجَهْدِ إِلَّا رَكُوبُهَا ^(٣)

وقرأت في كتاب للهند : العدو إذا أحدث صداقة لعله ألبأته إليها فمع ذهاب

١٠ العلة رجوع العداوة، كالماء يسخن فإذا رُفِعَ عاد بارداً .

قال محمد بن يزيد الكاتب : إذا لم تستطع أن تقطع يدَ عدوك فقبّلها .

قال الشاعر :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي * بِنَيْضٍ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
إِذَا مَا رَأَيْتُ قَطَعَ الطَّرْفَ دُونَهُ * وَدُونِي فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلُ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا * مِنَ الضَّبِّ فِي عَيْنِهِ كِفَّةٌ حَائِلُ

١٥

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اعْتَرِلْ عَدُوَّكَ وَأَحْذَرْ صَدِيقَكَ إِلَّا الْأَمِينَ،

وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ .

الهيثم عن ابن عياش قال : أخبرني رجل من الأزد قال : كما مع أسد بن عبد الله

بخراسان ، فبينما نحن نسير معه وقد مدَّ نهرٌ فجاء بأمرٍ عظيم لا يوصف ، وإذا رجل

(١) كذا في كتاب الشعر والشعراء (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وفي الأصل : « لك » .

(٢) الشروب والشريب : الماء بين العذب والمالح وليس يشربه الناس إلا للضرورة . (٣) في كتاب

الشعر والشعراء : « للضر » وهي الرواية المشهورة .

٢٠

يضربه الموج وهو ينادى : الفريقَ الفريقَ ! فوقف أسد وقال : هل من ساجح ؟
فقلت : نعم ، فقال : ويحك ! الحق الرجل ! فوثبتُ عن فرسي وألقيتُ عنى ثيابي
ثم رميتُ بنفسى فى الماء ، فما زلتُ أسبحُ حتى إذا كنت قريبا منه قلت : بمن
الرجلُ ؟ قال : من بنى تميم ؛ قلت : امض راشدا ، فوالله ما تأخرتُ عنه ذراعا حتى
غرق : فقال ابن عياش : قتلته له : ويحك ! أما آخيتَ الله ! غرقت رجلا
مسلمًا ! فقال : والله لو كانت معى لبنة ل ضربتُ بها رأسه .

طاف رجلٌ من الأزدي بالبيت وجعل يدعو لأبيه ؛ فقبل له : ألا تدعوا لأمك ؟
فقال : إنها تيمية .

وقرأت فى كتاب للهند : جانب الموتور وكن أحذر ما تكون له ألفت ما يكون
بك ، فإن السلامة بين الأعداء توخشى بعضهم من بعض ، ومن الأئس والثقة حضور أجالهم .
أراد الملك قتل بُزرجهر وأن يترج أبنته بعد قتله ؛ فقال : لو كان ملككم
حازما ما جعل بينه وبين شعاره موتورة .

قال أبو حازم : لا تتأصبَن رجلا حتى تنظر الى سريره ؛ فإن تكن له سريرةٌ
حسنةٌ فإن الله لم يكن يخلقه بعداوتك إياه ، وإن كانت سريرته رديئة فقد كفاك
مساوية ، لو أردت أن تعمل بأكثر من معاصى الله لم تغدر .

قال رجل : إني لأغتم فى عدوى أن ألقي عليه النملة وهو لا يشعر لتؤذيه .
وقال الأَفوه الأودى :

بلوتُ الناسَ قرنا بعد قرن * فلم أر غيرَ خلّابٍ وقالي
وذقتُ مرارةَ الأشياءِ جمعا * فما طعمُ أمرٍ من السّؤالِ
ولم أر فى الخطوب أشدَّ هولاً * وأصعبَ من مُعاداةِ الرجالِ

(١) فى الأصل : « ترحة » . (٢) رويت هذه الحكاية برواية أخرى فى العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر :

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ * عداوةٌ غير ذى حسبٍ ودينٍ
يُبيحك منه عِرْضا لم يصنه * ويرتعُ منك في عِرْضِ مصونٍ

شماتة الأعداء

بلغ عمرو بن عتبة شماتة قويم به في مصائبه فقال : والله، لئن عظم مصابنا
بموت رجالنا لقد عظمَت النعمة علينا بما أبقي الله لنا : شُبَّانًا يشبُّون الحروبَ، وسانَةً
يُسَدُّون المعروفَ، وما خُلِقْنَا وَمَنْ شِئْتَ بنا إلا للوت .

قيل لأيوب النبي عليه السلام : أى شيء كان أشدَّ عليك في بلاك ؟ قال :
شماتة الأعداء .

١٠ إشتكى يزيد بن عبد الملك شكاة شديدة وبلغه أن هشاما سُرِبَ ذلك ، فكتب
الى هشام يعاتبه، وكتب في آخر الكتاب :

تَمَيَّ رَجُلٌ أَنْ أَمُوتَ، وَإِنْ أَمُتْ * فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدٍ
وَقَدْ عَلِمُوا، لَوْ يَنْفَعُ الْعِلْمُ عَنْهُمْ ، * مَتَى مِتُّ مَا الدَّاعِي عَلَى بَعْثِي
مَنْ يَتَّبِعُهُ تَجْرِي لَوْ قَتِ وَحَقُّهُ * يَصَادِفُهُ يَوْمًا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ
فَقُلْ لِلَّذِي يَنْبَغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى * تَهَيَّ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدْ
١٥ وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

إِذَا مَا النَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ * حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بَأَنَرِينَا

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا * سِلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

أُغْرِ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ فَذُهِبَ بِبَابِهِ فَقَالَ :

لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدٌ فِي عِبَادَتِهِ * لَوْلَا شِمَاتَةُ أَعْدَائِي فَنَوَى أَحِينَ

مَا سَرَتْنِي أَنَّ إِلِي فِي مَبَارَكِهَا * وَأَنَّ شَيْئًا قَضَاهُ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ

وقال عدى بن زيد العبادي :

- أرواحٌ مُودَعٌ أم بُكُورٌ * لكَ فَانْظُرْ لَأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ
وَأَيُّضاً السَّوَادُ مِنْ تُدْرِيهِ * تِ فَهَلْ بَعْدَهُ لِإِنْسٍ نَذِيرُ
أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِاللَّهِ * إِيَّاكَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ أَمْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَفْرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونُ خَلَدَنَ أَمْ مَنْ * ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ يُجِيرُ
أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى الْمَلِكِ أَنْوَشِرُ * وَأَنْ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ^(١)
وَأَخُو الْخَضِرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ * لَهْ تُجْجِي إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ^(٢)
شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلَّ * سَا فَلَطِيرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
لَمْ يَبِهِ رَيْبُ الْمُنُونِ فَبَادِ الْ * حَمْلُكَ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ
وَتَيَّنَ رَبُّ الْخَوَرِ إِذْ أَشْ * حَرَفَ يَوْمًا وَلِلْهَدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُ * يَلِكُ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّادِرُ^(٣)
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غِيبُ * طَةُ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنَّعْمِ * حِمَّةٍ وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ^(٤)
ثُمَّ أَصْحَوْا كَانَهُمْ وَرَقٌّ جَفَّ * فَالَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالْدُّبُورُ^(٥)

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذوالأكتاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك
العم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الخضر : قصر بجبال تكريت بين دجلة والفرات، ويبنى بأخيه
الضيز بن معاوية بن العبد، وخبر قصرى الخضر والخورق مذكور في الأغاني ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤٦
طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من
أرض الجزيرة . (٤) الكلس : الصاروخ وهو النورة التي تطلقها المنازل . (٥) معرضا :
متسما، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض . (٦) في الأغاني ج ٢ ص ١٣٩ : «والإتة»
وهو جمعها .

قال ابن الكلبي : لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كننة وحضرموت نخضبن أيديهن وضربن بالدفوف، فقال رجل منهم :

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته * أن البنايا رمن أي مرام
أظهرن من موت النبي شماتة * وخضبن أيديهن^(١) بالعلام
فأقطع، هديت، أكفهن بصاريم * كالبرق أومض من متون غمام

فكتب أبو بكر إلى المهاجر صامله، فأخذهن وقطع أيديهن .

وقرات في كتاب ذكر فيه عدو : فإنه يربص بك الدوائر، ويتمنى لك الفوائل،
ولا يؤمل صلاحاً إلا في فسادك، ولا رفة إلا في سقوط حالك والسلام .

(١) اللام بالقتل : الحاء، عن ابن الأعرابي .

وجد بالأصل في آخر هذا الكتاب ما نصه :

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمة الله عليه . وكتبه الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري، وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين .

وفي هذه الصفحة عينها وجد ما يأتي - وهو من زيادة النسخ - :
 قيل قدم المهدي أمير المؤمنين، وقيل الرشيد، فلقاه الناس، ولقاه أبو دلامة في جملة الناس، فأنشده :

إني نذرتُ لئن رأيتُك سالماً * بقرى العراق وأنت ذو وقْرِ
 لتصلين على النبي محمد * وتملأن دراهماً حَجْرى
 فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعم . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد،
 وأما الأخرى فليست أفضل، فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الآتين،
 فضحك وأمر حتى ملثوا حجره دراهم .

شاعر :^(١)

ولقد تنسمتُ الرياحَ حاجتي * فإذا لها من راحتيك نسيمُ
 ولربما استياستُ ثم أقول لا * إن الذي ضمن النجاحَ كريمُ

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفي سنة إحدى وستين ومائة، وتولى الرشيد الخلافة

سنة سبعين ومائة، ثم قال ابن خلكان : و يقال إنه عاش إلى أيام الرشيد . (٢) هو أبو الناجية .

كتاب الحوائج

استنجاح الحوائج^(١)

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الخصب قال حدثني أوس بن عبد الله بن بريدة عن أخيه سهل بن عبد الله بن بريدة عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اسْتَعِينُوا عَلَى الْحَوَائِجِ بِالْكَتَمِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ " .

قال خالد بن صفوان : لا تَطْلُبُوا الْحَوَائِجَ فِي غَيْرِ حِينِهَا ، وَلَا تَطْلُبُوهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَلَا تَطْلُبُوا مَا لَسْتُمْ لَهُ بِأَهْلٍ فَتَكُونُوا لِلنَّعْ خُفَاءَ .

قال شبيب بن شبة : إِنِّي لَا أَعْرِفُ أَمْرًا لَا يَتَلَاَقَى بِهِ أَتْنَانِ إِلَّا وَجِبَ النَّجْحُ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : [العقل ، فَإِنَّ]^(٢) الْعَاقِلَ لَا يَسْأَلُ مَا لَا يَحُوزُ وَلَا يُرَدُّ عَمَّا يُمَكِّنُ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : نَبَيْتَ إِلَى نَفْسِي ! إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَمُوتُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى يَرَى خَلْفَهُ .

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس ، وجمعها القياسى : حاج وحاجات ، وقد أنكر الأصمعي حوائج وقال هو مولد . قال الجوهرى : وإنما أنكره لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير في كلام العرب ، ثم استشهد بكثير من الشعراء بأحاديث ذكرها المؤلف هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حاجة . وذكر بعضهم أنه سمع حاجة لغة في الحاجة . (٢) الكلمة من العقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو ربيعة - وهم من بني عسيل بن عمرو بن يربوع -
يُوصون أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس في حوائجكم بالتقيل عليهم ، فذاك
أنجح لكم .

قال الشاعر :

هَيْبَةُ الإِخْوَانِ مَقْطَعَةٌ * لِأَنِّي الْحَاجَاتِ عَنْ طَلَّةِ
فَإِذَا مَا هَيْبَتَ ذَا أَمِيلٍ * مَاتَ مَا أَتَمَلَّتْ مِنْ سَبِيلِهِ

وقال أبو نؤاس :

وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِمَّنْ يَرُومُهَا * مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمُصِحِّحُونَ عَلَى رَجُلٍ
ثَاثَ مَوَاعِيدَ الْكِرَامِ فَرَبَّمَا * أَصْبَتَ مِنَ الْإِلْحَاحِ تَتَمَحًا عَلَى بُحُلٍ

والبيت المشهور في هذا :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا آتَيْنَتْ مَسَالِكُهَا * فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا أَرْتَجِبَا
أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ * وَمُدِينِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يُلْجَا
لَا تِيَامَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبُهُ * إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا

وقال أنس :

إِنِّي رَأَيْتُ، وَاللَّيَّامِ تَجْرِبُهُ، * لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الْآثَرِ
وَقُلٌّ مِّنْ جَدِّ فِي أَمْرِ يُطَالِبُهُ * وَأَسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَاذَ بِالْظَّفَرِ

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفاً هكذا : « غان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس

وشرحه مادة صل) . (٢) روى هذا في اللسان مادة رجل هكذا :

* ولا يدرك الحاجات من حيث تجنى *

(٣) في العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : « يحاوله » .

والعرب تقول : «رُبَّ عَجَلَةٍ تَهْبُ رَيْثًا» . يريدون أن الرجل قد يَخْرُقُ ويَجَلُ في حاجته فتأخر أو تبطل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أَقْعُ» . يريدون أن الشراب الذي يُرَشَّفُ رويدًا رويدًا أقطع للعطش وإن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصبيح :

إنك إن كَلَفْتَنِي ما لم أُطِيقْ * ساء لك ما سَرَّكَ مِنِّي من خُلُقٍ

وكانوا يَسْتَنْجِحُونَ حوائجهم بركتين يقولون بعدهما : اللهم إني بك أَسْتَفْتِحُ ، وبك أَسْتَجِجُ ، وبمحمد نيك إليك أتوجه ، اللهم ذَلِّلْ لِي صَعُوبَتَهُ ، وَسَهِّلْ لِي حُرُوبَتَهُ ، وَارْزُقْني من الخير أكثر مما أَرْجُو ، وَأَصْرِفْ عَنِّي من الشر أكثر مما أَخاف .

وقال القطامي :

قد يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ * وقد يكونُ معَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلُّ^(١)

عمرو بن بحر عن إبراهيم بن السدي قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من وجوهها ، كان لا يَحْفَ لِنَفْسِهِ ولا يَسْتَرْجِ قَلْبَهُ ولا تَسْكُنُ حَرَكَتَهُ في طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلاً مُفَوِّهاً ، خَبَّرَنِي عن الشيء الذي هَوَّنَ عليك النَّصَبَ وَقَوَّاهُ على التعب ما هو؟ قال : قد والله سمعتُ تَعْرِيدَ الطَّيْرِ بالأشجار ، في أفنان الأشجار ، وسمعتُ خَفَقَ أوتار العيdan ، وترجيع أصوات القيان الحسن ، ما طربتُ من صوت قط طرب من ثناء حسن بلسانٍ حسنٍ على رجلٍ قد أحسن ، ومن شكرٍ حُرِّمَ نعيم حرٍّ ، ومن شفاعة مُحَسَّبٍ لطالبٍ شاكر . قال إبراهيم : فقلتُ : لله أبوك لقد حُشِيتَ كَرَمًا فزادَكَ اللهُ كَرَمًا ، فأبى شيء سَهَّلْتُ عليك المَعَاوِدَةَ والطلبُ؟

(١) كذا في ديوان القطامي وهي الرواية المشهورة في كتب الأدب . وفي الأصل :

* قد يدرك المتاني بعد حاجته * وهي رواية جيدة . (٢) كذا في العقد الفريد ج ١

ص ٨٦ ، وفي الأصل : «قله» .

قال : لأني لا أبلغ المجهود ولا أسأل مالا يحوز ، وليس صدقُ العذر أكره إلى من إنجاز الوعد ، ولست لأكداء السائل أكره متى للإجحاف بالمسئول ، ولا أرى الراغب أوجبَ عليَّ حقاً للذي قُدم من حسن ظنه من المرغوب إليه الذي احتمل من كُله ^(١) . قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاماً قط أشدَّ موافقة لموضعه ولا أليقَ بمكانه من هذا الكلام .

وقال مُصعبٌ :

في القوم مُعتصمٌ بقوة أمره * ومُقصرٌ أودى به التقصيرُ
لا تَرْضَ منزلةَ الدليل ولا تُقِمَ * في دار معجزة وأنت خيرُ
وإذا هممت فامضْ هَمَّكَ إنما * طلب الحوائج كُله تفسيرُ

وكان يقال : إذا أحببت أن تطاع ، فلا تسأل مالا يستطاع .

ويقال : الحوائج تُطلب بالرجاء ، وتُترك بالقضاء .

الاستنجاح بالرشوة والهدية

حدثني زيد بن أنحزم عن عبد الله بن داود قال : سمعتُ سفیان الثوري يقول : إذا أردت أن تتزوج فأهد للآثم . والعرب تقول : « من صانع ^(٢) لم يحتشم من طلب الحاجة » .

قال ميمون بن ميمون : إذا كانت حاجتك إلى كاتبٍ فليكن رسولك الطمع .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : نعم الشيء الهدية أمام الحاجة .

(١) الكل بالفتح : العيال والنقل من كل ما يتكافى . (٢) صانع : هادئ .

وقال رؤبة :

لما رأيت الشُّقْعَاءَ بَلَدُوا ^(١) * وسألوا أميرهم فانكدوا ^(٢)
نامستهم برشوة ^(٣) فأقردوا ^(٤) * وسهل الله بها ما شددوا

وقال آخر :

- وكنت إذا خاصمتُ خصماً كببته * على الوجه حتى خاصمتني الدرهم
- فلما تنازعنا الخصومة غلبت ^(٦) * على وقالوا قم فإنك ظالم
- والعرب تقول في مثل هذا المعنى : «مَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ يُعْطِ مَهْرًا» يريدون
- مَنْ طلب حاجةً مُهِمَّةً بذل فيها .

وقال بعضُ المُحدِّثين :

- ما من صديق وإن تمت صداقته ^(٧) * يوماً بانجح في الحاجات من طَبَق
- إذا تَلَّمَّ بِالْمِنْذِلِ مُنْطَاقًا ^(٨) * لم يَخْشِ نَبْوَةَ بَوَابٍ وَلَا عَاقِبِ
- لا تُكْذِبَنَّ فَإِنَّ النَّاسَ مُذْخُلُوقًا ^(٩) * لرغبة يَكْرُمُونَ النَّاسَ أَوْ فَرَّقِ
- وقال آخر :

ما أرسل الأقوامُ في حاجةٍ * أمضى ولا أنجح من درهم

- يأتيك عفوًا بالذي تشتهى * نعيم رسول الرجل المسلم

- (١) يقال : بلد الرجل إذا لم يجبه لشيء ، وبلد إذا نكس في العمل وضعف . (٢) أى صنعوا الحاجة ولم يعطوا . (٣) يقال : نامس الرجل صاحبه مناسمةً ونماسا إذا ساوره . (٤) يقال : أقرد الرجل وقرد إذا ذلَّ وخضع . (٥) هو رجل من ولد طلبة (ضبط في الكامل بالقلم بفتح الطاء وسكون اللام وكسر الهمزة) بن قيس بن عاصم (انظر الكامل للبرد ج ١ ص ٨٤ طبع أوربا) . (٦) يقال : غلب الرجل على صاحبه إذا حكم له عليه باللبة . (٧) في المحاسن والأضداد لملاحظ ص ٣٦٧ طبع أوربا : « أبدى مودته » . (٨) في المحاسن والأضداد : « تنعم » . (٩) في المحاسن والأضداد : « لا تكذبن » .

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : دخل أبو بكر الهَجْرِيّ على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين نَفَضَ^(١) فِي وَأَتَمَّ أَهْلُ بَيْتِ بَرَكَةٍ ، فَلَوِ اذْنَتَ لِي فَقَبِلْتُ رَأْسَكَ لَعَلَّ اللَّهَ يُسَدِّدُ لِي مِنْهُ ! فقال أبو جعفر : اخترتها ومن الجائزة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أهونُ عليّ من ذهابِ درهمٍ من الجائزة ألا تَبَقِيَ في فِي حَاكَةٍ^(٢) .

قال أبو حاتم : وحدثنا الأصمعي عن خلف قال : كنتُ أرى أنه ليس في الدنيا رُقِيَّةٌ إِلَّا رُقِيَّةُ الْحَيَاتِ ، فَإِذَا رُقِيَّةُ الْخَبَرِ أَهْمَلُ . يعني ما يتكلفه الناس من الكلام لطلب الحيلة .

قال رجلٌ للفضل بن سهل يسأله : الأَجَلُ آفَةُ الأَمَلِ ، والمعروفُ ذخيرةُ الأبدِ ، والبرغنيمةُ الحازمِ ، والتفريطُ مصيبةُ أُنَى القُدرةِ ؛ فأمر وهبًا كاتبه أن يكتبَ الكَلِمَاتِ . ووقع إليه رُقِيَّةٌ^(٣) فيها : يا حَافِظُ مَنْ يُضَيِّعُ نَفْسَهُ عِنْدَهُ ، وَيَا ذَاكَرَ مَنْ يَنْسَى نَصِيحَتَهُ مِنْهُ ، لَيْسَ كِتَابِي إِذَا كُتِبَتْ أَسْتَبْطَاءٌ ، وَلَا إِسْكَى إِذَا أَسْكَتْ أَسْتَفْنَاءٌ ؛ لَكِنِّ كِتَابِي إِذَا كُتِبَتْ تَذَكُّرٌ لَكَ ، وَإِسْكَى إِذَا أَسْكَتْ ثِقَةٌ بِكَ .

وقال رجل لآخر : مَا قَصَّرْتُ بِى هِمَّةٌ صَيَّرَتْنى إِلَيْكَ ، وَلَا أُخْرِي أَرْتِيَادُ دَلَّتْنى عَلَيْكَ ، وَلَا قَعْدُ بِي رَجَاءٌ حَدَانِى إِلَى بَابِكَ . وَبِحَسْبِ مَعْتَصِمٍ بِكَ ظَفَرٌ بِفَائِدَةٍ وَغَنِيمَةٍ ، وَلَيْجٌ إِلَى مَوَائِلٍ وَسَنَدٍ .

دخل الهُدَيْلُ بْنُ زُفَرٍ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فِي حَمَالَاتٍ لَزِمَتْهُ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَظُمَ شَأْنُكَ عَنْ أَنْ يَسْتَعَانَ بِكَ أَوْ يَسْتَعَانَ عَلَيْكَ ، وَلَسْتَ تَصْنَعُ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا وَأَنْتَ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ الْعَجَبُ أَنْ تَفْعَلَ ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِنْ أَلَّا تَفْعَلَ .

(١) يقال : نَفَضْتُ أَسْنَانَهُ أَيْ ظَلَعْتُ وَتَحَوَّكْتُ . (٢) الحَاكَةُ : السَّيْلُ لِأَنَّهَا تَحْكُ صَاحِبَهَا أَوْ تَحْكُ مَا تَأْكُلُهُ ، صِفَةُ ظَالِمَةٍ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « رُقِيَّةٌ » . (٤) الْحَمَالَاتُ جَمْعُ حَمَلَةٍ (بِالْفَتْحِ) وَهِيَ : مَا يَحْمِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ دِيَةِ أَوْ غَرَامَةٍ .

قال المحمّدوني في الحسين بن أيوب وإلى البصرة :

قُلْ لَأَبْنِ أَيُّوبَ قَدْ أَصْبَحَتْ مَأْمُولًا * لَا زَالُ بِأَبْكَ مَفْشِيًا وَمَاهُولًا
إِنْ كُنْتَ فِي عُطْلَةٍ فَالْعَذْرُ مُتَّصِلٌ * وَصِلْ إِذَا كُنْتَ بِالْسلْطَانِ مَوْصُولًا
شَرُّ الْأَخْلَاءِ مَنْ وَلَّى قَفَاهُ إِذَا * كَانَ الْمَوْلَى وَأَعْطَى الْبِشْرَ مَعْزُولًا
مَنْ لَمْ يُسَمِّنْ جَوَادًا كَانَ يَرْكَبُهُ * فِي الْخَصْبِ قَامَ بِهِ فِي الْجَدْبِ مَهْزُولًا
إِفْرُغْ لِحَاجَاتِنَا مَا دَمَتْ مَشْغُولًا * لَوْ قَدْ قَرَعْتَ لَقَدْ أُفِيَتْ مَبْذُولًا
وقال آخر :

وَلَا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا * تَنَاطُلُ بِكَ الْأَمَالُ مَا أَتَّصِلُ الشُّغْلُ
وَأَتَى رَجُلٌ بَعْضَ الْوَلَاةِ، وَكَانَ صَدِيقَهُ، فَشَاغَلَ عَنْهُ، فَتَرَاءَى لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ :

اعِذْرِي فَإِنِّي مَشْغُولٌ، فَقَالَ : لَوْلَا الشُّغْلُ مَا أَتَيْتُكَ .

وكتب رجلٌ إلى صديق له : قَدْ عَرَضَتْ قِبْلَكَ حَاجَةٌ، فَإِنْ تَجَحُّتْ بِكَ
فَالْفَائِي مِنْهَا حَظِّي وَالْبَاقِي حَظُّكَ، وَإِنْ تَعَذَّرْتَ فَالْخَيْرُ مَظْنُونٌ بِكَ وَالْعَذْرُ مُقَدَّمٌ لَكَ .
وفي فصل آخر : قَدْ عَذَّرَكَ الشُّغْلُ فِي إِغْفَالِ الْحَاجَةِ وَعَذَّرَنِي فِي إِنْكَارِكَ .
وفي فصل آخر : قَدْ كَانَ يَجِبُ أَلَّا أَشْكُو حَالِي مَعَ عَمَلِكَ بِهَا، وَلَا أَقْضِيكَ عَمَارَتَهَا
بِأَكْثَرِ مَنْ قَدَّرَكَ عَلَيْهَا، فَلَرَبَّمَا نِيلَ الْغِنَى عَلَى يَدَيَّ مَنْ هُوَ دُونَكَ بِأَدْنَى مِنْ حُرْمَتِي .
وما أَسْتَصْغِرُ مَا كَانَ مِنْكَ إِلَّا عَنْكَ، وَلَا أَسْتَقِلُّهُ إِلَّا لَكَ .

وقال آخر : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُصَفِّدَ يَدَا بَصْنِيعَةٍ بِأَقْدَامِهَا جَمِيلٍ فِي الدَّحْرِ أَثَرَهَا،
تَقْتَنِمُ غِرَّةَ الزَّمَانِ فِيهَا وَتُبَادِرُ قُوَّةَ الْإِمْكَانِ بِهَا، فَأَفْعَلْ .

قِيمَ عَلَى زِيَادِ نَفَرٍ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَامَ خُطْبِيهِمْ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! نَحْنُ،
وَإِنْ كَانَتْ تَرَعَتْ بَنَاءُ أَنْفُسُنَا إِلَيْكَ وَأَنْضَيْنَا رُكَابَنَا نَحْوَكَ ^(١) أَلْتَمَسْنَا لِفَضْلِ عَطَاكَ ،

(١) أَنْضَيْنَا : أَحْمَلْنَا .

طالبون بأنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع ؛ وإنما أنت أيها الأمير خازن ونحن رائدون ، فإن أُذِنَ لك فاعطيتَ حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم يُؤذَنَ لك فمنعتَ حمدنا الله وعذرناك ، ثم جلس ؛ فقال زياد بللسائه : تالله ما رأيتُ كلاماً أبلغ ولا أوجز ولا أنفع عاجلةً منه ، ثم أمر لهم بما يصلحهم .

دخل العتّابي على المأمون ، فقال له المأمون : خُبرتُ بوفاتِكَ ففمتني ، ثم جاءتني وفادتك فسررتني ؛ فقال العتّابي : لو قُسمتْ هذه الكلماتُ على أهل الأرض لوسعتهم ؛ وذلك أنه لا دينَ إلا بك ولا دُنْيَا إلا معك ؛ قال : سَلْنِي ، قال : يدَاكَ بالعطية أطلق من لسانِي .

قال نُصَيْبُ لعمري بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كبرتُ مِنِّي ورَقٌّ عَظِيمِي ، وُلِيتُ بَيْنَاتٍ نَقَضْتُ عَلَيْنِ مِنْ لُونِي فَكَسَدَنَ عَلِيٌّ ؛ فَرَقٌّ لَهُ عَمْرٌ وَوَصَلَةٌ .

سأل رجلٌ أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَاعْتَلَّ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُ الْأَمِيرَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ؛ قَالَ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُكَ تُحِبُّ مَنْ لَكَ عِنْدَهُ حَسَنُ بَلَاءٍ ، فَاجِبْتُ أَنْ أَتَعَلَّقَ مِنْكَ بِجَبَلٍ مَوَدَّةٍ .

لَزِمَ بَعْضُ الْحُكَّاءِ بَابَ بَعْضِ مُلُوكِ الْعَجَمِ دَهْرًا فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، فَتَلَطَّفَ لِلْحَاجِبِ ١٥ فِي إِصْبَالِ رُقْعَةٍ فَفَعَلَ ، وَكَانَ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَسْطُرٍ :

السطرُ الأوَّلُ "الْأَمَلُ وَالضَّرُورَةُ أَقْدَمَانِي عَلَيْكَ" .

والسطرُ الثاني "وَالْعُدْمُ لَا يَكُونُ مَعَهُ صَبْرٌ عَلَى الْمُطَالَبَةِ" .

والسطرُ الثالثُ "الْإِنْصِرَافُ بِلا فائدةٍ شِماتَةٍ لِلْأَعْدَاءِ" .

(١) في النقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) «سأل رجل خالد القسري حاجة الخ» .

والسطر الرابع "فإنا نسم مشمرة ، وإنا لا مريجة" . فلما قراها وقع في كل سطر : زه ؛ فأعطى ستة عشر ألف مثقال فضة .^(١)

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم ، فقال له : أتيتك في حاجة رفعتها الى الله فبلك ، فإن تقضها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضها حمدنا الله وصدرك ؛ فأمر له بحاجته . وقال له أيضا في حاجة أخرى : إني أتيتك في حاجة ، فإن شئت قضيتها وكنا جميعا كريمين ، وإن شئت منعتها وكنا جميعا لئيمين .^(٢)

أتى رجل خالد بن عبد الله في حاجة ، فقال له : أتتكم امرأة الياس أم بهية الأمل ؟ قال : بل بهية الأمل ، فسأله حاجته فقضاها .

وقال أبو سفيان لرجل : لم أضن وجهي عن الطلب اليك ، فسن وجهك عن ردّي ، وضعتني من كريم بحيث وضعت نفسي من رجائك .^{١٠}

قال المنصور لرجل : ما مالك ؟ قال : ما يكف وجهي ويجز عن ر الصديق فقال : لقد تلطفت للسؤال ، ووصله .

وقال المنصور لرجل أحمد منه أمرا : سل حاجتك فقال : يقيك الله يا أمير المؤمنين ، قال : سل ، فليس يمكك ذلك في كل وقت ؛ فقال : ولم يا أمير المؤمنين !

(١) كلمة « زه » في لغة الفرس معناها أحسنت . وفي العقد الفريد ج ١ ص ١٠٠ « فلما قراها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها » . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه : « أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسلامة إياها لأنني وضعت الطلبة في موضعها ، فإن لم تقضها كنت أنت لئima بمنعك وكنت أنا لئima بسوءه - تبارك لك » والجزء الأخير من هذا الشرح يشبه قول أبي تمام :

٢٠ هياش إنك لئسم وإننى * مذ صرت موضع حاجتى لئسم

فوالله لا أستقصر عمرك ولا أزهبُ بِحُكِّكَ ولا أغنمُ مالَكَ وإن سؤَالَكَ لَزَيْنٌ، وإن عطاءَكَ لَشَرَفٌ، وما على أَحَدٍ بَنَلٌ وجهَهُ اليكَ قَصٌّ ولا شَيْنٌ، فأمرَ حَتَّى مَلَى قُوهُ دُرًّا .

- قال أبو العباس لأبي دُلَامة : سَل حاجَتَكَ . قال : كَلْبٌ ؛ قال : لك كَلْب .
- قال : ودابةٌ أنصِيدَ عليها ؛ قال : ودابة . قال : وغلَامُ يركب الدابةَ ويصِيدُ ؛ قال : وغلَام . قال : وجاريةٌ تُصَلِّحُ لنا الصيْدَ وتُطْعِمُنَا منه ؛ قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء عِيَالٌ ولا بَدَ من دارٍ ؛ قال : ودار . قال : ولا بَدَ من ضَيْعَةٍ لهؤلاء ؛ قال : قد أَقْطَعْتُ مائةَ جَرِيْبٍ عامرةٍ ومائةَ جَرِيْبٍ عامرة . قال : وأرى شَيْءَ العامرةِ ؟ قال : ليس فيها نباتٌ . قال : فإنا أَقْطَعُكَ ألفًا ونمسايةَ جَرِيْبٍ من فَيَافَى بنى أَسَدٍ ؛ قال : قد جَعَلْتُها [كُلُّها لك] ^(١) عامرة . قال : أَقْبَلْ بِدَكَ ؛ قال : أما هذه فَدَمَها . قال : ما مَنَعْتَ عِيَالِي شَيْئًا أَهَوَنَ عليهم فَقَدْما منها ^(٢) .
- قال عبد الملك لرجل : مالى أراك واجِهاً لا تَتَطَّقُ ؟ قال : أشكو اليكَ ثِقَلِ الشَّرَفِ ؛ قال : أَعْيَنوه على حَمَلِهِ .

- رأى زياد على مائدته رجلاً قبيحَ الوجه كثيرَ الأكل ، فقال له : كم عِيَالُكَ ؟
- ١٥ قال : تسع بنات ؛ قال : أين هنَّ منك ؟ قال : أنا أجملُ منهنَّ وهنَّ أَكَلُ مِنِّي ؛ قال : ما أَحْسَنَ ما تَلَطَّفْتَ في السُّؤالِ وفَرَضَ له وأعطاه .

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق ، وقد ذكر هذه الحكاية صاحب الأغاني في أخبار أبي دُلَامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) في الأصل : « قدما منه » وفي الأغاني : « ما مَنَعْتَ عِيَالِي شَيْئًا أَقَلَّ ضرراً عليهم منها » . (٣) الواجب : القى اشتدَّ حزنه حتى أمسك عن الكلام ، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هذه الحكاية بأوسع مما هنا .

وقفت عجوز على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قلة الجردان ؛ قال :
ما أحسن هذه الكناية ! امكثوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمرا .

وقال بعض القصاص في قصصه : اللهم أقل صبياننا وأكثر حرداننا .

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الولي بالولي والجار بالجار ؛ فدخل عليه رجل
وعلى رأسه وصيفة رقيقة^(١) ، فنظر إليها فقال سليمان : أأعجبتك ؟ قال : بارك الله لأمر
المؤمنين فيها ! قال : حات سبعة أمثال في الأست وخذها ؛ فقال : « صر عليه الغزو^(٢)
آسته » . قال : واحد . قال : « آست ألبان أعلم » ؛ قال : آشان . قال : « آست^(٣)
لم تعود الجمر تحترق » ؛ قال : ثلاثة . قال : الحريمطي والعبد يبيع بآسته^(٤) ؛ قال :
أربعة . قال : « آستي أخيتي » ؛ قال : خمسة . قال : « عاد سلاها في آستها » ؛

- ١٠ (١) الوصفة : الجارية ، والروقة (بالضم) : الحناء الجميلة . (٢) يضرب لمن ضيق عليه
تصره أمره . (٣) البان : الذي يكون عند حلب الناقة من جانبا الأيسر ويقال لذي من الجانب
الآخر : الحلي أو المستل ، وهو الذي يمل السلة إلى الضرع . وأصل الخل أن رجلا أكل إبله ووجدتها في مرة
فاستنجد بالحارث بن ظالم المزني مردها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحملانها ، فقال لها الحارث : خيا
عنها فليست لكاء ، وأهوى إليها بالسيف فضرط البان وقال الحلي : والله ما هي لك ، فقال الحارث :
« آست البان أعلم » فأرسلها مثلاً ؛ يضرب لمن ول أمرأ وصل به فهو أعلم به من لم يمارسه ولم يصل به ، وقيل :
١٥ يضرب لكل ما ينكر وشاهده حاضر . (٤) يضرب لمن حصل في نعمة لم يعبدها . وأصله أن ماوية
بنت صفور كانت ملكة وكانت تزوج من أرادت ، ورجلاً بعث غلمانها ليأتوها بأوم من يهوده بالحيرة ،
فغاموها بحاتم الطائي ؛ فقالت له : أستقدم إلى الفراش ؛ فقال هذه الجملة . أراد : إلى أعرابي متجهل
(يابس الجملة متشف) لم أتود الطيب والترف . (٥) الذي في الأمثال ليداني : « الحريمطي
والعبد » بالم قلبه ؛ وقال : بني أن القيم يكره ما يهود به الكريم . وقال في فرائد الأكل : يضرب لمن
٢٠ يميل ويأمر غيره بالخل . (٦) لم يذكر هذا الخلل الميسدان ، وذكره الزمخشري في كتابه
المستقصى في أمثال العرب ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ أدب ؛
وقال في شرحه : « يضرب في وضع الشيء في غير موضعه ، وأصله أن سعد بن زيد مائة زوج أخاه
مالكا التاريفت حل بن عدي رجاء أن يولده له ، وكان محمداً ، فأنطلق به إلى بيت النورس فأبى أن يبلع البيت ،
فقال له : « بلع مال وبلت الزبم » (أي القبر) ؛ حتى رجع ونعلاه مقلتان في ذراعيه ، فقال له : ضع
٢٥ نعليك ، فقال : ساعدني أحرز لها ، ثم أتى بطيب فجعل يمسحه في آسته ، فقالوا له في ذلك ، فقال : « آستي
أخيتي » . (٧) النسل : الجدة التي يكون فيها الولد ، من الناس والمرأى .

قال : ستة . قال : « لا مائك أبقيت ولا حرك أنقيت » ؛ قال : ليس هذا من ذلك ؛ قال : أخذتُ الجارَ بالجارِ كما يفعلُ أمير المؤمنين ! قال : خذها .

قال يزيد بن المهلب لسيان^(٢) في حَمالةٍ كَلَمه فيها : يا أمير المؤمنين ، والله لحَمَدُها خيرُ منها ، وَلَذِكُرها أحسنُ من جَمعِها ، وَيَدِي مَبسوطةٌ بيدِكَ فَأَبسُطْها لِسْوَالِها .

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبي سفيان أشياء كان يُعْجِزُها عليهم ، لِيَبْأَعِدَ كان بينه وبين خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فدخل عليه عمرو بن عُتبة فقال : يا أمير المؤمنين ، أَدْنَى حَقِّكَ مُتَعَبٌ وَتَقْصِيهِ فادِحٌ ، ولنا مع حَقِّكَ علينا حقٌّ عليك ، لقربا بِنّا منك وإكرام سَأَفْنَا لك ؛ فَانْظُرِنا بالعين التي نظروا بها اليك ، وَضَعْنَا بحيث وَضَعْتَنَا الرَّحِمُ منك ، وَزِدْنَا بِقَدْرِ ما زِدَكَ اللهُ ؛ فقال : أَفْعَلُ ، وإِنما يَسْتَحَقُّ عَطِيَّتِي من أَسْعَطَها ، فَأَما من ظَنُّ أَنه يَسْتَغْنِي بِنَفْسِهِ فَسَنَكِلُهُ إليها ، يعرض بخالد ؛ فبلغ ذلك خالدًا ، فقال : أَمَا عمرو فَقَدْ أَعْطَى من نفسه أَكْثَرَ ما أَخَذَ ، أَوْ بِالْحَرَمَانِ يَهْتَدِي ! يَدُ اللهِ فوق يَدِهِ مَانِعَةٌ ، وَعِطَاؤُهُ دُونَهُ مَبْذُولٌ .

أتى رجل يزيد بن أبي مسلم برُقعةٍ يسأله أن يرفعها إلى المجتاج ؛ فنظر فيها يزيد فقال : ليست هذه من الخواشج التي تُرْفَعُ إلى الأمير ؛ فقال له الرجل : فإني أسألك أن ترفعها ، فلعلها توافق قَدَرًا فيَقْضِيها وهو كارهٌ ؛ فأدخلها وأخبره بمقالة الرجل ؛ فنظر المجتاج في الرُقعة ، وقال ليزيد : قل للرجل : إنها وافقت قَدَرًا وقد قضيتها ونحن كارهون .

(١) أصله أن رجلا كان في سفر معه امرأته ، وكانت عاركا (سائضا) فظهرت ، وكان معها ماء يسير فغشلت ، فلم يكفها لفسه وأتقت الماء فيقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

(٢) الحَمالة (بالفتح) : ما يحملة الإنسان عن غيره من دية أو غرامة .

(١) دخل بعض الشعراء على بشر بن مروان فأنشده :

أَغْفَيْتُ عِنْدَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَيِّدٍ * فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بِوَلِيدَةٍ * مَغْنُوجَةٍ حَسَنٍ عَلَى قِيَامُهَا^(٢)
وَبَسْطَرَةٍ حُمِلَتْ إِلَى وَبْغَلَةٍ * دَهْمَاءِ مُشْرِفَةٍ يَصِلُ لِحَامُهَا^(٣)
فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يُثَبِّتَ جَنَّةً * عِوَضًا يُصْبِحُ بِرَدِّهَا وَسَلَامُهَا^(٤)

فقال له بشر : في كل شيء أصبت إلا في البغلة فإنني لا أملك إلا شهبًا : فقال :
إني والله ما رأيت إلا شهبًا .

قال رجل لمعاوية : أقطعتني البحرين ، قال : إني لا أصل إلى ذلك . قال :
فأستعملني على البصرة ؛ قال : ما أريد عزل عاملها . قال : تأمر لي بالقيين ؛ قال :
ذلك لك . فقيل له : ويحك ! أرضيت بعد الأوليين بهذا ! قال : آسكتوا لولا الأوليان
ما أُعْطِيتُ هذه .

جاء أعرابي إلى بعض الكتاب فسأله ، فأمر الكاتب غلامه يمينه أن يعطيه
عشرة دراهم وقيصًا من قُصِّه ؛ فقال الأعرابي :

حَوْلَ الْعَقْدِ بِالشَّمَالِ أَمَا الْأَصْدُ * سَخَّ وَأَضْمُّ إِلَى الْقَمِيصِ قَمِيصًا
إِنَّ عَقْدَ الْيَمِينِ يَقْصُرُ عَنِّي * وَأَرَى فِي قَمِيصِكَ تَقْلِيصًا^(٥)

١٥ يقول : حَوْلَ عَقْدِ الْيَمِينِ وهو عشرة إلى عَقْدِ الشَّمَالِ وهو مائة .

(١) هو الحكم بن عبدل كما في الأغاني (ج ٢ ص ٤٠٧ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نشر
على هذه الصيغة في معاجم اللغة ، والذي بها : امرأة مناج وضجة : حسة الدل ؛ ووجد هذا الشعر منسوباً
إلى حمزة بن يحيى في الأغاني (ج ١ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن رواية الأغاني الأول وهذا
الكتاب ، وفيه مرسومة بدل مغنوجة . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٣) « مغنوجة » . (٣) مشقة :
سريفة الصدر ، والمشرقة أيضاً : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوت . (٥) كان للحرب
حساب غير ما هو معروف اليوم ولهم في ذلك اصطلاحات في أصابع اليد ، فالمشرقة يدل عليها بجمل السبابة
في اليد اليمنى حلقة فإذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل في الجزء الثالث
من كتاب بلوغ الأرب للأوكسي ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

سأل أعرابي فقال في مسأله : لقد جُعْتُ حتى أَكَلْتُ النَّوَى الْمُحَرَّقَ ولقد مَشَيْتُ حتى أَنتَعَلْتُ الدَّمَ وحتى سقط من رجلي بَحْصٌ لَحِيمٌ ^(١) وحتى تَمَنَيْتُ أَنْ وَجْهِي حِذَاءُ لِقَدَمِي ^(٢)، فهل من أَيْحَ بِرَحْمَتِنَا ؟ .

وسأل آخر قوماً فقال : رَحِمَ اللهُ أَمْرَأَ لم تَمُجِّجْ أَذْنَاهُ كَلَامِي، وَقَدِمَ لِنَفْسِهِ مَعَاذًا مِنْ سُوءِ مُقَامِي، فَإِنَّ الْبِلَادَ مُجْدِبَةٌ، وَالْحَالَّ مُضْغِبَةٌ، وَالْحَيَاءَ زَاغِرٌ يَمْنَعُ مِنْ كَلَامِكُمْ، وَالْعُلَمَ عَاذِرٌ يَدْعُو إِلَى إِبْخَارِكُمْ، والدعاء أحدُ الصَّدَقَتَيْنِ فَرَحِمَ اللهُ أَمْرَأَ أَمْرٌ بِمِيرٍ ^(٣)، ودعا بخير، فقال له رجل من القوم : يَمْنُ الرَّجُلُ ؟ فقال : اللَّهُمَّ غَفِّرَا مَن لَّا تَضُرُّكَ جَهَالَتُهُ، وَلَا تَفْعَلْ مَعْرِفَتُهُ ؛ ذُلُّ الْإِكْتِسَابِ، يَمْنَعُ مِنْ عِزِّ الْإِنْتِسَابِ .

سأل أعرابي رجلاً فخرمه؛ فقال : عَلَامَ تَحْرِمُنِي ! فوالله ما زِلْتَ قِبْلَةً لَأَمَلِي لَا تَلْفُتُنِي عَنْكَ الْمَطَامِعُ، فَإِنْ قُلْتَ : قَدْ أَحْسَنْتُ بَدَمًا، فَمَا يَنْكَرُ لِمَثَلِكَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْدًا ! .

قال ابنُ أبي عَتِيْقٍ : دَخَلْتُ عَلَى أَشْعَبَ وَعِنْدَهُ مَتَاعٌ حَسَنٌ وَأَنَاثٌ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ ! أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَ وَعِنْدَكَ مَا أَرَى ! فقال : يَا قَدَيْتُكَ ! مَعِيَ وَاللهُ مِنْ لَطِيفِ السُّؤَالِ مَا لَا تَطْيِيبُ نَفْسِي بِتَرْكِهِ .

قال الصَّلْتَانُ الْعَبْدِيُّ : ١٥

نُروح ونفدو لحاجتنا * وحاجة مَنْ عَاشَ لَا تَقْضِي
تموت مع المِرَّةِ حاجته * وتبقى له حاجةٌ مَا بَقِيَ
إذا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا * أتَى بعد ذلك يَوْمٌ قَبِي

(١) الجنس بالتحريك : لحم القدم . (٢) في الأصل : « حذاء لحي » . (٣) في المحاسن والمساوي للشيخ طبع أوروبا ص ٦٣١ : « مضغبة » وقد رويت هذه الحكاية فيه باختلاف عما هنا . (٤) كذا في المحاسن والمساوي . وفي الأصل : « مار » : (٥) المير : الطعام . ٢٠

وقال آخر :

وحاجة دون أنثرى قد سَنَحْتُ بها * جعلتها لتي أخفيتُ عُنَوَانًا
كتب دِعْبُلُ إلى بعض الأمراء :

جُتُّكَ مستشفعًا بلا سبب * إليك إلا بُجْرَمَةُ الأديب
فَأَقْبَضَ ذِمَامِي فَأَتَنِي رَجُلٌ * غَيْرُ مُلَحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ

من يعتمد في الحاجة ويستسعى فيها

روى هشيم عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي مُصْعَبٍ
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اطْلُبُوا الْحَوَائِجَ إِلَى حَسَنِ الْوُجُوهِ»^(١)
وفي حديث آخر : «اعْتَمِدْ لِحَوَائِجِكَ الصَّبَاحَ الْوُجُوهِ ، فَإِنَّ حَسَنَ الصُّورَةِ أَوَّلُ
سَعَةِ تَلْقَاكَ مِنَ الرَّجُلِ» .

قالت امرأة من ولد حسان بن ثابت :

سَلِ الْخَيْرَ أَهْلَ الْخَيْرِ قَدَمًا وَلَا تَسَلْ * فَنِي ذَا قِ طَمَمَ الْعَيْشَ مِنْذُ قَرِيبِ
ومن المشهور قول بعض المحدثين :

حَسَنُ ظَرْفٍ إِلَيْكَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ دَعَانِي فَلَا عِدَمَتَ الصَّلَاحَا
ودعاني إليك قولك رسول الله إذ قال مُفِصَّحًا إِفْصَاحَا
إِنْ أَرَدْتُمْ حَوَائِجًا عِنْدَ قَوْمٍ * فَتَقَوُّوا لَهَا الْوُجُوهُ الصَّبَاحَا

(١) سحت بكذا : عَرَضَتْ وَلَحِثَتْ ، وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت في مادة « سحت »
وفيه لسواد بن المضرب . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع يولاق) : « مسترفدا » .
(٣) كذا في تهذيب التهذيب . وفي الأصل : « جيفره » وهو تحريف . (٤) في الجامع الصغير :
« اطلبوا الخير الى حسان الوجوه » .

وقال آخر :

إنا سألنا قومنا نخيرهم * من كان أفضلهم أبوه الأول
أعطى الذى أعطى أبوه قبله * وتبخلت أبناء من يتبخل
وقال خالد بن صفوان : فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها ، وأشد
من المصيبة سوء الخلف منها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال مسلم بن قتيبة : لا تطلبن حاجتك الى
كذاب فإنه يقرّبها وهي بعيد^(١) ويبعد^(١)ها وهي قريب ، ولا الى أحق فإنه يريد أن
ينفعك فيضرك ، ولا الى رجل له عند من تسأله الحاجة ما كلف^(٢) ، فإنه لا يؤثرك على نفسه .
أنشدنا الرياشي لأبي عيون :

ولست بسائل الأعراب شيئاً * حصدت الله إذ لم يأكلوني
وقال ميمون بن ميمون : لا تطلبن الى لئيم حاجة ، فإن طلبت فأجله حتى
يروض نفسه .

هارون بن معروف عن حمزة عن عثمان بن عطاء ، قال : عطاء الحوامج عند
الشباب أسهل منها عند الشيوخ ؛ ثم قرأ قول يوسف : (لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ
اللهُ لَكُمْ) وقول يعقوب (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .
وقال بشار :

إذا أيقظتك حروبُ العدا^(٣) * فنبه طاعماً را ثم نم
ففي لا يبيت على دمنة * ولا يشرب الماء إلا يدم
يلد العطاء وسفك الدماء * فيغدو على نعم أو قسم

(١) بعيد وقريب يوصف بهما الذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب
من المحسنين) . (٢) في الأغاني (ج ٣ ص ٦٦ طبع بولاق) : * إذا دهمك غلام الأمور *
(٣) (٢)

وقال أبو عباد الكاتب: لا تُزَلِّ مُهِمَّ حوائجك بالجدِّ اللسان، ولا المتسرَّع إلى الضَّمان، فإنَّ العجزَ مقصورٌ على المتسرَّع؛ ومنَّ وعد ما يَعمِزُ عنه فقد ظلم نفسه وأساء إلى غيره؛ ومن وثق بجودة لسانه ظنَّ أنَّ في فصل بيانه ما ينوبُ عن عذره وإنَّ وعدَه يقوم مقامُ إنجازِه. وقال أيضا: عليك بذى الحَصيرِ البكي^(١)، وبذى الخليم الرِّضى^(٢)، فإنَّ متفالا من شدة الحياء والحي، أنفعُ في الحاجة من قنطارٍ من لسانٍ سَلِيطٍ وعقلٍ ذكي^(٣)؛ وعليك بالشَّهم النَّدب الذي إنَّ عجزَ أياك: وإنَّ قدرَ أطمعك. قال بعضُ الشعراء:

لا تَطْلُبَنَّ إلى لثيم حاجة * وأَقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ

يا خادعَ البُخلَاءِ عن أموالهم * هِيَّاتَ! تَضْرِبُ في حديدٍ باردٍ

وقال آخر:

إذا الشافعُ استقصَى لك الجُهدَ كُلَّهُ * وإنَّ لم تَمَلْ تُجْحَأْ فقد وجبَ الشُّكْرُ

وقال آخر:

وإذا أمرُؤُ أسدى إليك صنيعَةً * مِن جاحسه فكأنتها من مالِه

ذكر أعرابي رجلا، فقال: كان والله إذا نزلت به الحوائجُ قام إليها ثم قام بها،

ولم تَقْعُدْ به عِلَاتُ النفوس.

قال الشاعر:

ما إنَّ مَدَحْتُكَ إِلَّا قَلَّتْ تَخَدُّعِي * وَلَا اسْتَعْتُكَ إِلَّا قَلَّتْ مَشْفُؤِي

ابن عائشة قال: كان شبيب بن شيبَةَ رجلا شريفا يَفْرَعُ إليه أهلُ البصرة

في حوائجهم، فكان إذا أراد الركوبَ تناولَ من الطعام شيئا ثم ركبَ؛ ف قيل له:

(١) البكى: القليل الكلام. (٢) الخليم: السجبة والطيمة. (٣) الندب: الخفيف

في الحاجة. (٤) هو أبو تمام الطائي. (٥) كذا في ديوانه. وفي الأصل: «أهدى إلى».

إِنَّكَ تُبَارِكُ الْغَدَاءَ ! فقال : أَجَل ! أَطْفَيْتُ بِهِ قَوْدَةَ جَوْعِي ، وَأَقَطَعْتُ بِهِ خُلُوفَ فَمِي ، وَابْلَغْتُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِي ، نَخَذْتُ مِنَ الطَّعَامِ مَا يُذْهِبُ عَنْكَ النَّهَمَ ؛ وَيُدَاوِي مِنَ الْخَلْوَى .

قال بعضُ المحدثين :

لَعَمْرُكَ مَا أَخْلَقْتُ وَجْهًا بِذَلِكَ * إِلَيْكَ وَلَا عَرَضَتْهُ لَلْعَايِرِ
فَتَى وَفَرَّتْ أَيْدِي الْحَامِدِ عِرْضَهُ * وَخَلَّتْ^(٢) لَدَيْهِ مَالَهُ غَيْرَ وَافِرِ

وقال آخرُ :

أَتَيْتُكَ لَا أُدْلِي بِقُرْبِي وَلَا يَدِ * إِلَيْكَ سِوَى أَنِّي بِجُودِكَ وَائْتِي
فَإِنْ تَوَلَّيْتُ عُرْفًا أَكُنْ لَكَ شَاكِرًا * وَإِنْ قَلَّتْ لِي عِذْرًا أَقُلْ أَنْتَ صَادِقُ

وقال رجلٌ لآخر في كلامه : أَيْدِينَا مَمْدُودَةٌ إِلَيْكَ بِالرَّغْبَةِ ، وَأَعْنَاقُنَا خَاضِعَةٌ لَكَ بِالنَّالَةِ ، وَأَبْصَارُنَا شَاخِصَةٌ إِلَيْكَ بِالشُّكْرِ ؛ فَأَقْبَلْ فِي أُمُورِنَا حَسَبَ أَمَلِنَا فِيكَ ، وَالسَّلَامَ .

الإجابة الى الحاجة والرد عنها

قال رجل للعباس بن محمد : إِنِّي أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ صَغِيرَةٍ ؛ قَالَ : أَطْلُبُ لَهَا رَجُلًا صَغِيرًا . وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ : إِنِّي أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : هَاتَهَا ، إِنَّ الرِّجْلَ لَا يَصْغُرُ عَنْ كَبِيرِ أَخِيهِ وَلَا يَكْبُرُ عَنْ صَغِيرِهِ .

قال رجل للأحنف : أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ لَا تَنْتَبِهُ^(٣) وَلَا تَرَزُّوكَ ، قَالَ : إِذَا لَا تُقْضَى !
أَمْثَلِي يَوْئِي فِي حَاجَةٍ لَا تَنْتَبِهُ وَلَا تَرَزُّأُ ! .

(١) الخلوف : رائحة الفم . (٢) في العقد الفريد : (ج ١ ص ٩٠) :

* عَلَيْهِ رَخَلَتْ مَالَهُ غَيْرَ وَافِرٍ * (٣) لَا تَنْتَبِهُ : لَا تَنَالُ مِنْكَ ، مِنْ نَكِي الْعَدُوِّ نَكَايَةً :

أَصَابَ مَهْ . وَلَا تَرَزُّوكَ : لَا تَصِيبُ مِنْ مَالِكَ شَيْئًا .

جاء قومٌ الى رجل يُكَلِّمونه في حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبَةٌ، فقال لِرَقَبَةٍ : تَضْمَنُونَهَا؟
فقال له رَقَبَةٌ : جِئْتُكَ نَطْلُبُ مِنْكَ فَضْلَ التَّوَسُّعِ فَأَدْخَلْتَ عَلَيْنَا هُمُ الضَّمَانَ .
أتى عمرو بن عُيَيْدٍ حَفْصَ بنِ سَالِمٍ، فلم يسأله أَحَدٌ مِنْ حَشَمِهِ شَيْئًا إِلَّا قَالَ :
لَا ؛ فقال عمرو : أَقُلْ مِنْ قَوْلٍ : «لَا» فَإِنَّ «لَا» لَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ .
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُئِلَ مَا يَجِدُ أُعْطِيَ، وَإِذَا سُئِلَ مَا لَا يَجِدُ
قَالَ : «يَصْنَعُ اللَّهُ» .

قال عمرو بن أبي ربيعة :

إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكَ فَقَالَتْ * بَيْنَ أُذُنِي وَعَاتِقِي مَا تُرِيدُ
أَيُّ قَدْ تَضَمَّنْتُهُ لَكَ فَهُوَ فِي عُنُقِي .

١٠ . سأل رجلٌ قومًا ؛ فقال له رجلٌ منهم : اللَّهُمَّ هَذَا سَأَلُنَا وَنَحْنُ سُؤْلُكَ، وَأَنْتَ
بِالْمَغْفِرَةِ أَجْوَدُ مِنَّا بِالْعَطَاءِ ؛ ثُمَّ أَعْطَاهُ .

سأل رجلٌ رجلاً حَاجَةً ؛ فقال : اذْهَبْ بِسَلَامٍ ؛ قَالَ السَّائِلُ : أَنْصَفْنَا مَنْ
رَدَّنا فِي حَوَائِجِنَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قال رجلٌ ثُمَامَةً : إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ ؛ قَالَ ثُمَامَةُ : وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ ؛ قَالَ :

١١ . وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : لَا أَذْكُرُهَا حَتَّى تَتَضَمَّنَ قَضَاءَهَا ؛ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ؛ قَالَ : حَاجَتِي
أَلَّا تَسْأَلَنِي هَذِهِ الْحَاجَةَ ؛ قَالَ : رَجَعْتُ عَمَّا أُعْطِيتُكَ ؛ قَالَ ثُمَامَةُ : لَكِنِّي لَا أَرَدُ
مَا أَخَذْتُ .

قال الجاحظ : تَمَشَّى قَوْمٌ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ مَعَ رَجُلٍ اشْتَرَى مِنْهُ ثَمْرَةَ نَخْلَةٍ، فَتَنَالَهُ
فِيهَا خُسْرَانٌ وَسَأَلُوهُ حَسَنَ النَّظَرِ لَهُ ؛ فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَمِيتُمْ بِالْقِسْمَةِ الضَّيْرِي^(١) ! هِيَ

(١) القسمة الضيرى : النافعة الجائرة .

ما تريدون شيخكم عليه، اشترى مني على أن يكون الخسران على والربح له! اذهبوا
فاشترُوا لي طعام السَّوَادِ^(١) على هذا الوجه والشرط. ثم قال: ها هنا واحدة هي لكم
دوني، ولا بد من الاحتمال لكم اذ لم تحتملوا لي، هذا ما مشيتم معه الا واتم
توجبون حقه ويحبون رفته، ولو كنت اوجب له مثل الذي توجبون لقد كنت
اغنيته عنكم، ولكن لا اعرفه ولا بضرتني بحق، فهلم فلتوزع هذا الخسران بيننا
بالسواء، فقاموا ولم يهودوا، وأيس التاجر فخرج له من حقه.

قال يزيد بن عمر الأسدي لبيه: يا بني، تعلموا الرد فإنه أشد من الإعطاء،
ولأن يعلم بنو تميم أن عند أحدكم مائة ألف درهم أعظم له في أعينهم من أن يقسمها
فيهم، ولأن يقال لأحدكم: بخيل وهو غني خير له من أن يقال: سخي وهو فقير.

وقال إسحاق بن إبراهيم:

النصر يقرئك السلام وإنما * أهدى السلام تعرضاً للطمع
فأقطع لبائسه بياض عاجل « وأرخ فؤادك من تقاضى الأضام
ذكر ثمامة محمد بن الجهم فقال: لم يطيع أحدا قط في ماله إلا ليشغله بالطمع
فيه عن غيره، ولا شفع لصديق ولا تكلم في حاجة متحرِّم به، إلا ليَلْقَنَ المسئول حجة
منع، وليفتح على السائل باب حريان.

كتب سهل بن هارون الى موسى بن عمران:

إن الضمير اذا سألتك حاجة * لأبي الهذيل^(٢) خلاف ما أبدي
فأمنعه روح اليأس ثم أمدد له * حبلى الرجاء تخلف الوعد

(١) السواد: الريف. (٢) في الأصل: «عمر» والتصويب عن السمعاني.

(٣) هو أبو الهذيل خلاف أحد رموس الهذيلة، وكان يجمل، (انظر البخل ج ٦٩، ١٤٧، ١٤٨ طبع أوروبا)

وَالرَّبُّ لَهُ كَنْفًا لِيَحْسَنَ ظَنَّهُ * فِي غَيْرِ مَنَفْعَةٍ وَلَا رِفْدٍ
حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةُ جَدِّهِ * وَعِثَاؤُهُ فَاجْتَبَاهُ بِالرَّدِّ
قِيلَ لِحُبِّ الْمَدِينَةِ : مَا الْجُرْحُ الَّذِي لَا يَنْدِمُ ؟ قَالَتْ : حَاجَةُ الْكَرِيمِ إِلَى التَّيَمِّ
ثُمَّ يَرُدُّهُ . قِيلَ لَهَا : فَا لَّذَ ؟ قَالَتْ : وَقُوفُ الشَّرِيفِ بِيَابِ الدُّنْيَا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ
لَهُ . قِيلَ : فَمَا الشَّرْفُ ؟ قَالَتْ : اعْتِقَادُ الْمَنِّ فِي رِقَابِ الرِّجَالِ .

قَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ : مَا سَأَلَنِي قَطُّ أَحَدٌ حَاجَةً فَرَدَدْتُه إِلَّا رَأَيْتُ الْفَنَى فِي قَفَاهُ .
رَوَى عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
أَعْلَسْتُمْ أَنْ الطَّمَعُ فَقْرٌ ، وَأَنْ الْيَأْسَ غِنًى ، وَأَنْ الْمَرْءَ إِذَا يَتُسُّ مِنْ شَيْءٍ أَسْتَفْنَى عَنْهُ .
وَقَالَ آخَرُ فِي كَلَامِهِ لَهُ : كُلُّ مَمْنُونٍ مُسْتَفْنَى عَنْهُ بِغَيْرِهِ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَا عَنْدهُ قَبْلَ
الْأَرْضِ غِنًى عَنْهُ .

١٠

وَقَدْ قِيلَ : أَرْخَصَ مَا يَكُونُ الشَّيْءُ عِنْدَ غَلَاثِهِ .
وَقَالَ بَشَّارٌ : * وَالْدَّرُّ يُتْرَكُ مِنْ غَلَاثِهِ *

قَالَ شَرِيحٌ : مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الرَّقِّ ، فَإِنْ قَضَاهَا الْمَسْئُولُ
أَسْتَعْبَدَهَا ، وَإِنْ رَدَّ عَنْهَا رَجَعَ حُرًّا وَهِيَ ذَلِيلَانِ : هَذَا بِذَلِّ الْبَخْلِ ، وَهَذَا بِذَلِّ الرَّدِّ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ سَأَلَكَ لَمْ يُكْرِمَ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ ، فَاكْرِمِ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ .
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرُدُّ ذَا حَاجَةٍ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمِيسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ .
وَقَالَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَرُدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ
أَنْ يَكُونَ كَرِيمًا فَاصُونَهُ ، أَوْ لُثْمًا فَاصُونِ مِنْهُ نَفْسِي .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ سَأَلَ حَاجَةً فُرِّدَ عَنْهَا :

مَا يَمْنَعُ النَّاسَ شَيْئًا كُنْتُ أَطْلُبُهُ * إِلَّا أَرَى اللَّهَ يَكْفِي فَقَدْ مَا مَنَعُوا

٢٠

أتى رجلُ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما يسأله ؛ فقال الحسن : إن المسألة لا تصلح إلا في غريم فادج أو فقير مُدْفِع أو حَمَالَة مُفْطَعَة ؛ فقال الرجل : ما جئتُ إلا في إحداهن ، فأمر له بمائة دينار . ثم أتى الرجلُ الحسين بن علي رضي الله عنهما فسأله ، فقال له مثل مقالة أخيه ، فردّ عليه كما ردّ على الحسن ؛ فقال : كم أعطاك ؟ قال : مائة دينار ، فنقصه ديناراً ، كره أن يساوي أخاه . ثم أتى الرجلُ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسأله فأعطاه سبعةً دينارين ولم يسأله عن شيء ؛ فقال الرجل له : إني أتيتُ الحسن والحسين ، واقتصصُ كلامهما عليه وفعلهما به ؛ فقال عبد الله : ويحك ! وإني تجعلني مثلهما ! إنهما غرّا العلم غرّاً المسال .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : جاء شيخٌ من بني عَقِيل إلى عمر بن هُبيرة ،

فتمتّ بقرابة وسأله فلم يعطه شيئاً ؛ فعاد إليه بعد أيام فقال : أنا العَقِيلُ الذي سألك

منذ أيام ؛ فقال عمر : وأنا الفَزَارِيُّ الذي منعك منذ أيام ؛ فقال : معذرة إلى الله ! إني

سألتك وأنا أظنك يزيد بن هُبيرة المحاريبي ؛ فقال : ذاك الأثم لك ، وأهونُ بك على ،

نشأ في قومك مثلي ولم تعلم به ، ومات مثلُ يزيد ولا تعلم به ! يا حَرَسِيّ اسْفَعْ بيده .

أتى عبد الله بن الزبير أعرابي يسأله ، فشكا إليه قُبْ نَاقَتِهِ وآسَاحِلَهُ ؛ فقال له

أَبْنُ الزبير : اِرْقَعْهَا بِسَبِّتٍ وَأَخْصِفْهَا بِهَلِيبٍ وَأَفْعَلْ وَأَفْعَلْ ... ؛ فقال الأعرابي : إني أتيتُكَ

مُسْتَوْصِلاً ولم آتِكَ مُسْتَوْصِفاً ، فلا حملتُ ناقةً حملتني إليك ! فقال : إن وصاحبها .

(١) في الأصل : « وأمر ... » . (٢) غرّا العلم : انقاه ، يقال : غرّ الطائر

فرخه إذا زقه ، ومنه حديث معارية : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يترعل بالعلم » . (٣) سفع

بناصيته أو يده : قبضها وجلبها . (٤) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي

الأسدي كما في الأغاني ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية ، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف

عما هنا . (٥) القُبْ : رقة وتقب في خف البحر . (٦) استحمله : حمله حوايج قبضها له .

(٧) السبت (بالكسر) : جلد البقر المدبرغ بالقرض تحذى منه النعال السنية . وانخسف : ان يظهر

الجلدين بمضهما إلى بعض ويخرزهما وتلك قيل للخرز : الخصف . والحلب (بالضم) : شعر الخنزير الذي يخرزه . (٨) إن بمعنى نعم .

والعربُ تقول لمن جاء خائبا ولم يظفر بحاجته : « جاء على غيرِ الظهر^(١) » .
وتقول هي والعوام : « جاء بُخَيَّ حَنِينٌ » و « جاء على حاجبه صُوفَةٌ » .
وقال أبو عطاء السَّندِيّ في عمر بن هبيرة :

ثَلَاثٌ حُكَّتُنَّ لِقَرَمٍ قَيْسٍ * طَلَبْتُ بِهَا الْأَخْوَةَ وَالنَّاءَ^(٢)

رَجَعَنَ عَلَى حَوَاجِبِهِنَّ صُوفٌ * فَعِنْدَ اللَّهِ أَحْسَبُ الْجَزَاءِ

- والأصل في قولهم : « جاء بُخَيَّ حَنِينٌ » أن إسكافاً من أهل الحيرة ساومه أعرابيٌّ بُخَيَّينَ ، فَاخْتَلَفَا حَتَّى أَغْضَبَهُ ، فَأَزْدَادَ غَيْظَ الْأَعْرَابِيِّ ؛ فَلَمَّا أَرْتَمَلَ أَخَذَ حَنِينٌ أَحَدَ خَفْيَيْهِ فَالْقَاهُ عَلَى طَرِيقِهِ ثُمَّ أَلْقَى الْآخَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ؛ فَلَمَّا مَرَّتِ الْأَعْرَابِيُّ بِأَحَدِهِمَا قَالَ : مَا أَشَبَّهَ هَذَا بِبُخَيٍّ حَنِينٍ ! وَلَوْ كَانَ مَعَهُ الْآخَرُ لَأَخَذْتَهُ ، وَمَضَى ؛ فَلَمَّا أَتَاهُ إِلَى الْآخَرِ نَدِمَ عَلَى تَرْكِه الْأَوَّلِ ، وَأَتَاخَ رَاحِلَتَهُ فَأَخَذَهُ وَرَجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ ، وَقَدْ كَنَّ لَهُ حَنِينٌ فَعَمِدَ إِلَى رَاحِلَتِهِ وَمَا عَلَيْهَا فَذَهَبَ بِهِ ؛ وَأَقْبَلَ الْأَعْرَابِيُّ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ الْخَفْيَيْنِ ؛ فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : مَا الَّذِي أَتَيْتَ بِهِ ؟ قَالَ : بِبُخَيٍّ حَنِينٍ .
- قالوا : فَإِنْ جَاءَ وَقَدْ قُضِيَتْ حَاجَتُهُ قِيلَ : « جَاءَ ثَانِيًا مِنْ عِثَانِهِ » ، فَإِنْ جَاءَ وَلَمَّْا تُقْضَ حَاجَتُهُ وَقَدْ أُصِيبَ بِبَعْضِ مَا مَعَهُ ، قَالُوا : « ذَهَبَ يَبْتَغِي قَرْنًا فَلَمْ يَرْجِعْ بِأُذُنَيْنِ » . يقول بشار :

فَكُنْتُ كَالْعَيْرِ غَدَا يَبْتَغِي * قَرْنًا فَلَمْ يَرْجِعْ بِأُذُنَيْنِ^(٣)

- (١) غيرِ الظهر : الأرض ، تمخِير الثبراء . ويرى : جاء على ظهر النسياء ، أى جاء لايصاحبه غير أرضه التي يجيى ، ويذهب فيها . (انظر ما يقول عليه في المضاف والمضاف إليه ، انسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب م) . (٢) كذا في الشعر والشعراء للزُّلْفِ والقرم من الرجال السيد العظيم وفي الأصل : « قوم » . (٣) في الأمل : « فلما جاء ... » وهو غير مستقيم . (٤) رواية هذا البيت في الأغاني ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :
- فصرت كالعير غدا طالبا * قرنا فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عتبة بن سنان دعا بشارا وحامدا بمجرد وأعطى بهلة ، وطلب إليهم أن يضمنوا هذا المثل في شعر ، وعين لفرجه جائزة ، وهددهم إن لم يفعلوا ، فضمت بشار على البديهة وأخذ جائزته .

سأل أعرابي قوما، ف قيل له : بُورك فيك ! فقال : وكلّكم الله الى دعوة لا تحضرها نية .

أرسل الوليد خيلا في حلبة^(١)، فأرسل أعرابي فرسا له فسبقت الخيل؛ فقال له الوليد : آحلي عليها؛ فقال : إن لها حرمة، ولكني أحملك على مهر لها سبق الخيل عام أول وهو رابض .

وتقول العرب فيمن يشغله شأنه عن الحاجة يسأما : « شغل الحلي أهله أن يُعَارَا » ينصب الحلي ، ويعار : من العارية . فأما قولهم : « أحق الخيل بالركض الممار »، فإن الممار : المتشوف الذنب وهو المهلوب؛ يريدون أنه أخف من الذيال الذنب، يقال : أعرت الفرس إذا نتفته .

وتقول العرب لمن سئل وهو لا يقدر فرد : « بيتي يتحل لا أنا » ؛ يريدون أنه ليس عنده ما يُعطى .

ووعد رجلا رجلا فلم يقدر على الوفاء بما وعده؛ فقال له : كذبتني؛ قال : لا ، ولكن كذبتك مالي .

وتقول العرب فيمن اعتذر بالمتع بالعلم وعنده ما سئل : « أبي الحقيق العذرة^(٢) » . قال أبو زيد : وأصله أن رجلا ضاف قوما فاستسقام لبنًا، وعندهم لبنٌ قد حقنوه في وطيب ، فاعتذروا أنه لا لبن عندهم؛ فقال : « أبي الحقيق العذرة » . ويقال : « العذرة طرف البخل » .

(١) في الأصل : « من حلبة » . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسرّت به هذه الكلمة ، وقيل : الممار : المسن ، يقال : أعرت الفرس إذا سمته ، وقيل : الممار : المضمر، من عار الفرس إذا أخذ يذهب ويحجى، مرحا ونشاطا، فالممار : ما ردد القهاب به والحجى : حتى ضمير، ويرى : الممار — بكسر الميم — وهو الفرس الذي يجحد براجه عن الفريق ، وكذلك يرى : الممار — بالتثنية المعجمة — أى المضمر من أعرت الخيل إذا فتته . (٣) الذيال الذنب : الطويلة . (٤) الحقيق : اللبن المحقون . والعذرة (بكسر العين) : المنزلة .

وقال الطائي يذكر المطل :

وكان المطل في بدء وعود * دُخَانًا للصنيعة وهي نارُ
نسبُ البخل مذكَانًا وإن لم * يَكُنْ نسبٌ فينبهما جوارُ
لذلك قيل بعض المنع أدنى * إلى جودٍ وبعض الجود عارُ

قال إسماعيل القراطيسي في الفضل بن الربيع :

لئن أخطأت في مدحك ما أخطأت في مني^(٢)
لقد أحلت حاجاتي * بوادٍ غير ذى زرع

غزا المنذر بن الزبير [في] البحر ومعه ثلاثون رجلا من بني أسد بن عبد العزى؛
فقال له حكيم بن حزام : يابن أنى، إني قد جعلت طائفة من مالى لله عز وجل،
وإني قد صنعت أمرا ودعوتكم له ، فأقسمت عليك لا يردّه على أحد منكم ؛ فقال
المنذر : لاها الله إذا، بل نأخذ ما تُعطى ، فإن نَحْتَجَّ إليه نَسْتَعِنْ به ولا نكره أن
يأجرَك الله، وإن نَسْتَعِنْ عنه نُعطه من يأجرنا الله فيه كما أجرَك .

سأل أعرابي رجلا يقال له : الغمر فأعطاه درهمن، فردّهما وقال :

جعلت لغمر درهمنه ولم يكن * ليُغْنِي عني فقضى درهما غمر
وقلت لغمر خذهما فأصطرفهما * سريعتين في قرض المروءة والأجر
أنعج سؤال العشيرة بعد ما * تسميت غمرا وأكثيت أبا بحر

(١) نسبا ابن حجة في خزائن ص ٤٠ طبع بولاق لابن الرومي . وذكر صاحب معاهد التنصيص
في الكلام عليهما ص ٦٤ طبع بولاق أنها ينسبان لابن الرومي ولكنه قال : ورأيت في الأغاني نسبته
إلى إسماعيل القراطيسي . وقد ذكرنا في ترجمته في الألفية ج ٢٠ ص ٨٨ - ٨٩ ولم يذكرنا في ديوان
ابن الرومي . (٢) فيه الكف وهو حذف السامع الذكر ، والكف حس في هذا البحر وهو
المرج . وفي الأغاني (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : « في مدحك » وهذه الرواية لا كف فيه .
(٣) أى لا يردّه عليك أحد والله إذا ، فكلمة «ها» هنا للتقسيم . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة ، بعد حذف
هزة الومل ، إثبات ألفها — وينطق بهما كما ينطق بدابة — وحذفها .

اختلف أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع في حاجة له زماناً فلم يقضها له ،
فكتب :

أكل طَوِيلَ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُكَ في حاجةٍ تقولُ غداً!
لا جعلَ اللهَ لي اليك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبداً!

وقال آخر :

إن كنتَ لم تُوفِّيا قلتَ لي صِلَةً * فما أنتفاعُكَ من حَبْسِي وترِيدِي
فالمنعُ أجملُهُ ما كانَ أعجَلَهُ * والمطلُ من غيرِ عُسرٍ آفةُ الجودِ
وقال آخر :

بسَطْتُ لسانِي ثم أوثقتَ نصفَهُ * فنصفُ لسانِي في آتداحِكَ مُطلقُ
فإن أنتَ لم تُنجزِ عِداتي تركتني * وباقِي لسانِ الشكرِ باليأسِ مَوْثِقُ
وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غيرِ فعلٍ * لبتَ جودَ اللسانِ في راحتيكَ

المواعيدُ ونَجْزُها

ذكر جبار بن مسلم^(١) عامر بن الطقيّل فقال : كان والله اذا وعد الخبير وفي ،
واذا أوعد بالشر أخلف وعفا .

وأشد أبو عمرو بن العلاء في مثل هذا المعنى :

ولا يَرَهَبُ ابنُ العَمِّ ما عشتُ صَوْلِي * ويأمنُ مني صَوْلَةُ المتهدِّدِ
وإني إن أوعدته أو وعدته * ليكذبُ إعادِي ويصدقُ موعِدِي

(١) في الإجابة : « يضم السين وقيل بفتحها » .

وكان يقال : وَعَدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ ، وَعَدُ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ .
وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشي (أبو الفضل والعباس الرقاشيين
البغداديين) لخالد بن ديسم عامل الرّي :
أخالد إن الرّي قد أجمعت بنا * وضاق علينا رجبها ومعاشها
وقد أطمعنا منك يوما سحابة * أضاء لنا برق وكف رشاشها
فلا غيمها يصحو فيؤيس طامع * ولا ماؤها يأتي قتروى عطاشها
وقال رجل في الحجاج :

كأنت فؤادي بين أظفار طائر * من الخوف في جوار السماء محلق
حذار أمرئ قد كنت أعلم أنه * متى ما يعد من نفسه الشر يصدق
قال عمرو بن الحارث : كنت متى شئت أجد من يعد ويخجز ، فقد أعياني
من يعد ولا يخجز . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون ، فقد صاروا يقولون ويفعلون ،
ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون .

قال بشار :
وعدتني ثم لم توفي بموعدي * فكنت كالزّين لم يطر وقد رعدا
هذا مثل قول العرب لمن يعد ولا يفي : « برق حطب » .

وقال آخر :

قد بلوناك بحمد الله إن أغنى البلاء
فإذا جل مواعيد * ليك والحمد سواء

وقال آخر :

لما كل عام موعد غير ناجز * ووقت إذا مارأس حول حجر^(١) ما
فإن أوعدت شرا آتى دون وقته * وإن وعدت خيرا أراث وأعتا^(٢)

(١) يحزم : مضى واقضى . (٢) أراث راعم كلاهما بمعنى أبطأ .

وعد عبد الله بن عمر رجلاً من قريش أن يزوجه ابنته ؛ فلما كان عند موته أرسل إليه فزوجه إياها ، وقال : كَرِهْتُ أَنْ أَلْقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِثُلُثِ آتِفَاقٍ .
وقال الطائي :

تَقُولُ قَوْلَ الَّذِي لَيْسَ الْوَفَاءُ لَهُ * خُلُقًا وَتُحْجِزُ إِنْجَازَ الَّذِي حَلَفًا
وَأُخِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ : (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) .

وقال بشار يمدح :

إِذَا قَالَ تَمَّ عَلَى قَوْلِهِ * وَمَاتَ الْعَنَاءُ بِلَا أَوْ نَعَمْ
وَبَعْضُ الرِّجَالِ يَمُوعُودُهُ * قَرِيبٌ وَبِالْفِعْلِ تَحْتَ الرَّجْمِ
بِكَارِي السَّرَابِ تَرَى لَمَعَهُ * وَلَسْتَ بِوَاجِدِهِ عِنْدَ كَمِّ

وقال العباس بن الأحنف :

مَاضِرٌ مَنْ قَطَعَ الرَّجَاءَ يَبْخُلُهُ * لَوْ كَانَ عَلَنِي بِوَعْدٍ كَاذِبٍ

وقال آخر :

عَصَى مِنْكَ خَيْرٌ مِنْ نَعَمِ أَلْفِ مَرَّةٍ * مِنْ آخِرِ غَالِ الصَّدَقِ مِنْهُ غَوَائِلُهُ

وقال نُصَيْب :

يَقُولُ فَيُحْسِنُ الْقَوْلَ أَبْنُ لَيْلَى * وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ

وقال زياد الأعجم :

لِلَّهِ دُرُّكَ مِنْ فَتَى * لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ

لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجُحُودِ * دِحْبَانًا صِدْقُ الْبَخِيلِ

(١) الرجم (بالحرريك) : القبر والحجارة التي توضع عليه ، وبضعتين أربضم فتفتح : الحجارة التي توضع على القبر ، يريد أنه في تحقيق وعده كالميت .

والعرب تضرب المثل في الخُلف بِعُرقوب . قال ابن الكلبي عن أبيه : كان عُرقوب رجلاً من العمايق ؛ فأتاه أخ له فسأله شيئاً ؛ فقال له عُرقوب : إذا أطلع^(١) نخلي . فلما أطلع أناه ، قال : إذا أبلج . فلما أبلج أناه ، فقال : إذا أزهى^(٢) . فلما أزهى أناه ، قال : إذا أرطب . فلما أرطب أناه ، قال : إذا صار تمراً . فلما صار تمراً جدّه من الليل ولم يُعطِ أخاه شيئاً .

قال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عُرقوب لها مثلاً * وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

وقال الأشجعي :

وعدت وكان الخلف منك سجيّة * مواعيد عُرقوب أخاه يترّب^(٣)

هكذا قرأته على البصريين في كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أقلّ يوماً لطالب حاجة * نعم ، أفضها قلماً وذلك من شكلي
وإن قلتُ لا ، يبتئها من مكانها * ولم أؤدّه منها يحسر ولا مطيل
وللبخلّة الأولى أقلّ ملامّة * من الجُود بئماً ثم يُتبع بالبخل

وقال أبو نؤاس لامرأة :

أنضيت أحرف لا مما لُحِيت بها * فحوّلِي رحلتها عنها إلى نعيم
أو حوّلِيها إلى «لا» فهي تَعِدُّها^(٤) * إن كنتِ حاولتِ في ذاقلة الكَلِم
قسّمُ علينا فعارضنا قيامكم * يا مَنْ تناهى إليه غايَةُ الكرم

(١) أطلع النخل : خرج طَلعه . (٢) أزهى : تَوَنَ تَمَره بالجرة والصفرة . (٣) يترّب

بالتاء لثناة : موضع قريب من الإمامة . (٤) كذا في الأصول ، وفي ديوانه «أو حوّلها إليها فهي تَعِدُّها» . والظاهر أنه يريد أن يقول : أو حوّلها إلى «ها» التي بمعنى «خذ» فكُتبت موصولة ليدل ظاهرها على غير باطنها ، و«ها» تبدل «لا» في قياسها لفظاً . وبين ما في الأصل وما في الديوان تنبير لطيف في هذه الأبيات .

وفي هذا معنى لطيف .

كتب رجل الى صديق له : قد أفردتك برجائي بعد الله ، وتعمّلت راحة
الْيَاسِ من يجود بالوعد وَيَضُنُّ بِالْإِنْجَازِ ، وَيَحْسُدُ أَنْ يُفْضَلَ ، وَيَزْهَدُ أَنْ يُفْضَلَ ،
وَيُعِيبُ الْكَذِبَ وَلَا يَصْدُقُ .

وقال آخر :

وَذِي ثِقَةٍ تَبَدَّلَ حِينَ أَتَرَى * وَمَنْ شِئِمَى مِرَاقِبَةُ الثَّقَاتِ
فَقُلْتُ لَهُ عَتَبْتَ عَلَى إِثْمَا * فِرَارًا مِنْ مَوْوَنَاتِ الْعِدَاتِ
فُعِدَ لِمَوَدَّتِي وَعَلَى تَذَرُّ * سَأَلْتُكَ حَاجَةً حَتَّى الْمَمَاتِ

وقال آخر في أصحاب النبذ :

مَوَاعِيْنُهُمْ رِيْحٌ لِمَنْ يَعِدُونَهُ * بِهَا قَطَعُوا بَرْدَ الشَّاءِ وَقَاطَلُوا

وقال مسلم :

لَسَانُكَ أَحْلَى مِنْ جَنَى النِّعْلِ مَوْعِدًا * وَكَفْكَ بِالْمَعْرُوفِ أَضْيَقُ مِنْ قُتْلِ
مُنَى الَّذِي يَأْتِيكَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى * إِلَى أَجْلِ نَاولَتِهِ طَرَفَ الْجَبَلِ

وسأل خَلْفَ بن خليفة أَبَانَ بن الوليد أن يَهَبَ له جاريةً ، فوعده وأبطأ عليه ؛

فكتب إليه :

أَرَى حَاجَتِي عِنْدَ الْأَمِيرِ كَأَنَّمَا * تَهْمُ زَمَانًا عِنْدَهُ بِمُقَامِ
وَأَحْصَرُ مِنْ إِذْكَارِهِ إِنْ لَقِيْتُهُ * وَصَدَّقُ الْحَبَاءَ مُلْجِمٌ بِلِجَامِ
أَرَاهَا إِذَا كَانَ النَّهَارُ تَسْبِيَةً * وَبِالْإِيلِ تُقْضَى عِنْدَ كُلِّ مَنَامِ
فِيَارَبِّ أَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ تُخْرِجُ * مِنَ الْمَيِّتِ حَيًّا مُفْصِحًا بِكَلَامِ

(١) الكلام على تقدير «لا» الثانية ، أى لا سالك .

فَتَعَلَّمْ مَا تُشْكِرِي إِذَا مَا قَضَيْتَهَا * وَكَيْفَ صَلَاتِي عِنْدَهَا وَصِيَابِي
وَأِنْ حَاجَّتِي مِنْ بَعْدِ هَذَا تَأْتُرْتُ * خَشِيتُ لِمَا بِي أَنْ أَزُورُ غُلَامِي
وَالْعَرَبُ يَقُولُ : «أَنْجَزْ حُرْمًا وَعَدَةً» .

وقال أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جُدعان :

أَذْكُرُ حَاجَّتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ إِنِّ شَيْتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَتَيْتُ عَلَيْكَ الْمَرْءَ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّاءُ
وقال الطائي :

وَإِذَا الْمَجْدُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ * تَقَاضَيْتُهُ بَتَرَكَ التَّقَاضِي
وقال الزهري : حَقِيقٌ عَلَى مَنْ أُوْرَقَ بوعيدٍ، أَنْ يُؤْمَرْ بِفَعْلٍ .
وقال المغيره : مَنْ أَتْرَحَاجَةً رَجُلٍ فَقَدْ تَضَمَّنَ قَضَاءَهَا .

١٠

وقال الشاعر :

كَفَاكَ مَدَّكَرًا وَجْهِي بِأَمْرِي * وَحَسْبِي أَنْ أَرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي
وَكَيْفَ أُحِثُّ مِنْ يُعْنَى بِشَأْنِي * وَيَعْرِفُ حَاجَّتِي وَيَرَى مَكَانِي
وقال الشاعر :

١٠

يَا صَاحِبَ قُلُوبٍ فِي حَاجَّتِي * أَذْكُرْتُهَا فِيمَا ذَكَرْنَا
إِنَّ السَّرَاحَ مِنَ النَّجَا * حَ إِذَا شَقِيتُ بِمَا طَلَبْنَا

(١) في الشعر والشعراء (ص ٤٤٩ طبعة أوردية) : «قبضتها» ، وورد فيه بسند ذكر الأبيات :
«فضحك أبان وبعث إليه بجارية» . (٢) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طبع بولاق)
وفي الأصل : «نصه من أزهرا الخ...» وظاهر أنه تحريف . (٣) قال في اللسان مادة
(سرح) : «وفي المثل : السراح من النجاس» ، أي إذا لم تقدر على قضاء حاجة الرجل فأبسه ، فإن ذلك عنده
بمنزلة الإسفاف . وقال المبداني بعد ذكر هذا المثل : «يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة» ، أي ينبغي أن
تؤبسه منها إذا لم تقض حاجته» . (٤) في الأصل : «شقيت» بالقاء .

٢٠

وقال آخر :

فِي تَصَدِّيقِ الطَّالِبِ إِذْ كَا * رُبُّوعِدْ جَرَى بِهِ الْمِقْدَارُ
وَكُتِبَ بِهَضِّ الْكَتَابِ إِلَى صَدِيقِي لَهُ : إِنْ مِنْ الْعَجَبِ إِذْ كَارَ مَعْنِيَّ، وَحَثَّ
مُتَقَيِّظًا، وَأَسْتَيْطَاءَ ذَاكَ، إِلَّا أَنْ ذَا الْحَاجَةِ لَا يَدْعُ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ، حَلَّ بِذَلِكَ
مِنْهَا أَوْ عَقَلَ . وَكَأَبَى تَذَكُّرُهُ وَالسَّلَامُ .

وقال الطَّرِمَّاحُ :

أَلْحُسَيْنِ مَسْتَرِلِي تُؤَثِّرُ حَاجَتِي * أَمْ لَيْسَ عِنْدَكَ لِي بِخَيْرٍ مَقْطَعُ
وقال حمزةُ بنُ بَيْضٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :
أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَأَقِضْهَا * وَقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ الْمَرْحَبُ
وَلَا تَكَلَّنَا إِلَى مَعَشِيرٍ * مَتَى يَعْدِلُوا عِدَّةً يَكْذِبُوا

وقال بعضُ المحدثين :

حَوَائِجُ النَّاسِ كُلُّهَا قُضِيَتْ * وَحَاجَتِي لَا أَرَاكَ تَقْضِيهَا
أَنَاقَةُ اللَّهِ حَاجَتِي عَقِيرَتْ * أَمْ تَبَّتِ الْحَرْفُ^(١) فِي نَوَاحِيهَا
وقال جريرُ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

أَذْكُرُ الضَّرَّ وَالْبَلَاءَ الَّتِي نَزَلَتْ * أَمْ تَكْتَفِي بِالَّذِي بُلِّغْتَ مِنْ خَبَرِي

وقال آخر :

أَرْوَحُ لَتَسْلِيمِ عَلَيْكَ وَأَغْنِي * وَحَسْبُكَ بِاتِّسْلِيمِ مَنِّي تَقَاضِيًا
كَفَى يَطْلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنْأَلُهُ * عَنَاءَ وَبِالْيَاسِ الْمَصْرَجِ نَاهِيًا^(٢)

(١) يعني بئاقة الله هنا بئاقة صاحبة رثتها حمود . (٢) الحرف : حب الرشاد أو الخردل .
وله يريد : أم أهملت ، فكفى بئبات الحرف في نواحيها عن الإهمال ، كما يعمل كريم النبات فنبت حوله
أرذله . (٣) اليأس المصريح : الخالص الذي ليس للإنسان معه أمل في شيء ، يقال : صرح الشيء
نصر يحن إذا صار خالصا .

وقال آخر :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما * نُجِّحُ الأمور بقوة الأسباب
فاليوم حاجتنا إليك وإنما * يُدعى الطبيب لكثرة الأوصاب^(١)

كتب بعض الكتاب الى بعض السطّان : أنا أتزهك عن التجميل لي
بوعدي بطول به المدى ويعتريه الوفاء، وأحب أن يتقرر عندك أن أملي فيك أبعده من
أن أختلس الأمور منك أختلاس من يرى في عاجلك عوضاً من آجلك، وفي الراهن
من يومك بدلا من المأمول في غيبك، وألا تكون منزلتي في قسك منزلة من يُصرف
الطرف عنه وتُسكّرهُ النفس عليه ويتكلف ما فوق العفوله، وأن تختار بين العذر
والشكر؛ فالله يعلم أن أثر الحظين عندى أحقهما عليك، وأصوبهما لحالي عندك .

- وفي كتاب : ذو الحرمة ملوم على فرط الدالة، كما أن المتحرم به مذموم على
التناسي والإزالة . ومن مذهبي الوقوف بنفسى دون الغاية التي يقطنى إليها حق،
لأمرين : أحدهما ألا أرضى بدون الحق أزيد في الحق . والثاني أن أرى النفس
من الحظ زهيدا اذا أتى من جهة الإرهاق . ولي ذمام المودة الصادقة التي كل حرمة
تبع لها، وحق الشكر الذي جعله الله وفاء بالنعم وإن جل قدرها؛ وأنت مُراعى
المعالي وحافظ بقية الكرم؛ فأى سبيل للعذر، بل أى موضع للإكداء بين حرمتي
ورعايتك، وذمّامي وكرمك ! .

قال أحمد بن يوسف : أوّل المعروف مُستخف، وآخره مُستنقل؛ يكاد
أوله يكون للهوى دون الرأى، وآخره للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : رب
الصليعة أشد من ابتدائها .

(١) في الأصل : «اله» وما أثبتناه يتفق مع السياق . (٢) في الأصل : «ينذر» بـ (ذ) .
المناعة من تحت . (٣) رب الصليعة رباً : تمهدها ونماها .

قال أبو عطاء السُّدِّيُّ في يزيد بن عمر [بن هُبيرة] :

ثَلَاثٌ حُكْمُهُنَّ لَقَرَمٍ فَيْسُ ^(١) = رَجَعْنَ إِلَى صِفْرًا خَائِبَاتٍ ^(٢)
أَقَامَ عَلَى الْفُرَاتِ يَزِيدُ شَهْرًا * فَقَالَ النَّاسُ أَيُّهُمَا الْفُرَاتُ ^(٣)
فِيَا عَجَبًا لِبَحْرِ فَاظٍ يَسْقِي * جَمِيعَ النَّاسِ لَمْ يَتَلَلْ لَهَا نِي ^(٤)

حال المستول عند السؤال

قال الشاعر ^(٥) :

سَأَلَنَاهُ الْجَزِيلَ فَمَا تَلَكَّا ^(٦) * وَأَعْطَى فَوْقَ مُنَيْنَا وَزَادَا
مِرَارًا مَا أَعُودَ إِلَيْهِ إِلَّا * تَبَسَّمَ ضَاحِكًا وَثْنَى الْوَسَادَا ^(٧)

وقال آخر :

قَوْمٌ أَنَا نَزَلُ الْفَرِيبُ بِدَارِهِمْ * تَرَكُوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَفِيَانٍ ^(٨)
وَإِذَا دَعَوْتُهُمْ لِيَوْمِ كَرْبِيَّةٍ * سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
لَا يَنْقُرُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ * لِتَلْبِيسِ الْعِلَاتِ بِالْيَعِيدَانِ
بَلْ يَسْطُونُ وَجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا * عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

وقال آخر :

يَحْعَلُ الْمَعْرُوفَ وَالْبَرْدُ نَحْرًا * وَيَعُدُّ الْحَمْدَ خَيْرَ التَّجَارَةِ

(١) يعني ثلاث قصائد . (٢) كذا في الشعر والشعراء ، لؤل ، وفي الأصل : « تقوم » .

(٣) في هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الراء ، وقد تقدم هذا الشعر تقريباً برواية أخرى يمدح

به أباه في ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) القهاء : الهبة المشرقة على الخلق في أقصى سقف

القم . (٥) هو زياد الأبحم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) في الأغاني (ج) ١٤ ص ١٠٢

طبع بولاق « تأني » . (٧) في الأغاني : « ما دنوت » . (٨) كذا في العقد الفريد .

والصواهل : جمع صاهل وهو الفرس والبعير الذي يخطئ برجله ويده الأرض ولا يرغب ، وفي الأصل :

« صاهل » ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جتته تجتديه * سخته بشرته بشاره
تتري في الطرف منه حياة * وتري في الوجه منه استناره
وقال آخر :

إذا غدا المهدي في جنده * أوراخ في آل الرسول الفضاب^(١)
بدالك المعروف في وجهه * كالضوء يجري في شيا الكهاب^(٢)
وأنشدني العتي :

له في دُرى المعروف نغمى كأنها * مواقع ماء المزن في البلد القفر
إذا ما أتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
والمشهور في هذا قول زهير :

١٠ تراه إذا ما جتته مُهَلَّلًا * كأنك تُعطيه الذي أنت سائله
وسأل رجل من الأعراب رجلا [فلم يُعطه] شيئا؛ فقال :

كَدَحْتُ بِأُظْفَارِي وَأَعْمَلْتُ مِعْوَلِي * فَصَادَفْتُ جُلُودًا مِنَ الصَّخْرِ أَمَلَسَا
تَسَاغَلَ لِمَا جِئْتُ فِي وَجْهِ حَاجَتِي * وَأَطْرَقَ حَتَّى قَلْتُ قَدَمَاتِ أَوْعَسِي
وَأَجَمْتُ أَنْ أُنْعَاهُ حِينَ رَأَيْتُهُ * يَفُوقُ قُرَاقَ [الموت]^(٣) ثُمَّ تَقَسَّأَ
فَقُلْتُ لَهُ لَا بَأْسَ ، لَسْتُ بِمَائِدٍ^(٤) * فَأَفْرَخَ^(٥) تَعْلُوهُ الْكَأَبُ مُبَلَا
١٥ وقال مسلم :

أَطْرَقَ لِمَا أَتَيْتُ مُتَسَلِّحًا * فَلَمْ يَقُلْ «لَا» فَضَلَّ عَلَى «نَعَمْ»

(١) الكهاب : جمع كاعب ، والكاعب : الجارية الناهد . والثنايا : أربع أسنان في مقدم

الغفم : تتناثر في الفك الأعلى وتنتان في الأسفل . (٢) زيادة يستقيم بها المعنى والوزن .

(٣) السائد : المتجنى . وفي الأصل : «بائد» بالهال المهملة . (٤) فأفرخ : ذهب روجه ،

وفي الأصل : « فأفرخ » بالجيم . ومبلا : حزينا مفكرا .

نَخَفْتُ إِنْ مَاتَ أَنْ أَقَادَ بِهِ * فَقَمْتُ أَبْنَى النَّجَاءِ مِنْ أَمِّ^(١)
لَوْ أَنَّ كَثَرَ الْبِلَادِ فِي يَدِهِ * لَمْ يَدْعِ الْإِعْثَالَ بِالْعَدَمِ

وقال الحارث الكندي :

فَلَمَّا أَنْ أَيْتَاهُ وَقَلْنَا * بِحَاجَتِنَا تَلَوْنَ لَوْنَ وَرَسِ^(٢)
وَأَضْرَبْكَهُ يَحْتَكُ ضَرْبًا * يُرِينَا أَنَّهُ وَجِعٌ بِضَرْسِ^(٣)
فَقَمَلْتُ لِصَاحِبِي أَيْهِ كَرَّازُ^(٤) * وَقُلْتُ أَسْرُهُ أَتْرَاهُ يَمْسِي^(٥)
وَقَمْنَا هَارِيثِينَ مَعًا جَمِيعًا * مُخَاضِرُونَ أَنْ تَزْنَ بِقَتْلِ نَفْسِ^(٦)

قال الأصمعي :

دخل أعرابي على المَسَاوِرِ الضَّبِّيِّ وهو بُدَارُ الرَّيِّ^(٧) ، فسأله فلم يُعِطْهُ شَيْئًا ،

فأنا يقول : ١٠

أَتَيْتُ الْمَسَاوِرَ فِي حَاجَةٍ * فَمَا زَالَ يَسْأَلُ حَتَّى ضَرَطُ^(٨)
وَحَكَّ قَفَاهُ بِكُرْسُوعِهِ * وَمَسَحَ عُشُونَهُ وَأَمْتَحَطُ^(٩)
فَامْسَكْتُ عَنْ حَاجَتِي خِيفَةً * لِأُخْرَى تُقَطِّعُ شَرْجَ السَّفَطِ^(١٠)
فَأَقِيمُ لَوْ عُدْتُ فِي حَاجَتِي * لِلطَّلَخِ بِالسَّلْجِ وَشَى النَّمَطِ^(١١)
وَقَالَ غَلِطْنَا حَسَابَ الْخِرَاجِ * قَلْتُ مِنَ الضَّرْطِ جَاءَ الْغَلَطُ

١٥

قال : فكان العامل كلما ركب صاحبه الصبيان : « من الضرط جاء الغلط »

فهرب من غير عزل إلى بلاد أصهان .

(١) من أم : من قريب . (٢) الروس : نبات أصفر ينبت باليمن . (٣) أض :

صاروعد . (٤) الكراز : داء يحصل من شدة البرد أو رعدة . (٥) زن : تهم .

(٦) البدار : الحافظ . (٧) الكرّسوع : طرف الزند الذي يلي المنصر . (٨) الشرج

بالتحريك : الثرى ، وسكن للضرورة . والسفط : عاء كالقفعة ، وشرج السفط هنا تخاية عن الآست .

(٩) السلق : النجر . (١٠) النمط : الفراش .

٢٠

وقال نهار بن قيس في قتيبة بن مسلم :

كانت نمراسان أرضاً اذ يزيد بها * وكل باب من الخيرات مفتوح
فبدلت بعده قرداً نطيف به * كأنما وجهه بالخل منضوح

وقال جرير :^(١)

يزيد بفض الطرف دوني كأنما * زوى بين عيني علي الحاجم^(٢)
فلا ينسبط من بين عينك ما أنزوى * ولا تلقني إلا وأنفك راغم

وقال آخر :

لا تسأل المرأة عن خلايقه * في وجهه شاهد من الخبر

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن الأبي عن النبي قال قال محمد بن واسع :

إنك لتعرف بخور الفاجر في وجهه .

قال أبو العتاهية :

مالي أرى الناس قد أبرقوا * بلؤم الفعّال وقد أرعوا^(٤)

إذا جئت أفضلهم للسلا * م ردّ وأحشائه ترعد

كأنك، من خشية للسنوا * ل، في عينه الحية الأسود^(٥)

- ١٥ (١) نسب المبرد في الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبع أوروبا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن سهر الشيباني ، وورد في الأغانى في ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العرب مادة « زوى » ما يؤيد ذلك . (٢) المحاجم : جمع محجم ، وهو قارورة الحجّام . (٣) ورد هذا الاسم في الأصل هكذا « الأبح » بإلواء المثناة من تحت ، ولم نضف في الرواة على من تسمى بهذا الاسم . وقد ورد في تهذيب التهذيب حماد بن يحيى الأبح ، قلعه محزف عنه . (٤) دخل هذا البيت الخرم وهو حذف الحرف الأول من « فعولن » وفي هذه الحالة يسمى « أظلم » . وقد ورد في ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين هكذا : زى الناس طرا وقد أبرقوا ... الخ .
- ٢٠ (٥) كذا في ديوانه ، وفي الأصل : « الأسد الأسود » .

وقال آخر:

إذا ما الرزق أحجم عن كريم * فأجلاه الزمانُ إلى زياد
تلقاه بوجهٍ مُكْفَهَرٍ * كأن عليه أرزاق العباد

وقال آخر:

ولى خليلٌ ما مسنىَ عَدَمٌ * مذ نظرتُ عينه إلى عَدَمِي
بَشَرَتْنِي بِالنِّسَى تَهْلُلُهُ * وقبل هذا تهْلُلُ الخَدَمِ
ومحنةُ الزائرِينَ بَيْنَهُ * تُعرِّفُ قبل اللقاء في الحميمِ

العادةُ من المعروف تُقَطِّعُ

كان يقال : اِتِّزَاعُ الْعَادَةِ ذَنْبٌ مُحْسُوبٌ .

وقال أبو الأسود [الدُّوْلَى] :

ليت شعري عن أميري ما الذي * غاله في الودِّ حتى ودَّعَهُ^(١)
لَا تُبَيِّنِي بَعْدَ إِذْ أَكْرَمْتَنِي ، * وشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَةٌ
أُذْكَرُ الْبَلَوَى الَّتِي أَبْلَيْتَنِي * وكَلَامًا قُلْتُهُ فِي الْمَجْمَعَةِ^(٢)
لَا يَكُنْ بِرُقْكَ بَرَقًا خُلْبًا * إِنْ خَيْرَ الْبَرَقِ مَا الْفَيْثُ مَعَهُ
والمشهورُ في هذا قولُ الأعشى :

عَوَّدَتْ كِنْدَةَ عَادَةً فَأَصْبِرْ لَهَا * وَأَغْفِرْ لِمَاجِلْهَا وَرَوِّ بِمَاجِلْهَا

(١) وردت هذه الأبيات في حماسة البعترى (ص ٣٧٣ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأنس ابن أبي أنس القتيبي وهي :

سل أميري ما الذي فَيَّرَ لِي * ودَّه والفع حتى ودَّعَهُ
ما الذي أنكر مني فَأَتَتْني * وهو يدي لى أموراً شنعاً
لَا تَهْنِي بَعْدَ إِكْرَامِكْ لِي * وشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَةٌ
واذْكَرُ الْعَهْدَ الَّذِي عَاهَدْتَنِي * وحديتاً قُلْتُهُ فِي الْمَجْمَعَةِ
ليت من يسمي بسوء بيننا * بجهته الليل بأرض مسجته

(٢) المججمة : مجلس الاجتماع ، قال الشاعر : وتوقد ناركم شراراً يرفع * لكم في كل جمعة لواء

سال أعرابي قوماً، فرَّق له رجلٌ منهم فضمته إليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم قطع عنه؛ فقال الأعرابي :

تَسْرَى^(١) فلماً حاسبَ المرءُ نفسه * رأى أنه لا يستقيم له السُّرُ

وقديم أبو زياد الكلابي مع أعراب سنة الفحمة^(٢) ، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفاً

لكل رجلٍ ثم قطعهُ؛ فقال أبو زياد :

إن يقطع العباسُ عنا رَغيفَهُ * فما يَأْتِنِي من نِعمَةِ الله أَكْثَرُ^(٣)

والحكماء تقول : « العادة طبيعة ثانية » .

وفي الحديث : « الخير عادةٌ والشرُّ لحاجةٌ » .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد * أحداً مِوَاكٍ إلى المكارم يُنسبُ^{١٠}

فأصبر لعادتك التي عودتنا * أولاً فأرشدنا إلى مَنْ نَنعَبُ

وتقولُ العربُ فيمن أصطنعَ معروفاً ثم أفسده بالئن أو قطعه حين كاد يتم :

« شوى أخوك حتى إذا أنضحَ رمدٌ »^(٤) .

قال أبو كعب القاص : كان رجلٌ يُجرى على رغيفاً في كلِّ يومٍ ، وكان يقول إذا

أتاه الرغيفُ : لعنك الله ولعن من بعث بك ، ولعني إن تركك حتى أصيبَ خيراً منك .^{١٥}

والعربُ تقولُ في مثل هذا : « خذْ من الرِّضْفَةِ ما عليها »^(٥) .

(١) تَسْرَى : تكلف السرور، والسرور: السخاء . (٢) الفحمة : القحط . (٣) دخل على

هذا البيت انظر وقد تقدم شرحه في صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا في جميع الأمثال للبدائي .

ورمد : ألقى الشيء في الرماد . وفي الأصل : « رمل » باللام وهو يصح به المعنى أيضاً .

(٥) هذا المثل يضرب في اغتنام الشيء من البخل وإن كان نزرًا ، والرضفة : الهجرة المحاسة يُوغَرُ^{٢٠}

(يُسَنَّنُ) بها اللبن ، وهي إذا أقيت في اللبن لَوَق بها شيء .

وقال الشاعر :

وَحْذِ الْقَلِيلَ مِنَ اللَّثِيمِ وَذُمَّ * إِنَّ اللَّثِيمَ بِمَا أَتَى مَعْذُورٌ

ومعذور : موسوم في موضع العذار، وليس هو من العذر .

الشكر والثناء

٥ حَدَّثَنِي شَيْخٌ لَنَا عَنْ وَكِيعٍ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ هَلَالِ بْنِ أَسَافٍ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُذِّنْ عَلَيْهِ مِنْ يَسْتَرِ بِهِتَهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْسِمُ الثَّنَاءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ » .

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ وَكِيعٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ وَيُحِبُّهُ النَّاسُ ؟ قَالَ : « تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ » . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبِيدِ عِنْدَ اللَّهِ فَانْظُرُوا مَاذَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الثَّنَاءِ » .

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ : الثَّنَاءُ يُضَاعَفُ كَمَا تُضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ ؛ يَكُونُ الرَّجُلُ سَخِيًّا فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي سَخَايِهِ ، وَيَكُونُ مُجْبَاحًا فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي شَجَاعَتِهِ .

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ الْعُمَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ فَلَانًا رَجُلٌ صِدِّيقٌ ، قَالَ : سَافَرْتَ مَعَهُ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَكَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ خُصُومَةٌ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَهَلْ آتَمَّتْهُ عَلَى شَيْءٍ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَأَنْتَ الَّذِي لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ ، أَرَأَيْكَ رَأَيْتَهُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيُخَفِّضُهُ فِي الْمَسْجِدِ ! .

(١) تريم له في الخلاصة ، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن يساف بإيلاء المتن وقال في التهذيب :

« ويقال ابن أساف » . (٢) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير هكذا : « إذا صلى أحدكم

فبصل إلى ستره وليدن من ستره لا يقطع الشيطان عليه صلاته » . ٢٠

قال بعض الحكماء : إذا قُصِرَتْ يَدُكَ عن المكافأة فَلْيَطْلُ لِسَانُكَ بالشكر .
وقال آخر : حقُّ النِّعمةِ أن تُحَسِّنَ لباسَهَا ، وتَنَسِّبَهَا إلى وليِّهَا ، وتذكِّرَ مَا تَنَاسَى
عندَكَ مِنْهَا .

وقال بعضُ الحارثيين :

عَمَّا نَ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَمْدَ ذُو ثَمَنِ * لَكِنَّهُ يَسْتَهَيِّ حَمْدًا بِجَمَانِ
وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مَنْ أَنْ يَحْمَدُوا أَحَدًا * حَتَّى يَرَوْا قَبْلَهُ آثَارَ إِحْسَانِ
وقال حمادُ عَجْرَد :

قَدْ يَنْقِضِي كُلُّ مَا أُؤَلِّتَ مِنْ حَسَنِ * إِذَا أَتَى دُونَ مَا أُؤَلِّتَ يَوْمَانِ
تَنَاسَى بُودَكَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ أَحَدٍ * وَإِنْ طَمِعْتَ فَأَنْتَ الْوَاصِلُ الْبَاقِي
الشَّهْدُ أَنْتَ إِذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ * وَحَنَظَلُّ كَلْبَا اسْتَفْنَيْتَ خُطْبَانُ^(١)

وقال عمرانُ بنُ حِطَّان :

وَقَدْ عَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ وَأَطْنَنِي * بَاقِي إِذَا أُنْزِلَتْهَا بِكَ مُنْجِحُ
فَإِنْ أَكُ فِي أَخْذِ الْعَطِيَّةِ مُرِيحًا * فَإِنَّكَ فِي بَذْلِ الْعَطِيَّةِ أَرَجُّ
لَأَنَّ لَكَ الْعُقْبَى مِنَ الْأَجْرِ خَالِصًا * وَشُكْرِي فِي الدُّنْيَا ، فَحُظُّكَ أَرَجُّ

وقال معاويةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ يَعَاتِبُ قُرَيْشًا :

إِذَا أَنَا أُعْطِيتُ الْقَلِيلَ شَكُوتُكُمْ * وَإِنْ أَنَا أُعْطِيتُ الْكَثِيرَ فَلَا شُكْرُ
وَمَا لِمْتُ نَفْسِي فِي قَضَاءِ حَقُوقِكُمْ * وَقَدْ كَانَ لِي فِيهَا أَعْتَذَرْتُ بِهِ عُذْرُ
وَأَمْنُكُمْ مَالِي وَتُكْفَرُ نِعْمَتِي * وَتَشْتَمُّ عِرْضِي فِي مَجَالِسِهَا فِهْرُ

(١) أخطب الحنظل : أَمَفَزَ وصار خطباءً وهو أن يصفز وتصير فيه خطوط خضر . وفي الأصل :

« حطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفي هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

إذا العذر لم يُقبل ولم ينفع الأسى * وضافت قلوبهم حشوها النمر^(١)
فكيف أداوى داءكم ودواؤكم * يزيدكم غيًّا ! فقد عظم الأمر
سأخريكم حتى ينزل صعايبكم ، * وأبلغ شيء في صلاحكم الفقر
وقال طريح الثقى :

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتَ بِي * فَقَصَصْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ
ومثله قول الخرمي :

لَأُنْكَ تَعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدَاهَةً * وَأَنْتِ يَا أَمْتَكُثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرٌ
ومثله قوله أيضا :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا * أَنَّهُ عِنْدَكَ مُحَقَّقٌ صَغِيرٌ
نَتَّاسَاهُ كَأَنِّي لَمْ تَأْتِهِ * وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

قال رجل لبعض السلاطين : المواجهة بالشكر ضرب من الملقى ، منسوب
من عُرف بها الى التخلي^(٢) : وأنت تمنعني من ذلك وترفع الحال بيننا عنه ، ولذلك
تركت لقاءك به . غير أني من الاعتراف بمعرفتك ونشر ما تطوى منه والإشادة
بذكرك عند إخوانك والانتساب إلى التقصير مع الإطباب في وصفه ، على ما أرجو
أن أكون قد بلغت به حال المحتمل للصنيعة ، الناهض بحق النعمة .
قال ابن علقمة الفزاري :

رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي عُجْلَةً فَأَشْتَكِي * إِلَى مَا لِي حَالِي أَسْرًا كَمَا جَهَرُ
دُعَانِي فَأَسَانِي وَلَوْ صَدَّ لَمْ أَلْمُ * عَلَى حِينٍ لَا بَدْوُ يَرْجَى وَلَا حَضَرُ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَتَيْتُ فَعَلَهُ * وَأَوْفَاكَ مَا أَسَدَيْتُ مِنْ دَمٍّ وَأَوْشَكَرُ^(٤)

٢٠ (١) النمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تخلى الرجل : أظهر في خلقه خلاف ما في نفسه .
(٣) في ديوان الحامسة لأبي تمام ص ٦٩٦ طبع أوربا : «ضن» . (٤) أتيت فعله أي
على فعله ، لحذف حرف الجزاء ويجوز أن يكون على أنه لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحامسة للبرزى) .

(١) وقال آخر :

سا شكر عَمَرًا إِنْ تَرَاخَتْ مَتَقَى * أَيْدِي لَمْ تُنَمِّنْ وَاتِّ هِيَ جَلَّتِ
قَتَّى غَيْرُ مُجَوِّبِ الْغَنَى عَنْ صَدِيقِهِ * وَلَا مُظْهِرِ الشُّكْوَى إِذَا النَّمْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلْقِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا * فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى نَجَلَّتِ
وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْهِنْدِ : أَرْبَعَةٌ لَيْسَتْ لِأَعْمَالِهِمْ ثَمَرَةٌ : مُسَارُّ الْأَصَمِّ ، وَالْبَانِدُ
فِي السَّبَخَةِ ، وَالْمُسْرِجُ فِي الشَّمْسِ ، وَوَاضِعُ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ .

وقال بعضُ الشعراءِ المُحَدِّثِينَ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِلْبَحْتَرَى ، فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ عَنْهُ
فَاعْلَمْنِي أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ * إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّازِرُ
لَيَبْتُئُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ * فَعَلِمَ أَنَّي أَمْرٌ شَاكِرُ
وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ فِي الضَّمِيرِ * يُحَزِّكُهُ الْكَلِمُ السَّائِرُ
وقال آخرُ :

فَلَوْ كَانَ يَسْتَفْنِي عَنِ الشُّكْرِ سَيِّدٌ * لِمِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عُقُومَةِ كَانِ
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْجَلِيلُ بِشُكْرِهِ * فَقَالَ أَشْكُرُونِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
وقال آخرُ :

فَانْتَبِهُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ * بِإِحْسَانِنَا إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ

وقال رجلٌ من غَنِيٍّ :

فَإِذَا بَلَغْتُمْ أَهْلَكُمْ فَتَحَدَّثُوا * وَمِنَ الثَّنَاءِ مَهَالِكٌ وَخُلُودُ

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٩٧ طبع أوروبا) .

(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضى الله عنها تَمَثَّلُ بقول الشاعر :

يَعْزِيكَ أَوْ يُكْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ * أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَنْ جَزَى

وقال الحارثُ بن شداد في علي بن الربيع الحارثي :

النَّاسُ تَحْتَكُ أَقْدَامُ وَأَنْتَ لَمْ * رَأْسٌ وَكَيْفَ يُسَوِّي الرَّأْسُ وَالْقَدَمُ
فَحَسْبُنَا مَنْ شَاءَ الْمَادِحِينَ إِذَا * أَثْنَوْا عَلَيْكَ بَأَن يُثْنَوْا بِمَا عَلِمُوا

وقال آخر :

بِأَيِّ انْخَصَصْتَنِي عَلَيْكَ أَتْنَى * فَإِنِّي عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَسْئُولُ
أَبِالْحُسْنَى وَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءُ * عَلَى مَنْ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ
أَمْ الْآخَرَى وَلَسْتَ لَهَا بِأَهْلٍ * وَأَنْتَ الْبَحْرُ مِنْ ذَهَبٍ يَسِيلُ

وقال بشار :

أُنْثِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٌ تُكْذِّبُنِي * فَمَا أَقُولُ فَاسْتَجِي مِنَ النَّاسِ
قَدْ قُلْتَ إِنَّ أَبَا حَفِصٍ لَا كَرُمَ مَنْ * يَمْشِي نَخَاصَتِي فِي ذَاكَ إِفْلَاسِي

وكتب بعض الكتاب إلى وزير : لست تُشبهه حالنا في الحرمة ، ولا تُشبهه
حالك في الجاه والقدرة ، ولا ظاهراً ما نحن عليه الباطن . وليس بعد حرمتي حرمة ،
ولا فوق سبهي سبب ، ولا بعد حالك حال يُرتجى ، ولا بعد منزلتك منزلة تُمخَّن ،
ولا تنتظر شيئاً ولا أنتظره ؛ ولا أتوقع حقاً أزيدُه في حقوق ، ولا تتوقع فائدة تزيدها
في ذات يدك . وكم تحتال بالألفاظ ، وتُمَوِّه بالمعاني ، والناس يحتجون بالعمل
ويَقْضُونَ بِالْعِيَانِ .

وقال بعض الشعراء :

وزهدني في كل خير صنعتُهُ * إلى الناس ما جربتُ من قلة الشكرِ

وقال أبو الهول في أبي المراء عتبة بن عاصم :

إذا فأنزرتنا من معدَّ عصابة * نخرنا عليها بأبن عتبة عاصم

يَجْزِي رِيَاظَ الْحَمْدِ فِي دَارِ قَوْمِهِ * وَيَخْتَالُ فِي عِرْضِ مَنْ الذَّمَّ سَالِم

وقال رجل لبعض السلاطان : مثلك أوجب حقاً لا يجب عليه ، وسمع بحق

يجب له ، وقيل واخضع العذر ، وأستكثر قليل الشكر . لا زالت أيديك فوق شكر

أوليائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما انتهى الى غاية من شكر ، إلا وجدت وراءها غاية من معروفك يحسرنى^(١)

بلوغها . وما عجز الناس عنه فاقه من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودة بين أمل [لك]

تبلغه ، وأمل فيك تحققه ، حتى تملئ من الأعمار أطولها ، وتال من الهبات أفضلها .

ونحو هذا قول آخر :

كان لي فيك أملان : أحدهما لك ، والآخر بك . فأما الأمل لك فقد بلفته ،

وأما الأمل بك فارجو أن يحققه الله ويوشكه .

وفي كتاب آخر :

أيام القدرة وإن طالت قصيرة ، والمتعة بها وإن كثرت قليلة ، والمعروف وإن

أسدى الى من يكفره مشكور بلسان غيره .

وفي كتاب بعض الكتاب :

وما ذكرت — أعزك الله — من ذلك قديماً ولا جددت منه حديثاً ، إلا

وأصغر أمل فيك فوقه وإن كان استحقاقى دونه . فإن أفيض واجب حق الله على

(١) يحسرنى (من باب نصر، ويجوز فيه أحمر أيضاً) : يبتنى ويتبنى .

في شكر نعمك فتوفيقه وعونه، وإن أقصر عن كُنْهه فمن غير تقصير في بلوغ
الجهد فيه .

وفي هذا الكتاب :

أما ما بذل الأمير من ماله ، فذلك ما قد سبق الرجاء بل اليقين إليه ، معرفة مني
بطوله وكرمه ، وليس يُنكر أيديهِ ولا يدعُ صنائعه . وما يرشدني أمل بسد الله
إلا إليه ، ولا أفرغُ لحادثة الى غيره ، ولا أتضاءلُ لثأبه معه . ولو تجزأت عن النهضة
لما حاولتُ الاستقلالَ والأتعاش إلا به . ومال الأمير الكثير المذخور عند انقطاع
الحيل ، لا مُعتف طالبه ، ولا مُحوف على الرد عنه وأهبه . ولا عائق منع دونه ، ولا
تغيص من ورائه ؛ ولا كثر أولى بالصون وأن يُحملَ وفقًا على النوائب والعواقب
من كثر من هذه حاله . ١٠

قالت بنو تميم لسلامة بن جندل^(١) : مجتدنا بشمرك ؛ فقال : افعلوا حتى أتي .
ونحوه قول عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومي أطلقني رماحهم * نطقتُ ولكن الرماح أجرت^(٢)

قال رجل من قريش لأشعب : والله ما شكرت معروف عندك ؛ فقال : إن
معروفك كان من غير مُحْتَسِب ، فوقع عند غير شاكر . ١٥

وقال أبو نؤاس :

أنت أمرؤ أوليتني نِعمًا * أوهت قُوى شكرى فقد ضَعُفا

(١) كذا في الشعر والشعراء (ص ١٤٧ س ٤) ونزاة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢)

وفي الأصل : « جندب » بالباء وهو تحريف . (٢) أجرت : قطعت ، يقول : لو قاتل

قوى أو أبلوا لذكرت ذلك ونظرت بهم ، ولكن رماحهم أجرتنى أى قطعت لسانى عن الكلام بفرارهم . ٢٠

فإليك بعد اليوم تَقْدِمة * وأنتك بالتصريح مُنْكَشِفَا
لا تُحْدِثَنَّ إِلَى عَارِفَةٍ * حتى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
وقال أبو نُحَيْلَةَ :

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ جَبَلٌ مِنَ الثَّقَى * وما كُلُّ مَنْ أَقْرَضَتْهُ نِعْمَةً يَقْضِي
فَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ مَيِّتًا * وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ
آخر :

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَّتْ بِهِ * إِنَّ أَهْتَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ
وَلَا أَلُومُكَ إِنْ لَمْ يُمَضِّهِ قَدْرٌ * فَالْشَيْءُ بِالْقَدْرِ الْمُخْتَوِمِ مَعْرُوفُ
وقال رجل لسعيد بن جبيرة : المجوسى يُولِنِي خَيْرًا فَاشْكُرْهُ، وَيُسَلِّمُ عَلَى فَارْدُ
عليه ؛ فقال سعيد : سَأَلْتُ أَبْنَ عَبَّاسٍ عَنْ نَحْوِ هَذَا، فَقَالَ لِي : لَوْ قَالَ لِي فِرْعَوْنُ
خَيْرًا لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ مِثْلَهُ .
أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

أَهْلَكْتُ بِفُلَانٍ يَتَّقِي * وَظُنُونُ بِفُلَانٍ حَسَنَةٌ
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ * نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَةٍ
وقال بعضهم : لَا يَتَّقَى بِشُكْرٍ مَنْ تُعْطِيهِ حَتَّى تَمْتَعَهُ ؛ فَإِنَّ الصَّابِرَ هُوَ الشَّاكِرُ ،
وَالْجَازِعُ هُوَ الْكَافِرُ .

وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرَ :

سَاجِرِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مُثَوَّبٌ * وَقَصْدُكَ أَنْ يُنْفَى عَلَيْكَ وَيُجَدِّى

- (١) والظن : تائبك ، وفي ديوانه المصروع : فأليك قبل اليوم تَقْدِمة * لانتك بالتصريح مُنْكَشِفَا
(٢) في نهاية الأرب : * ونهت لى ذكرى وما كان حاملا * (٣) كذا في ديوانه طبع أوردنا
والأعاني (ج ١٠ ص ٧ طبع بولاق) ، وفي الأصل :
... .. منى متوب * وحسبك منى أن أوردَ واحداً وروى القصيدة بالكسر .

والعربُ تقول : فلانٌ « أَشْكُرُ مِنَ الْهَرَقِ » وهو نبت ضعيف ينبت بالسحاب
إذا نشأ وبأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طُيَّبَ نَفْسًا عَنْ شَأْنِي فَأَنْتِ * لَا طَيْبٌ نَفْسًا عَنْ نَدَاكَ عَلَى عُصْرِي
فلستُ إلى جَدْوَالِكَ أَعْظَمَ حَاجَةً * عَلَى شِدَّةِ الإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي

وقال آخر :

حَسْبُ أَمْرِي إِنْ فَأَنْتِ غَرَضٌ * مِنْ رِيهِ أَنْ فَاتَهُ شُكْرِي
إِنِّي إِذَا ضَاقَ أَمْرِي يُجِدُّ * عَنِّي أَتَّسَعْتُ عَلَيْهِ بِالْعُدْرِ

وقال الطائي لإسحاق بن إبراهيم :

وَمُحَجَّبٍ حَاولُهُ فَوَجَدْتَهُ * نَجْمًا عَنِ الرِّكْبِ الْعَفَاةِ شُسُوعًا
أَعْدَمْتُهُ لَمَّا عَدِمْتُ نَوَالَهُ * شُكْرِي فَرُحْنَا مُعْدِمَيْنِ جَمِيعًا

وقال :

فَإِنْ يَكُ أَرْبَى عَفْوُ شُكْرِي عَلَى نَدَى * أَنَّاسٍ فَقَدْ أَرْبَى تَدَاهُ عَلَى جُهْدِي

وقال :

وَكَيْفَ يَجُورُ عَنْ قَصْدِ لِسَانِي * وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَاثِي
وَمَا كَانَتْ الْعِلْمَاءُ قَالَتْ * لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْقُؤَادِ

وقال :

أَبَا سَعِيدٍ وَمَا وَصَفِي بِمُتَمِّمٍ * عَلَى الشَّيْءِ وَمَا شُكْرِي بِمُحْتَرَمٍ

(١) الجدا : السلية . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل : « أدنى » وهو تحريف .

(٣) كذا في ديوان أبي تمام وهو الذي يناسب البيت الذي بعده ، وفي الأصل : « بذلك » .

(٤) في الديوان : « على الحال » .

لئن جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعِيمٍ * إِنِّي لَفِي الشُّكْرِ أَحْطَى مِنْكَ فِي النَّعِيمِ^(١)
 أَنَسَى أَبْسَامُكَ وَالْأَلْوَانُ كَاسِفَةٌ * تَبَسُّمُ الصَّبَاحِ فِي دَاخٍ مِنَ الظُّلُمِ
 رَدَدَتْ رَوْقَ وَجْهِ فِي صَفِيحَتِهِ * رَدَّ الصَّقَالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْخَدِيمِ
 وَمَا أَبَالِي، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ، * حَفَنْتَ لِي مَا وَجَّهِي أَمْ حَفَنْتَ دَمِي

وقال :

فَلَا تَكْذُرْ حِيَاضُكَ لِي فَإِنِّي * أَمْتُ إِلَيْكَ آمَالًا طَوَالًا
 وَفِرَّ جَاهِي عَلَى قَاتٍ جَاهِي * إِذَا مَا غَبَّ يَوْمٌ كَانَ مَا لَا^(٢)

وقال :

يَا مِنَّةً لَكَ لَوْلَا مَا أَخَفَّفَهَا * بِهِ مِنَ الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُطَقِّ
 بِاللَّهِ أَدْنَعُ عَنِّي ثِقَلٌ فَادِحَهَا * فَإِنِّي خَائِفٌ مِنْهُ عَلَى عُنُقِي^(٣)

وقال بشار في عمر بن العلاء :

دَعَانِي إِلَى عُمَيْرٍ جُودُهُ * وَقَوْلُ الْعَشِيرَةِ بِعَرِخِضَمِ
 وَلَوْلَا الَّذِي زَعَمُوا لَمْ أَكُنْ * لِأَمْدَحَ رِيحَانَهُ قَبْلَ شَمِّ

ويقال : الشكر ثلاث منازل : لمن فوقك بالطاعة ، ولينظرك بالمكافأة ، ولمن

دونك بالإفضال عليه .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصل ، وهو غير واضح المعنى ، وقد ورد البيت في الديوان هكذا :

لئن جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ * إِنِّي لَفِي الثَّوَمِ أَحْطَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ

(٢) فِرٌّ : فعل أمر من قولهم : وفَّرَ عَرَضَهُ ووفره له ؛ يشتمه كأنه أبقاه له ضياءً لم يتقصه بستم

قال الشاعر :

إِنِّي وَفِرُّ لَابْنَ الْغُرَيْرَةِ عَرِضَهُ * إِلَى خَالِدٍ مِنْ آلِ سُلَيْمِ بْنِ جَنْدَلٍ

(٣) في الديوان « منها » .

قال إبراهيم بن المهدي^(١) يشكر المأمون :

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تُنَمِّنْ عَلَيَّ بِهِ * وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتَ دَمِي^(٢)
قَابَتُ مِنْكَ وَقَدْ جَلَّتْ نِيَّتِي * هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْنَى رِضَاكَ بِهِ * وَالْمَالُ حَتَّى أُسَلِّ النَّمْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعَتْ * إِلَيْكَ لَوْلَمْ تُعْرِهَا كُنْتَ لَمْ تُلَمْ
وَقَامَ عَلَيْكَ بِي فَأَحْتَجُّ عِنْدَكَ لِي * مَقَامَ شَاهِدٍ عَلِيلٍ غَيْرِ مُتَّهَمٍ

وقال آخر، وبلغني أنه الخنعمي :

فَأَذْهَبَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لِكَمَا عَقَّدَ * سُرَّ إِلَى جَنْبِ قَبْرِهِ فَأَعْقِرَانِي
وَأَنْضَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَا * نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَعْلَمَانِ

١٠ وفد رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته ، فقال له : ما أقدمك؟ قال :
ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة ، قال : وكيف ذلك؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت
إلينا وفاضت في رحالنا وتناولها الأقصى والأدنى منا ، وأما الرهبة فقد أمنتنا بعدل
أمير المؤمنين علينا وحسن سيرته فينا من الظلم ، فنحن وقد الشكر .

وقال الفرزدق في عمرو بن عبدة :

١٥ لَوْلَا أَبْنُ عُبْدَةَ عَمْرُوُ وَالرَّجَاءُ لَهُ * مَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ الْحَقَاءُ لِي وَطَنًا
أَعْطَانِي الْمَالُ حَتَّى قُلْتُ بُودِعْنِي * أَوْ قُلْتُ أُودِعَ لِي مَالًا رَأَاهُ لَنَا

(١) راجع استغاث إبراهيم بن المهدي وشكره للمأمون وخضوعه له ورد ما له رضاءه إليه في أمالي القائل
(ج ١ ص ١٩٩ طبع دار الكتب) . (٢) في أمالي القائل : « ولم تجل » . (٣) كذا
في أمالي القائل والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٩) وفي الأصل : « ما حققت دمي » . وهي هنا مصدرية .

بجوْدُهُ مُتَعَبٌ شَكْرِي وَمِثُّهُ * وَكَلَّمَا زِدْتُ شُكْرًا زَادَنِي مِثَّنَا
يَرِي بِهَيْمَتِهِ أَقْصَى مَسَاقِيهَا * وَلَا يُرِيدُ عَلَى مَعْرُوفِهِ ثَمَّنَا
هذا مثل قول الأعرابي : ما زال فلانٌ يُعطيني حتى ظننتُ أنه يُودعني
ماله . وما ضاع مالٌ أورثَ المحامد .

ويقال : خمسةُ أشياء ضائعةٌ : سراجٌ يُوقَدُ في شمسٍ ، ومطرٌ جودٌ في سَخَةِ ،
وحَسَاءٌ تُزْفُ إلى عَيْنٍ ، وطعامٌ أَسْتَجِيدَ وقُدِّمَ إلى سَكَرَانَ ، ومَعْرُوفٌ صُنِعَ إلى
مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ .

وكان يقال : الشكرُ زيادةٌ في النعم وأمانٌ من الغير .

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ : إذا قُلِمَتِ المصيبةُ تَرَكَّتِ التعزيةُ ، وإذا قُدِّمَ الإخاءُ
قُبِحَ الثناء .

١٠

بَعَثَ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ إلى كاتبٍ له بثلاثين ألفَ درهمٍ ، وكتبَ إليه : قد بعثْتُ
بها إليك ، ولا أَقْلَلُهَا تَكْبَرًا ، ولا أَكْثَرُهَا تَمَنُّنًا ، ولا أَسْتَيْبِكُ عليها ثناءً ، ولا أَقْطَعُ عنكَ
بها رجاءً .

وفي كتاب للهند : لا ثناءَ مع كِبَرٍ . وفيه : ستةُ أشياء لا ثباتَ لها : ظلُّ النعامِ ،
وَحُلَّةُ الأشرارِ ، وعِشْقُ النساءِ ، والمالُ الكثيرُ ، والسُّلطانُ الجائرُ ، والثناءُ الكاذبُ .

١٥

والعربُ تقول : « لا تَهْرَفْ قبل أن تَعْرِفَ » أي لا تُطَيِّنَ في الثناء قبل
الاختبار .

(١) في الأصل : « فكتب إليه » . (٢) هذه الرواية أشار إليها صاحبُ اللسان في مادة

« هرف » وفي جمع الأمثال اليداني : « لا تهرف بما لا تعرف » وهي الرواية المشهورة .

وكتب أبو نؤاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما من يد في الناس واحدة * كيد أبو العباس مولاها
نام الثقات على مضاجعهم * وصرى الى نفسى فأحيانا
قد كنت خفتك ثم آمنيت * من أن أخافك خوفك الله
فغفوت عني عفواً مقتدير * وجبت له نسم فالناها
واليبت المشهور في هذا قول النجاشي :

لا تمحدث أمراً حتى تجربته * ولا تدين من لم يبله الخبر

وقال آخر في الاختبار :

إن الرجال إذا اختبرت طباعهم * ألفتهم شتى على الأخبار
لا تمجّن الى شريعة مؤيد * حتى تين خطة الإصدار
وقال الرماشي : أنشدني أبو العالية :

إذا أنا لم أشكر^(١) على الخير أهله * ولم أذم^(٢) الحبس اللئيم المذمّم
فقيم عرفت الخير والشر بآيئه * وشقّ لي الله المسمع والفأ

قال ابن التّوام : كل من كان ، جوده يرجع اليه ، ولولا رجوعه اليه لما جاد عليك ، ولو تها له ذلك المعنى في سواك لما قصد اليك ، فليس يجب له عليك شكر .
ولانما يوصف بالحدود في الحقيقة ويشكر على النفع في حجة العقل ، الذي إن جاد عليك فلك جاداً ، ونفعك أراد ، من غير أن يرجع اليه جوده بشيء من المنافع على جهة من الجهات ، وهو الله وحده لا شريك له . فإن شكرنا الناس على بعض ما جرى لنا على

(١) في زمر الآداب للعصري (ج ١ ص ٢٥٠) : « إذا أنا لم أمدح » . (٢) الحبس :

أيديهم، فلا مَرَيْنِ : أحدهما اتعبدُ ؛ وقد أمر الله تعالى بتعظيم الوالدين وإن كانا شيطانين وتعظيم مَنْ هو أَمْنُ مَنْنا وإن كنا أفضل منه . والآخَرُ : لأن النفس مالا تُحَصِّلُ الأمورَ ومُمَيِّزُ المعاني، فالسابق إليها حُبٌّ مَنْ جَرى لها على يديه الخير وإن كان لم يُرِدْها ولم يَقْصِدْ إليها . ألا ترى أن عطية الرجل صاحبه لا تَحُلُو أن تكون لله أو لغير الله ؛ فإن كانت لله فتوابعه على الله ؛ وكيف يَحِبُّ في حجة العقل شكره وهو لو صادف ابن سبيل غيري لما أعطاني ؛ وإما أن يكون إعطاؤه إياي للذكر ؛ فإن كان كذلك فإنما جعلني سُلْماً الى حاجته وسبباً الى بُقْته ؛ أو يكون إعطاؤه إياي طلباً للكفاة ؛ فإنما ذلك تجارة ؛ أو يكون إعطاؤه لخوف يدي أو لِسَانِي أو آجترارِ مَعُونَتِي ونصرتي، وسبيلُ هذا معروف ؛ أو يكون إعطاؤه للرحمة والرفقة ولما يحُدُّ في فوائده من العصر والألم، فإنما داوى بتلك العطية من دائه ورفقه من خناقه .

١٠

وكان محمد بن الجهم يقول : نحو هذا قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ أَتَوْا عَلَيْكَ * وَلَا عَظُمُوكَ وَلَا عَظُمُوا^(١)
وَلَا شَأْنُوكَ عَلَى مَا بَلَدٌ * تَ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَلَا قَدَمُوا
وَلَوْ وَجَدُوا لَهْمُ مَطْعَنًا * إِلَى أَنْ يَصِيبُوكَ مَا جَمَعُوا
وَلَكِنْ صَبَرْتَ لِمَا أَلْزَمُوكَ * وَجُدْتَ بِمَا لَمْ يَكُنْ يُلْزَمُ^(٢)
وَكُلَّ قِرَاكَ إِذَا مَا تَقُوكَ * لَسَانًا بِمَا مَرَّمُ يُنْعِمُ
وَحَفْضَ الْجَنَاحِ وَوَشَلَ النَّجَاحِ * وَتَصْفِيرَ مَا عَقْلُ الْمُنْعِمِ
فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ أَلْجَأْتَهُمْ * إِلَى أَنْ يُكَلُّوا وَأَنْ يُنْعَمُوا

١٥

وقال خَلَف بن خليفة الأقطع :

وفي اليأس من أن تسأل الناس راحةً * مُيِّتُ بها عُسْرًا ونَحْيِي بها يُسْرًا^(٣)

٢٠

(١) في الأصل : « وكيف يجب على حجة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا ضَرْبٌ من استغراق ، ولعل فيه تحريفاً من الناحية في الكلمة الأولى بأن يكون أصلها « مجلوك » مثلاً ، أو في الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « نطمو » أي أكثرنا من نظم المدايح فيك .

وليس يدُّ أوليتها بغنيمة * اذا كنت تبغى أن بعد لها شكرا
غنى النفس يكفى النفس ما سد فاقة * فإن زاد شيئا عاد ذلك الغنى فقرا
قال ابن عائشة : بلغني أن عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة حاجة فلم
يقضها له ، فسألها آخر فقضاها له ، فقال :

ذُيِّمَتْ ولم تُحْمَدْ وأدركت حاجتي * تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَأَصْطِنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأَى مُقَصِّرًا * ونفس أضاق الله بالخير بأعها
إذا هي حثته على الخير مرة * عصاها وإن همت بشر أطاعها
وقال ابن عائشة : قال رجل يوما لابن عيينة : ما شئ يُحدثونه يا أبا محمد ؟
قال : ما هو ؟ قال : يقولون إن الله تعالى يقول : أَيْمًا عَيْدَ كَانَتْ لَهُ إِلَى حَاجَةٍ
فَشَغَلَهُ الثَّنَاءُ عَلَى عَنْ سُؤَالِ حَاجَتِهِ ، أَعْطِيَتْهُ فَوْقَ أَمْنِيَّتِهِ ؛ فقال له : يا ابن أخي ،
وما تُشْكِرُ مِنْ هَذَا ! أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت في عبد الله بن جُدعان :
إذا أثنى عليه المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء
فكيف بأكرم الأكرمين !

وكان يقال : في طلب الرجل الحاجة الى أخيه فتنة : إن هو أعطاه حمد غير
الذي أعطاه ، وإن منعه ذم غير الذي منعه .

حلتنا الرياشي قال : أنشدنا كيسان لدكين الراجز :
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرْضَهُ * فكل رداء يرتديه بجمل^(٢)
إذا المرء لم يصرع عن اللؤم نفسه * فليس الى حسن الثناء سبيل

(١) كذا في أمالي القائل (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) : وهو المناسب لشعره ، وفي الأصل :
« فشفع رجل قضيت حاجته » . (٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة لمسول بن عادي .
اليهودي ، كما في أمالي القائل ودوران الحماسة لأبي تمام وغيرهما ، والبيت الثاني يروى في الحماسة هكذا :
وإن هو لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الثناء سبيل
ويروى في أمالي القائل هكذا : إذا المرء لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الثناء سبيل

وكان يقال : أول منازل الحيد السلامة من الذم .

قال عمرو بن أذينة اللبي :^(١)

لا تتركُنْ ، إن صنيعةً سَلَقَتْ * منك وإن كنت لا تُصغَرُها
إلى أمرئ ، أن تقول إن ذِكْرَتْ * عندك في الحيد لست أذكُرُها
فإن إحياءها إيمانُها * وإن مَنّا بها يُكدرُها
وإن تولى أمرؤ بشكرٍ يد * فالفقه يجزي بها ويسكرُها

ويقال : أحيوا المعروف بإمانته .

أبو سفيان الحميري قال : كان مسعدة الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مولى
لخلاد القسيري ، وكان في ديوان الرسائل بواسط ، وكان مؤجراً في كتبه ، فكتب
إلى صديقي له : أما بعد ، فإنه لن يقدمك من معروفك عندنا أمران : أجز من الله
وشكر منا . وغير مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعض الكتاب إلى بعض القمائل : وما أتأمل في وقت من الأوقات ولا يوم
من الأيام آثار أباديك لدى ، ومواقع معروفك عندي ، إلا تبني التأمل على ما يحير
الشكر ويثقل الظهر ، لأنك أنعت من عثرة ، وأنهضت من سقطة ، وتلاقيت
نعمة كانت على مشفا زوال ودروس ، وتلقيت ما ألقى عليك من الكل بوجه
طليق وباع رحيب .^(٢) والسلام .

(١) أذينة : لقب لأبيه . واسمه يحيى بن مالك بن الحارث اللبي . وكان عمرو شاعراً غزلاً من شعراء
أهل المدينة وثقة بئنا ، روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضي الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبي حل
في أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته في كتاب الأغاني (ج ٢١ ص ١٦٢ طبع نونية) .
(٢) في الأصل : «دبال» .

الترغيب في قضاء الحاجة وأصطناع المعروف

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا داود بن المحبر عن محمد بن الحسن الحمداني عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَالسَّيِّئَةِ مَعَهُ فِي حَاجَتِهِ قُضِيَتْ أَوْ لَمْ تُقْضَ كُلُّفَ أَنْ يَسْمِيَ فِي حَاجَةٍ مَنْ لَا يُؤْجِرُ فِي حَاجَتِهِ . وَمَنْ تَرَكَ الْجُلُوحَ عَرَضَتْ لَهُ لَمْ تُقْضَ حَاجَتُهُ حَتَّى يَرَى رَعُوسَ الْمُحَاقِقِينَ " .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبيه عن جده عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اسْتَفْعُوا إِلَيَّ وَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ مَا شَاءَ " .

بلغني عن جعفر بن أبي جعفر المازني عن ابن أبي السري عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنْ أُحِبِّتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللَّهُ فَارْزُقْ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ أُحِبِّتَ أَنْ يُحِبَّكَ النَّاسُ فَلَا يَقَعْ فِي يَدِكَ مِنْ حُطَامِهَا شَيْءٌ إِلَّا نَبَذَتْهُ إِلَيْهِمْ " .

حدثني محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال ابن عيينة : ليس أقول لكم إِلَّا مَا سَمِعْتُ : قِيلَ لِابْنِ الْمُنْكَدَرِ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ . وَقِيلَ : أَيُّ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِفْضَالُ عَلَى الْإِخْوَانِ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا زهير العطاردى^(١) قال : صَلَّى بِنَا أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ الْعَتَمَةَ ثُمَّ أَوَى إِلَى فَرَاشِهِ ، فَاتَتْهُ أَمْرَأَةٌ فَقَالَتْ : أَبَا رَجَاءٍ ، إِنَّ

(١) ورد هذا الاسم بالأمل هكذا : « زريك » بالكاف وهو تحريف ، فقد جاء في القاموس

وشرحه مادة زدر : « سلم بن زدير تكرر من تاهي التابعين طاردي بصرى مع أبا رجاء العطاردى » .

لطارق الليل حقاً، وإن بنى فلان خرجوا إلى سفوان^(١) وتركوا كتبهم وشيئا من متاعهم؛
فانتعل أبو رجاء وأخذ الكتب وأذاها وصلى بنا الفجر، وهو مسيرة ليلة للابل،
والناس يقولون : إنها أربعة فراسخ .

حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدثنا ابن المبارك عن حميد
عن الحسن قال : لأن أفضي حاجة لأني أحب إلى من أن أعتكف سنة .

قال ابن هاشمة : كان عمرو بن معاوية العتيبي يقول : اللهم بلّني عثرات
الكرام .

قال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي : أنت متلاف؛ فقال : يا أمير المؤمنين ،
منع الموجود سوء ظن بالله ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَفْقَرُكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

وكان ابن عباس يقول : صاحب المعروف لا يقع ، فإن وقع وجد متكافئ . هذا
نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم : " المعروف يقي مصارع السوء " .

وكان ابن عباس يقول أيضا : ما رأيت رجلا أوليته معروفا إلا أضاع ما بيني
وبينه ، ولا رأيت رجلا أوليته سوءا إلا أظلم ما بيني وبينه .

قال جعفر بن محمد : إن الحاجة تعرض للرجل قبل فأبادر بقضائها مخافة أن
يستغني عنها أو تأتيه وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع .

وقال الشاعر :

وبادر بسلطان إذا كنت قادرا * زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب

(١) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وبه ماء كثير الساق (التراب) .

وقال آخر في مثله :

بدا حين أترى بإخوانه * ففكك عنهم شاة العدم^(٣)

وذكره الحزم غب الأمور * فبادر قبل انتقال النعم^(٢)

وقرأت في كتاب للهند : من صنع المعروف لعاجل الجزاء ، فهو كلقبي الحب ليصيد به الطير لا لينقعه .

قال ابن عباس : ثلاثة لا أكافهم : رجل بدأني بالسلام ، ورجل وسع لي في المجلس ، ورجل أغبرت قدماء في المشي إلى إرادة التسليم عليّ ؛ فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله جل وعزّ ؛ قيل : ومن هو ؟ قال : رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن يُترله ، ثم رأى أهلاً لحاجته فأنزلني .

وقال سلم بن قتيبة^(٤) : ربّ المعروف أشدّ من ابتدائه .

ويقال : الابتداء بالمعروف نافلة ، وربّه فريضة .

قيل لبزرجمهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرزأ شيئاً ؟ قال : نعم ، من أحببت له الخير وبذلت له الودّ ، فقد أصاب نصيباً من معروفك . قال جعفر بن محمد : ما توسّل إلى أحد بوسيلة هي أقرب به إلى ما يُحب من يد سلفت متى إليه ، أتبعها أختها لأحسن ربّها وحفظها ؛ لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القسريّ ؛ فقال خالد : إني لأبغض هذا الرجل وماله إلى ذنب^(٦) ، فقال رجل من القوم : أوليه أيها الأمير معروفاً ففعل ، فما لبث أن خفّ على قلبه وصار أحد جلسائه .

(١) بدا بمعنى بدأ بالهز وسهل لضرورة الشعر . (٢) له : « قلل » . (٣) الشاة : طرف السيف وحده ، وشاة العقرب : إبرتها ، والظاهر أن المراد هنا أذى العدم وشدة وحشته . (٤) في الأصل « سالم » وما أثبتناه هو المصواب . (٥) ربّ الشيء : يربّه ربّاً : تهدهد وأمناء . (٦) في الأصل : « وماله إليه ذنب » وهي لا تنفق والسياق .

قال ابن عباس : لا يَمَّ المعروف إلا بثلاث : تعجيله وتصغيره وسره ، فإنه إذا عجله هتأه ، وإذا صغره عظمه ، وإذا سره تممه .

وقال الخريجي في نحو هذا :

زاد معروفك عندي عظمًا * أنه عندك محفور صغير
تتأساه كأن لم تأته * وهو عند الناس مشهور كبير

وقال الطائي :

حودٌ مشيت به الضراء^(١) تواضعًا * وعظمت عن ذكره وهو عظيم^(٢)
أخفيته^(٣) خفيته وطويته * فنشرت^(٤) والشخص منه عميم
وكان يقال : ستر رجل ما أوى ، ونشر رجل ما أوى .

وقال رجل لبنيه : إذا اتخذتم عند رجل يدا فأنسوها . وقالوا : المنة تهديم

الصنعة . قال الشاعر :

أفسدت بالمت ما أسديت من حسن * ليس الكريم إذا أسدى بمئان
قال رجل لابن شبرمة : فعلت بفلان كذا وفعلت به كذا ، فقال : لا خير في المعروف
إذا أحمى .

وفي بعض الحديث : "كُلُّ معروف صدقة وما أنفق الرجل على أهله
ونفسه وولده صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو صدقة وكل نفقة أنفقها فعلى الله
خلفها مثلها إلا في معصية أو بئان^(٥)" . وفي الحديث المرفوع "فضل جاهك تعود به

(١) هكذا ورد هذا الشعر في ديوان أبي تمام الطائي (ص ١٥١ طبع مصر) والضراء (فتح الضاد وتخفيف

الراء) : ما وراك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستخفاء والمخفى فإيواريك عن تكديه ومخفله ، يقال :

لا أمسى له الضراء ولا انخرنى أجاهره ولا أخاته . (٢) خفيته : أظهرته . (٣) العميم :

الطويل التام . (٤) قال العزيزي في شرحه لهذا الحديث : إنه البئان الذي لم يقصده به وجه الله تعالى .

عَلَى أَخِيكَ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ وَلِسَانُكَ تُعَبِّرُهُ عَنْ أَخِيكَ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ وَإِمَاطَتُكَ
الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى أَهْلِهِ .
وَكَانَ يُقَالُ : بِذَلِكَ الْجَاهِ زَكَاةُ الشَّرَفِ .

وقال بعض الشعراء :

٥ وليس فتي الفتيان من راح وأغدى * لشرب صبوح^(١) أو لشرب غبوق
ولكن فتي الفتيان من راح وأغدى * لضرر عدو أو لنفع صديق
قال ابن عباس : لَا يَزِدُّكَ فِي الْمَعْرُوفِ كُفْرٌ مِنْ كُفْرِهِ ، فَإِنَّهُ يَشْرُكَ عَلَيْهِ مَنْ
لَمْ تَصْطِنِعْهُ إِلَيْهِ .

وقال حماد بن عمار :

١٠ إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِيَ عَنْكَ عُشْرَتَهُ * حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ بِمَجْهُودٍ
إِذَا تَكْرَّمَتْ أَنْ تُعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ * تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
وَالْبَخِيلُ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلٌّ * زُرُّوا الْعِيُونَ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سَوْدُ
أَوْ رِقَ بِخَيْرٍ تُرْجَى لِلنَّوَالِ فَا * تُرْجَى أَلْتَمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ
بَثَّ النَّوَالُ وَلَا تَمْنَعَكَ قِلَّتُهُ * فَكُلُّ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَجْمُودُ
١٥ والعرب تقول : « مِنْ حَقَّرَ حَرَمَ » .

حدثني عبد الرحمن عن عمه قال : قَالَ سَلَمُ بْنُ قَتِيبة : أَحَدُهُمْ يَحْقِرُ الشَّيْءَ فَإِنِّي
مَا هُوَ شَرُّ مِنْهُ ، يَعْنِي الْمُنْعَ .

وقال الشاعر :

(١) الصبوح : ما شرب من اللبن بالغداء ، فإذ ذوق الفائلة ، والغبوق : ما شرب بالمشي . (٢) هذا
مثل ذكره المبدائي وشرحه بقوله : يقال : حقرته واحقرته إذا عدته حقيرا أى من حقير يسيرا ما يقدر
عليه ولم يقدر على الكثير ضاعت لديه الحقوق . وفي الحديث : « لَا تَرُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفِ مَحْرَقٍ » .

وما أبالي إذا ضيِّفَ تضييْفِي * ما كان عندي إذا أُعْطيتُ مجهودي
جُهدُ المِقْلِ إذا أعطاك مُصْطَرًّا * ومُكثِّرٌ مِنْ غَنَى سِيَانٍ فِي الجُودِ
وفي الحديث المرفوع "أفضلُ الصدقةِ جُهدُ المِقْلِ".

وقال البريقُ الهُدَلِيّ :

أبو مالكٍ قاصِرُ فقره * على نفسه ومُشيعُ غناه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المنبر: أيها الناس عليكم بالمعروف، فإن فاعل
المعروف لا يعدم جوازيه، وما ضعف الناس عن أدائه قوَى الله على جوازيه، والبيت
المشهور في هذا قول الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعمَدُ جَوَازِيهٖ * ^(١) لَا يَنْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

ويقال : إنه في بعض كتب الله عز وجل .

١٠

قال وهب بن منبه : إن أحسن الناس عيشاً من حسن عيش الناس في عيشه،
وإن من ألدّ اللذة الإفضال على الإخوان . وفي الحديث المرفوع "إنما لك من
مالك ما أكلت فأفنت أو ليست فأبليت أو أعطيت فأمضيت وما يسوى ذلك
فهو ملك الوارث".

وقال بشار :

١٥

أنْفِقِ الْمَالَ وَلَا تَتَّقِ بِهِ * خَيْرُ دِينَارِكَ دِينَارُ نَفَقِ ^(٢)

قال بُزْدَجِيهْر : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق فإنها لا تنفق وإذا أدبرت عنك
فأنفق فإنها لا تنفق . أخذه بعض المُحدِّثين فقال :

(١) قال ابن جني : ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز أي لا يعدم جزاء عليه، جزاء عمل جواز
لمشابهة اسم الفاعل المصدر، فكما جمع سيل عن سوائل، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء (انظر
اللسان مادة جزي) . (٢) يرى : «ليس لك من مالك إلا ما أكلت الخ» . (٣) حققت
الدرهم (فتح من الفعل وكسرها) : فئت وذبحت .

فَأَنْفَقَ إِذَا أَنْفَقْتَ إِنْ كُنْتَ مُوسِرًا * وَأَنْفَقَ عَلَى مَا خِلْتَ حِينَ تُعْسِرُ
فَلَا الْجُودُ يُغْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مَقِيلٌ = وَلَا الْبَخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدِيرٌ
وفي "كتاب كيلة" : لَا يَعْدُ عَائِشًا مَنْ لَا يُشَارَكَ فِي غَنَاهُ .

مر الحسنُ برجلٍ يقلبُ درهماً ، فقال له : أَتَحِبُّ دِرْهَمَكَ هَذَا؟ قال : نعم ،
قال : أأنا إنه ليس لك حتى يخرجَ من يدك .

قال الربيعُ بن خثيمٍ لأخيه له : كن وصيَّ نفسك ولا تجعلُ أوصاءك الرجالَ .
وقال بعضُ الشعراء :

سَأُخْبِسُ مَالِي عَلَى حَاجَتِي = وَأَوْثِرُ نَفْسِي عَلَى الْوَارِثِ
أَعَانِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَبِي * أَحَبُّ مِنَ الْمُبِطِيِّ الرَّائِثِ

قال عبيد الله بن عكرِّاش : زَمَنُ خُثُونٍ = وَوَارِثُ شُفُونٍ ؛ فَلَا تَأْمِنِ الْخُثُونُ
وَكُنْ وَارِثَ الشُّفُونِ .

وقال أبو ذرٍّ : لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَانِ نَذَا جَاءَا أَخَذَا وَلَمْ يُؤْمِرَاكَ : الْحَدَثَانِ
وَالْقَدَرُ ، كِلَاهُمَا يَتَرَعَى الْفَتْحُ وَالسَّمِينُ ، وَالْوَرِثَةُ يَنْتَظِرُونَ مَتَى تَمُوتَ فَيَأْخُذُونَ مَا تَحْتِ
يَدَيْكَ وَأَنْتَ لَمْ تَقْدَمْ لِنَفْسِكَ ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَكُونَ أَحْسَنَ الثَّلَاثَةِ نَصِيحًا فَاذْعَلْ .

وقال سعيد بن العاص في خطبة له : مِنْ رَزَقَهُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا فَلْيَكُنْ أَسْعَدَ
النَّاسِ بِهِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتْرُكُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا مُصْلِحٍ فَلَا يَقْلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَإِمَّا مُفْسِدٍ
فَلَا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ . فقال معاوية : جَمَعَ أَبُو عُمَانَ طَرَفَيْ الْكَلَامِ .

(١) على ما ثبتت أي شئت ولزمت ، ومنه على أي حال . (٢) الشفون : الذي ينظر
إليك كالكلاب أو المنقبض . (٣) في نهاية الأوب (ج ٣ ص ٢٠٦) والعقد اشريد (ج ١ ص ٨٤) :
« فليفتق منه سرًّا وجهها حتى يكون أسعد الناس به » .

وقال حُطَّائِطُ بْنُ يَعْفَرٍ :

ذَرِّبْنِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ * لِی الْمَالِ رَبًّا تَحْمَدِي غِيَّهُ غَدَا

أَرِيبْنِي جَوَادَا مَاتَ هَزْلًا لَمَلَّتْنِي * أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَحِيلًا مَحْلَدَا

وَقُلْتُ وَلَمْ أَعْنَى الْجَوَابَ تَبَيَّنِي * أَكَانَ الْمُزَالَ حَتْفَ زَيْدٍ وَأَرْبَدَا

قال أعرابي : الدراهم ميسم تسم حمداً أو ذمّاً ؛ فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ، وما كل من أعطى مالا أعطى حمداً ، ولا كل عديم ذمير .

وقال بعضُ المُحدِّثين :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَسْكَنْتَهُ * فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ

حدثني يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال : حدثنا النعمان بن هلال عن عبد الله

ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تَقَرَّلُ ١٠
المُعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤُونَةِ " .

قال معاوية لوردان مولى عمرو بن العاص : ما بقي من الدنيا تَلَذُّه ؟ قال :

العريض الطويل ؛ قال : وما هو ؟ قال : الخليلت أحسن أو ألقى أخا قد نكبه

الدهر فاجبره ؛ قال : نحن أحق بهما منك ؛ قال : إن أحق بهما منك من سبقك

اليهما . ١٥

وقال أعرابي :

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَعَارَةٌ * فَمَا أَسْطَعْتَ مِنْ مَعْرِفَتِهَا فَتَرَوْدُ

فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بَأَيَّةِ بِلْدَةٍ * تَمُوتُ وَلَا مَا يُحَدِّثُ اللَّهُ فِي غَدٍ

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَمِنْ يَكُ بَعْدُ * ذِرَاعَيْنِ مِنْ قُرْبِ الْأَحْبَةِ يَبْعُدُ

وقال آخر :

إِنْ كُنْتَ لَا تَبْذُلُ أَوْ تَسْأَلُ * أَفْسَدْتَ مَا تُعْطَى بِمَا تَفْعَلُ

قال بعضهم : مضى لنا سلف أهل تواصل، اعتقدوا ميتاً، واتخذوا أيادي ذخيرة لمن بعدهم : كانوا يرون أصطناع المعروف عليهم فرضاً، وإظهار البرِّ حقاً واجبا، ثم حال الزمان بنشئ اتخذوا منهم صناعة، وبرهم مرا بحة، وأيديهم تجارة وأصطناع المعروف مقارضة كنقد السوق خذ مني وهات .

قال العُتبي : وقع ميراث بين ناس من آل أبي سفيان وبنى مروان، قسما حوا فيه، فلما أنصرفوا أقبل عمرو بن عُتبة على ولده، فقال لهم : إن لقريش درجا تزلق عنها أقدام الرجال، وأفعالا تخشع لها رقاب الأموال، وألسناً تكلم معها الشفار المشحودة، وغايات تقصر عنها الجياد المنسوبة ؛ ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سعة أحلامهم، ولو احتفلت ما تزينت إلا بهم . ثم إن ناسا منهم تخلقوا بأخلاق العوام، فصار لهم رفق باللؤم وتحرق في الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقها؛ إن خافوا مكروها تعجلوا له الفقر، وإن عجبت لهم نعمة آخروا عليها الشكر، أولئك أنفهاء فكر الفقر وعجزة حملة الشكر^(١) .

قال بعض المجازيين :

فلو كنت تطلب شأوا الكرام * فعلت ككفيل أبي البختري
تتبع إخوانه في البلاد * فاعغى المقيلاً عن المكثري

القناعة والاستعفاف

حدثني شيخ لنا عن وكيع عن ابن أبي ذئب عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن بن يزيد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من يتقبل^(٢) لي بواحدة

(١) في العقد الفريد : «فكرة الفقر» . (٢) في تهذيب التهذيب للعقلاء في الكلام على عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أورد هذا الحديث بغامش هكذا : "من يتقبل لي بواحدة أتقبل له بالجنة" قلت : ما هي؟ قال "لا تسأل الناس شيئا" .

وَأَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ“ فَقَالَ ثَوْبَانُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : ”لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا“
فَكَانَ ثَوْبَانُ إِذَا سَقَطَ سَوْطُهُ مِنْ يَدِهِ نَزَلَ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْأَلْ أَحَدًا أَنْ يُنَآوِلَهُ إِيَّاهُ .
وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَارِثِيِّ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْسَ مِنْ عَيْدٍ إِلَّا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رِزْقِهِ حِجَابٌ، فَإِنْ آقَتَصَدَّ أَتَاهُ رِزْقُهُ
وَإِنْ آقَتَحَمَّ هَتَكَ الْحِجَابَ وَلَمْ يُزِدْ فِي رِزْقِهِ .

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ وَكَيْعٍ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ أَسَاةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي مَعْنٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيِّ
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”إِنَّ الصَّغَا الْزَّلَالَ^(١) الَّذِي لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ
أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ الطَّمْعُ“ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ”إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ
نَفْسًا لَنْ يَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ^(٢) رِزْقُهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجِلُّوا فِي الطَّلَبِ“ .

١٠ قال ابن حازم :
لِلنَّاسِ مَالٌ وَلِي مَالَانِ مَا لَمْ يَأْكُلْ * إِذَا تَحَارَسَ أَهْلُ الْمَالِ أَتَحَارَسَ
مَالِي الرِّضَا بِالَّذِي أَصْبَحْتُ أَمْلِكُهُ * وَمَالِي الْيَأْسُ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ
أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي حَازِمٍ الْمَدَنِيِّ ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمَلُوكِ : مَا مَالُكَ ؟ قَالَ :
الرِّضَا عَنْ اللَّهِ ، وَالْيَقْنَى عَنِ النَّاسِ .

١٥ وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بَشِيرٍ^(٣) :
وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ فَكَاهَةٍ جَارَتِي * وَإِنِّي لَمَشْنُوءٌ إِلَى آغْيَابِهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا * زَعُورًا وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَى كَلَابِهَا

(١) الصفا الزلال : الأملس من الحجارة . (٢) في الجامع الصغير « حتى تستكمل

أجلها وتستوعب رزقها » . (٣) كذا في الأصل ولم نجد في كتب الأدب التي بين أيدينا شاعرا

هذا الاسم ، وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات « إذا ساء ... الخ » في حماسة الجعفرى (ص ٣٤٢) ٢٠
طبع أوروبا) لزياد بن مفضل التميمي .

ولم أكنُ طَلَّابًا أَحَدِيثَ سِرِّهَا * وَلَا عَلِيًّا مِنْ أَيْ حَوِكِ ثِيَابِهَا
وإِنْ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مَلُؤُهُ * وَيَكْفِيكَ سُوءُ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
إِذَا سُدَّ بَابُ عَنكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ * فَذَرَهَا لِأُخْرَى لَيْسَ لَكَ بِهَا
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ ^(١) :

أَوْجِعُ مِنْ وَخْزَةِ السَّانِ * لِذِي الْحِجَا وَخْزَةُ اللَّانِ
فَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَأَسْتَعْنَهُ * فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانِ
وَأَنْ نَبَا مَقَرُّهُ بِحَرٍّ * نَحْنُ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
لَا يَتَبَثُّ الْحَرُّ فِي مَكَانٍ * يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى الْحَوَانِ
الْحَرُّ حَرٌّ وَإِنْ تَمَلَّتْ * عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّامَانِ

- ١٠ حدثني محمد بن داود عن جابر بن عثمان الحنفى عن يوسف بن عطية قال حدثني
المعلّى بن زياد القردوسى : أن عامر بن عبد قيس النخبرى كان يقول : أَرِيعُ آيَاتِ
مَنْ كَتَبَ اللَّهُ إِذَا قَرَأْتَهُنَّ مَسَاءً لَمْ أَبَالِ عَلَى مَا أُمِيسُ ، وَإِذَا تَلَوْتُهُنَّ صَبَاحًا لَمْ أَبَالِ عَلَى
مَا أَصْبَحُ : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . ﴿ وَإِنْ يُرْذَكَ بِيَخِيرَ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ ﴾ . ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ . ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ
عُسْرِكُمْ إِيسْرًا ﴾ .

حدثني عبد الرحمن عن بشر بن مصلح قال قال إبراهيم بن أدهم : لا تجعل بينك
وبين الله مُنْعِيًا عَلَيْكَ ، وَعَدَّ النَّعْمَ مِنْهُ عَلَيْكَ مَغْرَمًا .

- ٢٠ (١) تقدم هذا الشاعر في الصفحة السابقة باسم «ابن حازم» وقد ذكره في هذا الشخصين أم لشخص
واحد . وقد بحثنا عن هذه الأبيات لتحري عن تحقيق هذا الاسم فلم نجدها . (٢) كذا في الخلاصة
في أسماء الرجال للفرزدجى بضم الفاف . وفي الأصل : « القردوسى » بفتح الفاء وهو مخربف .
(٣) كذا في البيان والتهيين . وفي الأصل : « وأعد الله نعم منكم مغنا » .

حدثني الرباعي عن الأصمعي قال : أبرع بيت قاله العرب بيت أبي ذؤيب
المُذَلِّي :

والنفس رغبة إذا رغبها * وإذا تردُّ الى قليل تنفع

قال أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصَّفَّار عن المجاج بن الأسود
قال : احتاجت عجوز من العجيز أقدم ، قال : فخرعت الى المسألة ، ولو صبرت لكان
خيرا لها . ولقد بلغني أن الإنسان يسأل فيمنع ، ويسأل فيمنع ، والصبر مُنبذٌ ناحية
يقول : لو صبرت إلى لكفيتك .

وكان يقال : أنت آخر العز ما ألنحت القناعة ، ويقال : اليأس حرُّ والرَّجاء عبدٌ .

وقال بعضُ المفسرين في قول الله عز وجل : (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال :

بالقناعة . ١٠

وقال سعد بن أبي وقاص لأبيه عمر : يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ،
فإن لم تكن لك قناعة فليس يُغنيك مالٌ .

وقال عروة بن أذينة :

^(١) لقد علمتُ — وما الإسرافُ في طمع — * أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسمى له فيُعطيني تَطْلُبُه * ولو قعدتُ أثنى لا يُعطيني ١٠

وقال أبو العتاهية :

^(٢) إن كان لا يُغنيك ما يكفيك * فكل ما في الأرض لا يُغنيك

(١) ورد هذا البيت في العقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقي وإن لم يأت يأتيني

(٢) أورد الجاحظ في البيان والتبيين عبارة منسوبة لعن تبة شرابي العتاهية وهي : « إن كان يغنيك

من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك » .

وقال بعضهم : الغنى والفقرُ يحولان في طلب القناعة فإذا وجداها قطناها .
 حجت أعرابية على ناقة لها ، فقيل لها : أين زادك ؟ قالت : ما معي إلا
 ما في ضرعها . وقال الشاعر :

يا رَوْحَ مَنْ حَسَمَتْ قَنَاعَتُهُ * سَبَبَ المطامِعِ مَنْ غَدٍ وَغَدٍ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهِ مَثَبًا * لَمْ يُمَسَّ مُحْتَاَجًا إِلَى أَحَدٍ
 وقال أَرْدَشِيرُ : خَيْرُ الشَّيْمِ القَنَاعَةُ . ونماء العقل بالتعلم .

وقال التَّيْرُبْنِ تَوَلَّى :

وَمَقَى تُصْبِكَ خَصَاصَةً فَارْجُ الْغِنَى * وَالَّذِي يَهَبُ الرِّغَائِبَ فَارْغِبْ
 لَا تَغْضَبَنَّ عَلَى أَمْرِي فِي مَالِهِ * وَعَلَى كَرَامِ صُلْبٍ مَالِكٌ فَاعْظَبْ
 وقال أبو الأسود :

وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي مَالٍ جَارٍ لِقُرْبِهِ * فَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بَعْدُ
 وقال كعبُ بن زُهَيْر :

قَدْ يُعَوِّزُ الْحَازِمُ الْمُحْمَدُ نَيْتَهُ * بَعْدَ الثَّرَاءِ وَيُثْرِي الْعَلِيزُ الْحَقِيقُ
 فَلَا تَخَافُ عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَاتَّظَرِي * فَضْلَ الَّذِي بِالْغِنَى مِنْ فَضْلِهِ نَقِيقُ

وشكا رجلٌ إلى قومٍ ضيقاً فقال له بعضهم : شكوتَ مَنْ يَرْحُكَ إِلَى مَنْ
 لَا يَرْحُكُ .

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة : سألني حاجتك ، قال :
 أكره أن أسأل في بيتِ الله غيرَ الله . ورأى رجلاً يسأل في الموقف فقال : أفي مثل
 هذا الموضع تسأل غيرَ الله عز وجل ! .

وقال ابن المعتل :

تُكَلِّفُنِي إِذْ لَالَ نَفْسِي لِمِزْمَا * وَهَانَ طَيْبَا أَنْ أَهَانَ ^(١) لِتِكْرَمَا

تَقُولُ سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ * فَقُلْتُ سَلِيهِ رَبِّي يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَا

وقال ابن عباس : المساكين لا يعودون مريضاً ولا ينهضون جنازةً، وإذا

سأل الناس الله سألوا الناس .

وكان الحسن يطرد السؤال يوم الجمعة، ولا يرى لهم جمعة .

وقال بعض الشعراء :

حُبُّ الرِّيَاسَةِ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ * وَقَلَّ مَا تَجِدُ الرَّاظِينَ بِالْقَسَمِ

وقال محمود الزقاق :

شَادَ الْمُلُوكُ قَصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا * عَنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبٍ ^(٢)

غَالَوْا بِأَبْوَابِ الْحَدِيدِ لِمِزْمَا * وَتَتَوَقَّوْا ^(٣) فِي قُبُجِ وَجْهِ الْحَاجِبِ

وَإِذَا تَلَطَّفَ لِلدَّخُولِ إِلَيْهِمْ * رَاجِعْ تَلَقَّوْهُ بَوَعْدِ كَاذِبٍ

فَارْغَبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ * إِذَا الضَّرَاعِيَّةُ طَالِبًا مِنْ طَالِبٍ

وَجِدْ عَلَى مِيلٍ ^(٤) فِي طَرِيقِ مَكَّةَ :

أَلَا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا * دَعِ الدُّنْيَا لِشَانِيكََا ^(٥)

إِلَى كَمْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا * وَظِلُّ الْمِيلِ يَكْفِيكََا ^(٦)

قال مطرف بن عبد الله لأخيه: إذا كانت لك إلى حاجة فاكُتِبْ بها رُقعةٌ

فإني أَضِنُّ بوجهك عن ذلِّ السؤال .

(١) تتوقوا : تأقروا، يقال : تتوق في مطعمه وملبسه وأمره إذا تجرد وبالغ فيها .

(٢) الميل : ماري في السفر في أنشاز الأرض وأعرافها . (٣) هذان اليتان نسبا في الأغاني

(ج ٢ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبي المتأهبة . (٤) في الأغاني : * وما تصنع بالدنيا *

وقال أبو الأسود :

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا * بِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَكَ وَالْوَجْهَ وَافِرُ

وكان معاوية يُنمِّل بهذين البيتين :

وَقَفَى خَلَا مِنْ مَالِهِ * وَمِنْ الْمُرُوءَةِ غَيْرُ خَالِي

أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤْالِهِ * فَكِفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ

وقال آخر :

أَبَا مَالِكٍ لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَأَجْمَسْ * بِكَفَيْكَ سَيِّبَ اللَّهِ فَاللَّهُ أَوْسَعُ

فَلَوْ تَسْأَلُ النَّاسَ التُّرَابَ لَا وَشَكُوا * إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمِيلُوا فَيَمْنَعُوا^(١)

والمشهور في هذا قول عبيد :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ * وَمَنْ أَسْأَلَ اللَّهَ لَا يَنْجِبُ

قال سليمان لأبي حازم : سَلْ حَوَائِجَكَ : فقال : قد رفعتها الى من لا تُخَذَلُ^(٢)

الحوائج دونه .

قال بعض المفسرين في قول الله عز وجل : (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أى المخلوق

يَرْزُقُ فَإِذَا سَخِطَ قَطَعَ رِزْقَهُ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْخَطُ وَلَا يَقْطَعُ .

وقال الشاعر :

لَا تَضْرَعْ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى طَمَعٍ * فَإِنَّ ذَلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ بِالْدِّينِ

وَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ رِزْقًا مِنْ خَزَائِنِهِ * فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنَّوِنِ

(١) روى هذا البيت في لسان العرب مادة «وشك» وشرح الأئمة ج ١ ص ٣١٥ ضع بولاق :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا * إذا قيس هاتوا أن يملوا ويمنعوا

(٢) هكذا في كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) وفي الأصل : «تُخَذَلُ» .

وقال الخليل بن أحمد :

أبلغ سليمان^(١) أني عنه في سعة * وفي غنى غير أني لست ذا مال
تُحْتَأْبِغِي، إني لا أرى أحدا * يموت هزلا ولا يبقى على حال
فالرزق عن قدر لا الضعف يمنه * ولا يزيدك فيه حول عتاه

وقال المعلوط :

متى ما ير الناس الغنى وجاره * فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن حظوظ قسمت وجدود

وقال آخر :

يحبب الفتى من حيث يرزق غيره * ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

وقال أبو الأسود :

ليتك آذنتني بواحدة * تجعلها منك سائر الأبد
تحلف ألا تبهرني أبدا * فإن فيها برذا على كبدى
إن كان رزقي إليك فأرهم به * في ناظرى حية على رصدي

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حرفة يقال فيها خير من مسألة الناس .

- ١٥ (١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان رالي فارس والأهواز ، فكتب الى الخليل بن أحمد يستدعي حضوره ، وكانت له راتب على سليمان المذكور ، فكتب الخليل جوابه : أبلغ سليمان ... الأيات . قطع عنه سليمان الراتب ، فقال الخليل :
ان الذي شق في ضائي * للرزق حتى يتوفاني
حرماني مالا قليلا فإ * زادك في مالك حرمانى

- ٢٠ فبلغت سليمان فأقامه وأقصدته . وكتب الى الخليل يستدريه وأضعف راتبه . (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ ضح بولاق) .

وقال سعيد بن العاص : مَوطِنانِ لا أَسْتَحِي منَ العِيِّ فيهما : عندَ مُحاطَتي
جاهلاً، وعندَ مَسْأَلتي حاجةً لنفسي .

حدَّثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال :
جاء رجلٌ إلى شُرَيْحٍ يَسْتَقْرِضُ دَراهمَ ؛ فقال له شُرَيْحٌ : حاجُكَ عندنا فأُتِ
مَترَكَ فإنَّها سَناتيكَ ، إني لا أَكره أن يَلْحَقَكَ دُها .

حدَّثني الرَّيَّانِيُّ عن الأَصْمَعيّ عن حَكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه
أوصى بِنِيبه عند موته فقال : إياكم والمَسالَة ، فإنَّها آخِرُ كَسبِ الرِّجل .
وقال بعضُ المَحدثينَ :

عَوَدْتُ نَفْسي الضَّيِّقَ حَتَّى أَلْفُتُهُ * وَأَخْرَجَنِي حَسَنُ الْعِزاءِ إلى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ قَلْبِي لِلأَذَى الْأَنسُ بِالأَذَى * وَقَد كُنْتُ أَحياناً يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
وَصَيَّرَنِي يَأْمِي مِنَ النَّاسِ راجِياً * لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لا أُدْرِي
وقال آخر :

حَسْبِي بِعِلمِي لو تَفَعَّ * ما أَلْذُلُّ إلا في الطَّمَعِ
مَنْ راقِبَ اللَّهَ تَزَعَّ * عَنِ قُبْحِ ما كانَ صَنَعَ
ما طارَ شَيْءٌ فَارْتَفَعَ * إلا كما طارَ وَقَعُ

(١) هكذا ورد هذا البيت في الأصل وقد دخله الحرم ، وورد في الأغاني (ج ٣ ص ١٧٢ طبع

بولاق) :

تَعَوَّدْتُ مرَّةً الصَّبْرَ حَتَّى أَفْتَهُ * وَأَسْلَمَنِي حَسَنُ الْعِزاءِ إلى الصَّبْرِ

(٢) في الأغاني : «لمن صنع الله ...» .

الحِرْصُ والإِلْخَاحُ

لَمَّا قَتَلَ كِسْرَى بَرْزَجِيهْرَ وَجَدَ فِي مَنَظَفَتِهِ كِتَابًا : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ
حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْقَدَرُ فِي الدَّاسِ طِبَاعًا فَالْتَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا
كَانَ الْمَوْتُ لِكُلِّ أَحَدٍ رَاصِدًا فَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمُوقٌ .

وقال بعض الشعراء :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ * وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُوكٌ
وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : لَا يَكْثُرُ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ الْحَوَائِجِ ؛ فَإِنَّ الْعَجَلَ إِذَا أَفْرَطَ
فِي مَقْصِ أَمَةٍ نَظَحَتْهُ وَنَحَتْهُ .

وقال مدي بن زيد :

قَدْ يُدْرِكُ الْكَبِيطُ مَنْ حَظَّهُ * وَالرَّزْقُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِيسِ ١٠
وقال ابن المقفع : الْحِرْصُ مَحْرَمَةٌ ، وَالْجَبْنُ مَقْتَلَةٌ ، فَانْظُرْ فِيهَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ
أَمِنْ قَتْلٍ فِي الْحَرْبِ مُقْبِلًا أَكْثَرُ أَمْ مَنْ قُتِلَ مُدِيرًا ، وَانْظُرْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ
وَالْتَكْرَمِ أَحَقُّ أَنْ تَسْخَوْ نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ بِالشَّرِّ وَالْحِرْصِ .
وقال الشاعر :

كَمْ مِنْ حَرِيسٍ عَلَى شَيْءٍ يُدْرِكُهُ * وَعَلَّ إِدْرَاكَهُ يُدْنِي إِلَى عَطِيَّةٍ ١٥
وقال آخر :

وَرُبَّ مُلْحٍ عَلَى بُغْيَةٍ * وَفِيهَا مَنِيَّتُهُ لَوْ شَعَرَ
وَالْمَرْبُ يَقُولُ فِي الرَّجُلِ الْمُلْحِ فِي الْحَوَائِجِ الَّذِي لَا تَقْضِي لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا سَأَلَ
أُخْرَى :

* لَا يُرْسِلُ السَّاقِ إِلَّا مُمِسِّكَ سَاقًا * ٢٠

وأصلُ المثل في الحِرْبَاءِ، إذا اشتدَّ عليه حرُّ الشمسِ لجأ إلى شجرة ثم تَوَقَّى في أغصانها،
فلا يُرسلُ غُصْنًا حتَّى يَقْبِضَ على آخر .

وقال الشاعر :

أَنْى أُتِيحَ له حِرْبَاءُ تَنْقُصِيَّةٌ * لا يُرسلُ السَّاقَ إِلَّا مُسَكَّ سَاقًا

وفي كتاب كلیلة : لا فقر ولا بلاء كالحرص والشره، ولا غنى كالرضا والقناعة،
ولا عقل كالتيدير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق .

قال ابن المقفع : الحرص والحسد يكرّ الذنوب وأصل المهالك؛ أما الحسد
فأهلك إبليس، وأما الحرص فأنجى آدم من الجنة .

وفي كتاب كلیلة : خمسة حرصاء، المال أحب إليهم من أنفسهم : المقاتل
بالأجرة، وحقار القني^(١) والأسراب، والتأجير يركب البحر، والحاوي يوسع يده
الحية، والمخاطر على شرب السم .

دخل مالك بن دينار على رجل محبوب قد أخذ بمال عليه وقيد، فقال له : يا أبا
يحيى، أما ترى ما نحن فيه من هذه القيود ! فرفع مالك رأسه فرأى سلة، فقال : لمن
هذه ؟ قال : لى، قال : فأمر بها أن تنزل، فأنزلت فوضعت بين يديه، فإذا دجاج^(٢)
وأخيرة^(٣)، فقال مالك : هذه وضعت القيود في رجلك .

كان أشعب يقول : أنا أطمع وأنى تيقن قتل ما يفوتنا .

(١) قاله أبو ذؤاد الإيادي . قال ابن بري : هكذا أشبهه الجوهري وصراب إنشاده : «أنى أتيج
لها» لأنه وصف فلانًا ساقطًا وأزجها سائق مجتهد (انظر اللسان مادة حرب) والتعبية : واحدة التئيب وهو
شجر عيدانه بيض ضخمة وورقه متبعض ولا نزاه إلا كأنه يابس مغبر . (٢) جمع قناة وهي الآبار
التي تحفر في الأرض . (٣) أخيرة : جمع خيص، والخييص : ضرب من الحلواء .

وقال النابغة :

والْيَأْسُ عَمَّا فَاتَ يُعْقِبُ رَاحَةً * وَلِرُبِّ مَطْعَمَةٍ تَسْوَدُ ذُبَابًا^(١) ^(٢) ^(٣)

وقال أبو علي الضرر :

فَأَنْ قَدْ بَلَوْتُكُمْ جَمِيعًا * فَمَا مِنْكُمْ عَلَى شَكْرِي حَرِيصُ
وَأَرْخَصْتُ الثَّنَاءَ فِعْفَعْتُمُوهُ * وَرُبَّمَا غَلَا الشَّيْءُ الرَّخِيسُ
فِعِفْتُ نَوَالِكُمْ وَرَغِبْتُ عَنْهُ * وَشَرُّ الزَّادِ مَا عَافَ الْخَصِيسُ^(٤)

وقال أعرابي :

أَيُّهَا الدَّائِبُ الْحَرِيصُ الْمُنَى * لَكَ رِزْقٌ وَسَوْفَ تَسْتَرِفِيهِ
قَبَّحَ اللَّهُ نَائِلًا تَرْجِيهِ * مَنْ يَدَى مَنْ تُرِيدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ
إِنَّمَا الْجُودُ وَالسَّاحُ لِيْنُ يُعْ * طَلِكُ عَفْوًا وَمَاءُ وَجْهِكَ فِيهِ
لَا يَنَالُ الْحَرِيصُ شَيْئًا فَيَكْفِيهِ * وَإِنْ كَانَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ
فَسَلِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَدَعِ النَّاسَ * سَ وَأَسْخِطْهُمْ بِمَا يُرْضِيهِ
لَا تَرَى مُعْطِيًا لِمَا مَنَعَ اللَّهُ * وَلَا مَانِعًا لِمَا يُعْطِيهِ

(١) كذا في لسان العرب مادة «ذبح» وفي الأصل : «مطعم» . (٢) في لسان العرب :

«تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخبيص هو الفقير، اشتقاقا من الخصامة وهي الفقر، ولم نضطر عليه في كتب اللغة التي بين أيدينا .

[وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتي] :

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لأبن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن عليّ الواعظ الجزريّ وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسة . والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام، والله الموفق للصواب .

[وفيه كذلك — وهو من زيادات النسخ —] :

في الاستعفاف :

عليك بالياس من الناس * إن غنى نفسك في الياس
كم صاحب قد كان لي وامقاً * إذ كان في حالة إفلاس
أقول لو قد نال هذا الغنى * صيرني منه على التراس
حتى إذا ما صار فيا أمتى * وعدّه الناس من الناس
قطع بالصّدّ جبال الصفا * مني ولما يرض بالقاسي
آخر وقد أحسن :

إنّ للمعروف أهلاً * وقليل فاعلوه
أحنأ المعروف ما لم * تُبذل فيه الوجوه
أنت ما استغيت عن صا * حبك التمر أخوه
فلذا آحتجت إليه * ساعة يحك فوه

إنما يعرف الفضل * بل من الناس ذووه
لو رأى الناس نبيًا * سائلا ما وصلوه

وكتب أبو العيناء إلى أبي القاسم بن عبيد الله بن سليمان رُقعة يقول فيها : أنا
— أعزك الله — وولدي وعيالي زرعٌ من زرعك، إن سَقَيْتَهُ رَاعٌ وزَكَا، وإن
جَفَوْتَهُ ذَبُلٌ وذَوَى . وقد مسني منك جفاءٌ بعد رِوَافِئٍ بعد تَهْدٍ، فشِيتَ
عدوٌّ، وتكلم حاسدٌ، ولِيتَ بي ظنونٌ؛ وآتِراعُ العادة شديداً. ثم كتب في آخرها:
لا تُهِنِّي بعد إكرامك لي * فشديداً طادةً مُتَرَعَةً

آخر:

مالي معاشٌ سوى ضدِّ المعاش فلا * أغدو إلى عملٍ إلا بلا أملٍ
وليس لي شغلٌ يُجِدِي على إذا * فكُتِّ فيه وما أُنْفَكُ من شُغْلٍ
كُلُّ أمري رائجٌ غادٍ إلى عمل * وما أروح ولا أغدو إلى عمل
ولستُ في الناس موجودًا كبعضهم * وإنما أنا بمضٍ الناس في المثل

آخر:

المرء بعد الموتِ أهدونه * يفنى وتبقى منه آثاره
يَطْوِيهِ من أيامه ما طوى * لكنه تُنْشَرُ أسرارُه
وأحسنُ الحالاتِ حالُ أمري * تَطِيبُ بعد الموتِ أخبارُه
يفنى ويبقى ذكرُه بعد * إذا خلت من شخصه دارُه

وقال حبيب الطائي :

وما ابنُ آدمَ إلا ذكرٌ صالحه * أودَّ كُزْبِيَّةً يسرى بها الكَلِمُ
أما سمعتَ بدمعٍ باد أُمْتُهُ * جاءت بأخبارها من بعدها أُمُّ

في البخل :

طَرَقْتُ أَنَا سَا عَلَى ضِرَّة * فَذُقْتُ مِنَ الْعَيْشِ جَهْدَ الْبَلَاءِ
فَأَمَّا الْقَدِيدُ^(١) وَأَشْبَاهُهُ * فَذَاكَ مَفَاتِيحُهُ فِي السَّمَاءِ
وَأَمَّا السَّوِيقُ فَفِي عَيْيَةٍ * يُتَمُّ وَيُدْعَى لَهُ بِالْبَقَاءِ
وَمَنْ حَاوَلَ الْخَبِيزَ قَالُوا لَهُ * أَتَذْكُرُ شَيْئًا خُسِيٍّ لِلدَّوَاءِ

(١) القديد: اللحم المخفف في الشمس .

كتاب الطعام

صنوف الأطعمة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله عليه : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف : أي الطعام أحب إليك ؟ قال : الزبد والكأه^(١)؛ فقال عمر : ما هما بأحب الأطعمة إليه، ولكنه يحب الخصب للمسلمين .
قال الأصمعي : قال رجل في مجلس الأحنف : ليس شيء أبغض إلى من التمر والزبد؛ فقال الأحنف : ربّ ملوم لا ذنب له .

عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال المجاج جلسائه : ليكتب كل رجل في رقة أحب الطعام إليه ويضعها تحت مصلاي؛ فإذا في الرقاع كلها الزبد والتمر .

عن الأصمعي قال قال مدني : الكأهات أربع : العصيدة والهريسة والخبيصة^(٢) والسمينة^(٣) .

عن الأصمعي عن حزم قال : قال مالك بن حنبله : حنبله بن حنبله بن حنبله : ما تزودت إلينا ؟ قال : الخبيصة؛ قال : ثلاثة أسقية في وعاء .

(١) الكأه اسم للجمع وللواحد : نبات يقال له : شحم الأرض ، مستدير كالقنار ، لا ساق له ولا مرق

لونه إلى القبر ، يوجد في الربيع تحت الأرض . (٢) في القندل القريد (ج ٣ ص ٣٨٢) : « ماغى » ، أبغض إلى من الزيت والكأه . (٣) الخبيصة : الأقط يخلط بالتمر والسمن . (٤) السمينة (بالهال المهملة والقاف المحببة) : الخوازي ، وهي لباب الدقيق .

قال الأصمعيّ: قال بعض الأعراب: أشتى ثريدةً ^(١) دكّاء من القفل، ^(٢) رقطاء ^(٣) من الجحص، ذات خفافين ^(٤) من اللحم، لها جناحان من العراق ^(٥)، أضرب فيها ضرب وليّ السوء في مال اليتيم.

وقال ابن الأعرابي: يقال: أطيب اللحم عودُهُ، أى أطيبه ما وليّ العظم، كأنه

• عاذ به .

عن أبي عبيدة قال: مرّ الفرزدقُ بحبي بن الحصين بن المنذر الرقاشي، [ف]قال له: هل لك يا أبا فراس في جديّ سمين وتبيذ زبيب جيد؟ فقال الفرزدق: وهل يابى هذا إلا ابنُ المراغة! يعني جريرا.

وقال الأحوص لجرير: ما يُحبُّ أن يُعدَّ لك؟ قال: شواءٌ وطلاءٌ ^(٦) وغناءٌ؛

١٠ قال: قد أعددتُ لك .

وقال مدنيّ لصديق له: والله أشتى كشكبةً ^(٧)، ومدّها صوتها فخرجت منه

ريج؛ فقال له: ما أسرع ما لقصّتك يابن عم .

(١) ثريدة دكّاء: كثيرة الأبالير، والأبالير: الذابل وهو ما يلبس الطعام . (٢) كذا

في كتاب البخل - لمّا حظ (ص ١٩٤) وفي الأصل: «ومن» . (٣) الرقطاء: السوداء تشويها

نقط بيضاء . (٤) كذا في البخل، والخفاف: الجانب . وفي الأصل: «خفافين» بالخاء

المعجمة وهو تحريف . (٥) العراق (بضم العين): الضام إذا لم يكن طليها شيء من اللحم .

(٦) الطلاء: الخمر . (٧) في كتب اللغة الكشكبة: ماء الشعير، وفي القواميس الفارسية:

الكشك: ضرب من الحساء المزجة مصنوعة من القمح والشعير وزبد لبن الشاء، وربما أضيف إليه شيء من اللحم .

وعن الأصمعي قال: قال شيخ من أهل المدينة: أتيت فلانا فأتاني بمَرَقَةٍ كان فيها مُسَقًّى، فلم أَر فيها إلا كَيْدًا طافيةً، فَنَمَسْتُ يَدِي فوجدت مُضْغَةً، فَمَدَدْتُهَا فَأَمْتَدْتُ حَتَّى كَأَنِّي أَزْمُرُ فِي نَائِي .

- أَدْخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى كَسْرِي لِيَنْجِبَ مِنْ جَفَائِهِ وَجَهْلِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : أَيْ شَيْءٍ أَطِيبُ لِحَا؟ قَالَ : الْجَمَلُ . قَالَ : فَأَيْ شَيْءٍ أَبْعَدُ صَوْتًا ؟ قَالَ : الْجَمَلُ . قَالَ : هـ . فَأَيْ شَيْءٍ أَنَهَضُ بِالْجَمَلِ الثَّقِيلِ ؟ قَالَ : الْجَمَلُ . قَالَ كَسْرِي : كَيْفَ يَكُونُ لَحْمُ الْجَمَلِ أَطِيبَ مِنَ الْبَطِّ وَالْذَّجَاجِ وَالْفِرَاحِ وَالذَّرَاجِ وَالْجَدَاءِ؟ قَالَ : يُطْبَخُ لَحْمُ الْجَمَلِ بِمَاءٍ وَمِلْحٍ، وَيُطْبَخُ مَا ذَكَرْتَ بِمَاءٍ وَمِلْحٍ حَتَّى يُعْرَفَ فَضْلُ مَا بَيْنَ الطَّعْمَيْنِ . قَالَ : كَيْفَ يَكُونُ الْجَمَلُ أَبْعَدَ صَوْتًا وَنَحْنُ نَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنَ الْكُرْكِيِّ^(٢) مِنْ كَذَا وَكَذَا مِيلًا؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : ضَمَّ الْكُرْكِيُّ فِي مَكَانِ الْجَمَلِ وَضَمَّ الْجَمَلُ فِي مَكَانِ الْكُرْكِيِّ حَتَّى تَعْرِفَ أَتِيَهُمَا أَبْعَدُ صَوْتًا . قَالَ كَسْرِي : كَيْفَ تَزْعُمُ أَنَّ الْجَمَلُ أَحْمَلُ لِفِعْلِ الثَّقِيلِ وَالْفِيلُ يَحْمِلُ كَذَا وَكَذَا رُطْلًا ؟ قَالَ : لِيُبْرِكَ الْفِيلُ وَيُبْرِكَ الْجَمَلُ وَيُحْمَلُ عَلَى الْفِيلِ حِمْلُ الْجَمَلِ ، فَإِنْ نَهَضَ بِهِ فَهُوَ أَحْمَلُ لِلْأَثْقَالِ .

- عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ : شَيْئَانِ لَا يَزِيدُهُمَا كَثْرَةُ النَّفَقَةِ طِيًّا : الطَّيِّبُ وَالْقَدَرُ ، وَلَكِنْ تُطَيَّبُهُمَا إِصَابَةُ الْقَدَرِ . ١٥

وَفِيهَا أَجَازٌ لَنَا عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَاهِظِ مِنْ كَتَبِهِ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّوْرِيُّ يُعْجَبُ بِالرَّءُوسِ وَيَصِفُهَا وَيُسَمِّي الرُّأْسَ عُرْسًا لِمَا تَجْمَعُ فِيهِ مِنَ الْأَلْوَانِ الطَّيِّبَةِ ،

- (١) المضغة : فخذ اللحم . (٢) الذَّرَاج (وزان رمان) : طائر يطلق على الذكر والأنثى جميل المنظر ملون الريش . (٣) الكُرْكِيُّ : طائر يقرب من الإبرر أهر القنب رمادي اللون في خذه لمعات سود قليلة الغم ملب العظم يأوى إلى الماء أحيانا . (٤) قد أورد عمرو بن بحر الجاهظ هذه القصة في كتابه البخل (ص ١١٥ طبع أوروبا) . ٢٠

وكان يسميه مرةً الجامع ومرةً الكامل، ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوانٍ عجيبية وطعوم مختلفة ؛ وكلٌ قديرٌ وكلٌ شواءٌ فإنما هو شيءٌ واحد، والرأس فيه الدماغُ وطعمه مُفرد، والعينان وطعمهما مفرد [وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومؤخر العين وطعمها على حدة]، على أن هذه الشحمة [خاصةً] ^(١) أطيبُ من المِخْ وأنهم من الزُّبدِ وأدسم من السَّلاء، ثم يُعَدُّ أسقاطه كلها، ويقول: الرأسُ سيدُ البدن، وفيه الدماغ وهو معِدِنُ العقل، ومنه يتفوق العَصَبُ الذي فيه الحِسُّ، وبه قِوَامُ البدن، وإنما القلبُ بابُ العقل؛ كما أن النفس هي المدركة والعين هي باب الألوان، والنفس هي السامعة الناقطة وإنما الأنف والأذن بابان . ولولا أن العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه ؛ وفي الرأس الحواس الخمس . وكان يُنشد :

١٠ هُمُضَرُّو رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي * وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُتَّقَى ثُمَّ سَائِرِي ^(٢)

وكان لا يشتري الرأس إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرؤوس يوم السبت أكسَدُ، للفضلات التي تبقى في منازل التجار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غَدائه يوم الرأس، عَمَدَ إِلَى الصَّحْفِ إِلَى الْخَيْمِ ^(٣) فوضعه قُرْبَ بيوت النمل والنز، فإذا اجتمعن عليه أخذه ونَقَضَهُ فِي طَسِيَةٍ فِيهِ ماء، ولا يزال يُعيد ذلك على تلك المواضع حتى يُقْلِعَ النمل والنز من داره، فإذا فرغ من ذلك ألقاه مع الحطب فاستوقده في التَّنُورِ .

الأصمعي قال: قال أبو صَوَّارَةَ أو ابن دُقَّة : الأرز الأبيض بالسمن المسلَّى بالسكر الطَّبْرَزْدِ، ليس من طعام أهل الدنيا .

٢٠ (١) الزيادة عن البخلاء . (٢) في البخلاء: «إذا» . (٣) الصَّحْف: العظام التي فوق الدماغ، أو هو ما أُتْلِقَ من الجمجمة فاقطع، ولا يدعى قِطْعًا حتى يتكسره شيء . (٤) الخيان: ضلًا الحنك وهما اللذان عليهما الأسنان، وفي البخلاء: «الجين» . (٥) الطَّبْرَزْد: السكر الأبيض الصلب، فارسي .

قال: وقال أبو صَوَّارة أو ابن دُقَّة : أطول الليالي ثلاث : ليلة المقرب، وليلة الهريسة، وليلة جُدَّة إلى مكة .

الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال : قال أبو كامل مولى علي رضي الله عنه :
أَطْعِمُونِي حَفَنَةً زُيْدٌ ثُمَّ اخْتَمُوا سِرَاطِي ثَلَاثًا .

وقال رجل للثوري في الحديث : "إِنَّ اللَّهَ يُغْفِضُ الْبَيْتَ الْلَحْمَ"؛ فقال : ليس هو الذي يُؤْكَلُ فِيهِ اللَّحْمُ ، وإنما هو الذي يُؤْكَلُ فِيهِ لَحُومُ النَّاسِ .

عن أبي الصَّدِّيق النَّاجِي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "خَيْرُ تَمَرَاتِكُمُ الْبَرْبِيُّ يَذْهَبُ بِالذَّاءِ وَلَا دَاءَ فِيهِ" .^(١)

وعن ابن عمر عن عمر أنه قال : يا غلام أَنْضِجِ الْعَصِيدَةَ تَذْهَبْ حَرَارَةُ الزَّيْتِ .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ تَمَرٌ جِيَاعٌ أَهْلُهُ" .^(٢)

شيخٌ من أهل البادية قال : أضافنا فلان فأتانا بِمِنْطَةِ كَأَنها مَنَاقِيرُ الْغُرَبَانِ ، وتَمَرٌ كَأَنه أَعْنَأَقُ الْوَزِيِّ حُلٌ فِيهِ الضَّرْسُ .^(٣)

الأصمعي قال : قال أعرابي : تَمَرْنَا جَرْدُ فُطْسٍ يَغِيبُ فِيهِ الضَّرْسُ ، كَأَن نَوَاهِ السُّنِّ الطَّيْرَ ، تَضَعُ التَّمْرَةَ فِي فَيْكِ فَتَجِدُ حَلَاوَتَهَا فِي كَمَيْتِكَ .^(٤)

الأصمعي عن أبيه قال : أَسَرَ رَجُلٌ رَجُلَيْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَخِيرَهُمَا بِمِشْشِمَاهُمَا ، فَأَخْتَارَ أَحَدُهُمَا اللَّحْمَ وَأَخْتَارَ الْآخَرُ التَّمْرَ ، فَعُشِّيَا وَأُلْقِيَا فِي الْفَنَاءِ وَذَلِكَ فِي شِتَاءٍ شَدِيدٍ ، فَأَصْبَحَ صَاحِبُ اللَّحْمِ خَامِدًا وَأَصْبَحَ صَاحِبُ التَّمْرِ تَرَّرَ عَيْنَاهُ .^(٥)

(١) هو بكر بن عمر أو ابن قيس ، كما في تهذيب التهذيب والخلاصة . (٢) البري : ضرب من التمر

أصفر مدتر ، وهو أجود التمر . (٣) في الأصل هكذا : «الوزلان» والظاهر أنه محزن عما أثبتناه .

(٤) جرد : ناعمة . (٥) فطس : صغار الحب لاطئة الأفاع . (٦) تَرَّرَ عَيْنَاهُ : تَوَقَّدَانِ .

وقال غير الأصمى : قيل لأعرابي : ما رأيك في أكل الحُرَّى ؟ قال : ثمرة
نَرمِيَانَةٍ غِراءُ الطَّرَفِ صفراءُ السَّائرِ عليها مِثلُها زُبْدًا أَحَبُّ إلىَّ منها ، ثم أدركه
الوَرَعُ فقال : وما أَحَرُّهُما .

وقال بعضُ الأعراب :

أَلَا لَيْتَ لِي خُبْرًا تَسْرِبِلُ رَأْيًا * وَخِيَلًا مِنَ الْبَرِّيِّ قُرْمَانُهَا الزُّبْدُ

قال : ورأى أعرابيٌ دقيقًا وتمرا فأشترى التمر؛ قيل له : كيف وسعرُ الدقيق
والتمر واحد ! قال : إِنْ في التمر أَذْمَةٌ وزيادة حلاوة .

عن زياد التَّمْرِيّ قال : قالت عائشة : من أكل التمرَ وترًا لم يضره .

الأصمى قال : حدثني شيخٌ عالمٌ قال : أطيبُ التمرِ صَيْحَانِيَّةٌ مُصَلَّبَةٌ .

الأصمى قال : حدثني رجلٌ من آل حَزِيمٍ قال : كان يقال : مَنْ خَلَا عَلَى التمرِ
فَالصَّيْحَانِيَّةُ ، وَمَنْ أَكَلَهُ عَلَى قَعْلٍ فَالصَّيْحَانِيَّةُ .

الأصمى قال : قال أعرابيٌ يُفَضِّلُ الرُّطْبَ عَلَى الْعَسَلِ : أَتَجْعَلُ عَسَلَةً فِي أَخْتَاءِ
الْبَقَرِ كَعَسَلَةٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ لَهَا مَحَارِسُ مِنْ جَرِيدٍ وَذَوَائِبُ مِنْ زُمُرُودٍ !

وقال الأصمى : قِيلَ لِأَبْنِ الْقَدَّاحِ : أَيُّ التمرِ أَطْيَبُ ؟ فدلما بأنواع التمر، فلما
أَكَلُوا قَالَ : أَنْظَرُوا أَيُّ النوى أَكْثَرُ؟ قالوا : نوى الصيحيانى ، قال : هو أطيبُ .

(١) الجزى : ضرب من السمك . والتمر الزيسان : نوع من التمر جيد ، واحدة نرسيانة ،
وفي الأصل «تمر برسانية» وهو تحريف . (٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع
بولاق) . ورواية الأصل : * أَلَا لَيْتَ خُبْرًا قَدْ تَسْرِبِلُ رَأْيًا *

(٣) الصيحيانى : ضرب من التمر أسود صلب المصفة نسب إلى صيحيان وهو كبش كان يربط إلى نخلة
بالمدينة فأثمرت تمرًا فنسب إليه ، ويقال : صلبت التمرة إذا بلغت اليبس (انظر السان مادة صلب) .

(٤) يقال : خلا على بعض الطعام إذا اقتصر عليه . قال الهياثي : تميم يقول : خلا فلان على اللبن وعلى
الحلم إذا لم يأكل معه شيئًا ولا خلطه به . قال : ومثاله وقيس يقولون : أخل فلان على اللبن والحلم .

وقال الأصمعي : العرب تقول للبخیل الأکول : «أَبْرَمًا قَرُونًا» أى لا يُخرج مع أصحابه شيئاً ویأکل تَمْرَينِ تمرَين .

وقال النابغة یصف تمراً :

صغارُ التوی مكنوزةٌ لیس قشرُها * اذا طار قشرُ التمر عنها بطائر

- سَمِعَ الحَسَنُ رجلاً یعیبُ الفالوذجَ فقال : قُتِلَ البَرُّ بِلَعَابِ النحلِ بِخَالِصِ السَّمَنِ ! ما عاب هذا مسلمٌ . وقال لِفَرَقْدِ السَّبَخِيّ : یا أبا یعقوبَ ، بلغنی أنك لا تأکلُ الفالوذجَ ؛ فقال : یا أبا سعیدَ ، أخافُ ألا أُؤدِّيَ شکرَهُ ؛ فقال : یا لُحْمُ ! وهل تُؤدِّي شکرَ الماءِ الباردِ [فی الصَّیْفِ والحارِّ فی الشتاء ! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : (یَا أَيُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُلُوا مِنْ طَیِّبَاتِ ما رَزَقْنَاکُمْ ؟)] .

- ١٠ (١) کذا ورد هذا المثل فی جمیع الأمثال البدائی ولسان العرب مادة «برم» والبرم : الذى لا یدخل مع القوم فی المیسر لبطله . والقرون : الذى یرن بین الشجرین أى هو برم ویأکل مع ذلك تمرَینِ تمرَین . یضرب مثلاً لمن یجمع بین خصلَینِ مکروهَینِ ، وفى الأصل : «أَبْرَمًا کَولًا قَرُونًا» وهو تحریف .
- (٢) الفالوذج : حلواء یشوى من لب الحنطة . فارسیّ معرّب . وفى الصحاح : الفالوذج والفالوذج معرّبة ، قال یعقوب : ولا یقال : الفالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادة فلد) والعرب لا ترضخ حتى حکى أن عبد الله بن جدعان ، وكان سیداً شریفاً فی فَرِیشَ ، وفد على کسرى مرةً وأکل عنده الفالوذجَ فحجب منه وسأل عن حقیقته ، فقیل : هـی لباب البرّ یلبک مع السِّل ، فابتاع من عنده غلاماً یصنعه ، وقدم به مکة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالأطیخ الی باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأکل الفالوذجَ فلیحضر ، فكان من حضرة أمة بن أبی الصلت ، فقال مادحاً :

لکل قِیلةٍ رأسٌ وهادى * وأنت الرأسُ تقدّم کُلَّ هادى

- ٢٠ له راعٌ بمکةٍ مشعلٌ * وأتر فوق داره ینادى
الی رُدْحَ من الشیزى ملائ * لباب البرّ یلبک بالشهاد

(٣) زیادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨١) .

الأصمعيّ قال : اختصم روميّ وفارسيّ في الطعام ، فحكّما بينهما شيخا قد أكلَ طعامَ الخلفاء ، فقال : أما الروميّ فذهب بالحشور والأحشاء ، وأما الفارسيّ فذهب بالبارد والحلواء .

وعن الأصمعيّ قال : كنا عند الرشيد فقدمت إليه فالودجة ، فقال : يا أصمعيّ حدثنا بحديث مُزَرَّدٍ ، فقلت : إن مُزَرَّدًا أخوا الشباخ كان غلاما جشعًا وكانت أمه تُؤثِّرُ عيالها بالطعام عليه وكان ذلك يُحفظه^(١) ، فخرجت أمه ذات يوم تزور بعض أهلها ، فدخل مُزَرَّدُ الخيمة وعمد إلى صاعيّ دقيقٍ وصاعٍ من تمر وصاعٍ من سمن فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول :

ولما غدت أُمِّي تَمِيرُ بَنَاتِهَا * أَغْرَتُ عَلَى الْعِصْمِ الَّذِي كَانَ يُبْعِثُ
لَبَكْتُ بِصَاعِي حِنْطَةٍ صَاعَ عَجْوَةٍ * إِلَى صَاعِ سَمْنٍ فَوْقَهُ يَتَرَبِّعُ^(٢)
وَدَبَلْتُ^(٣) أَمْثَالَ الْأَثَانِي كَأَنَّهَُا * رُيُوسٌ يَقَادُ قُطْعَتُ يَوْمٍ يُجْمَعُ^(٤)
وَقُلْتُ لِبَطْنِي أَشِيرَ الْيَوْمَ إِنَّهُ * حَيَّ أُمَّنَا مِمَّا تُحَوِّزُ وَتَرْفَعُ^(٥)
فَإِنْ كُنْتَ مَصْفُورًا فَهَذَا دَوَاؤُهُ * وَإِنْ كُنْتَ غَرْنَانًا فَذَا يَوْمٌ تَسْبَعُ^(٦)
فَضَحِكَ الرَّشِيدُ حَتَّى اسْتَلَقَ عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : كُلُوا بِأَسْمِ اللَّهِ ، هَذَا يَوْمٌ تَسْبَعُ^(٧)
[يا أصمعيّ] .

(١) يحفظه : يفضبه . (٢) العِصْمُ : الخط نجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها .
(٣) لبكت : خلطت ، والليكة : أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط ويصب عليه السمن . (٤) يتربع : يجتمع هاهنا وهاهنا لا يستقر له وجه ليكرمه . وفي الأصل : « يتربع » بالباء الموحدة . (٥) دبكت الشيء : جمعت بعضه على بعض وعضته مثل الككة . وفي الأصل « ودبكت » بالذال المنجمة والياء المثناة وهو تحريف (انظر اللسان مادة ربع ودبل) . (٦) فقاد : جمع قعدة وهي الصغيرة من الفهم ، الذكر والأنثى في ذلك سواء . (٧) المصفور : من به الصفر وهو داء في البطن يصفر منه الوجه .
(٨) غرنان : جامع ؛ وقد وردت هذه الأبيات في الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨ باختلاف قليل في بعض ألقاظها عما هو مثبت هنا . (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٥) .

قال : وكتب الججاج الى عامله بفارس : ابعت الى عسلًا من عسل خلار^(١) من النحل الأبقار، من الدستفشار، الذي لم تمسه النار .

وقال الأصمعي : كتب بعض الخلفاء الى عامله بالطائف : أن أرسل إلى بعسل أخضر في سقاء، أبيض في الإناء ، من عسل التدغ^(٢) والمعا^(٣)، من حداب^(٤) بنى شابة .

والعرب تصف العسل بالبرودة .

وفي حديث ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الشراب قال : «الحلواء البارد» يعني العسل . وقال الأعشى :

كما شيب بماء با * ريد من عسل النحل

- ويقال : أجود العسل الذهبي الذي إذا قطرت منه قطرة على وجه [الأرض] ١٠
استدار كما يستدير الزيت ولم ينفس ولم يختلط بالأرض والتراب .
والروم تقول : أجوده ما يُلطخ على قتيلة ثم تُسعل فيه النار فيعلق .
وسئل ديمقراطيس العالم عما يزيد في العمر فقال : من أدام أكل العسل
ودهن جسمه به زاد الله بذلك في عمره .

- ١٥ (١) خلاركرمان : موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيد . والدستفشار : كلمة فارسية ومعناها
ما عصرته الأيدي وطالجه . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال ابن سيده في المخصص (ج ٥
ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المستفشار والدستفشار : العسل الذي لم تمسه النار . وقال :
ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم . (٢) كذا في الأصل ، وفي اللسان
مادة «تدغ» أن الذي كتب الججاج ، والججاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذكورها . (٣) التدغ :
الصمغ البري وهو ما تراه النحل وتصل عليه وعسله أطيب العسل ، وفي الأصل «الذغ» .
٢٠ (٤) السقاء : ثوب آثر من مراعي النحل يطيب عسله عليه ، وفي الأصل «السقاء» . وحداب بنى شابة :
جبال بالسرّة ينزل بها بنو شابة ، قوم من فهم بن مالك كما في اللسان وشرح القاموس مادة (حدب) .
وفي الأصل : «حدب» بدون ألف . (٥) في ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه الحي ،
وفي لطائف المعارف للمصنف ص ١١٠ طبع أوروبا : «أن خير الأعسال كلها عسل أصيات» ، وأن
في أجوده هذه الخاصة وذكر الثعالي أنه يحمل من كل ستة الى السلطان أقدار طل .

وَالْعَسَلُ إِنْ جُعِلَ فِيهِ اللَّحْمُ الطَّرِيُّ بَقِيَ كَهَيْئَتِهِ حَتَّى لَا يَتَنُّ . وَيَقَالُ : مَنْ كَانَ بِهِ دَاءٌ قَدِيمٌ فَلْيَأْخُذْ دِرْهَمًا حَلَالًا وَلْيَشْتَرِ بِهِ عَسَلًا ثُمَّ يَشْرِبْهُ بِمَاءٍ سَوَاءٍ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . وَكَانَ الْحَسَنُ يُعِجِبُهُ إِذَا اسْتَمْتَنَى الرَّجُلُ أَنْ يَشْرَبَ اللَّبَنَ وَالْعَسَلَ .

وَيَزْعَمُ أَصْحَابُ الطَّبَائِعِ أَنَّ الْعَسَلَ إِذَا دِيفَ بِالْمَاءِ وَخُلِطَ مَعَهُ زَيْتٌ أَوْ دُهْنٌ سَمِيمٌ نَافِعٌ لِمَنْ شَرِبَ السُّحُومَ وَالْأَدْوِيَةَ الْقَاتِلَةَ يُتَّقَى بِهِ .

مَيُّونُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ قَالَ - وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « أَكْرَمُوا الْخَبَرَ فَإِنَّ اللَّهَ يَخْتَرُ لَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » .

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ تَنْزِلُ الطُّفَاوَةَ وَكَانَتْ قَدْ أَدْرَكَتْ بَعْضَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ الْعَبَادُ يَغْشَوْنَهَا فِي مَرْتَبِئِهَا ؛ فَعَابَ طَائِبٌ عِنْدَهَا السَّيِّئَ ، فَقَالَتْ : لَا تَفْعَلْ ! إِنَّهُ طَعَامُ الْمَسَافِرِ ، وَطَعَامُ الْجُلَّانِ ، وَغِذَاءُ الْمُبَكَّرِ ، وَبُلْغَةُ الْمَرِيضِ ، وَيَشُدُّ قُوَادَ الْحَزِينِ ، وَيَرُدُّ مَنْ نَفَسَ الضَّعِيفِ ، وَهُوَ جَيِّدٌ فِي التَّسْمِينِ وَقَوَاةِ الْبَلْغَمِ ، وَمَسْمُونُهُ يَصْفَى الدَّمَ ، إِنْ شُتِّتَ كَانَ ثَرِيدًا ، وَإِنْ شُتِّتَ كَانَ خَيْصَبًا ، وَإِنْ شُتِّتَ كَانَ خُبْرًا .

وَكَانَ غَسَّانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ كَاتِبَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ يَقُولُ بِحَارِيتِهِ : خَوْضِي لَنَا سَوِيقًا فَأَخْبِرِيهِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَزِدَّ مَاءً فَيَرْقِّقَهُ ، وَيَسْتَحِي أَنْ يَزِدَّ سَوِيقًا فَيُخَبِّرَهُ بِهِ .

(١) اسْتَمْتَنَى : اسْتَطْلَقَ بِلُحْمِهِ . (٢) دِيفَ : خَلَطَ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « كَانَ فِي الطُّفَاوَةِ امْرَأَةٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ تَنْزِلُ الطُّفَاوَةَ ... الخ » . (٤) الطُّفَاوَةُ : حَوْثٌ مِنْ قَيْسِ حِيلَانَ ، وَمَوْضِعٌ بِالْبَصْرَةِ سَمِيَ بِالْقَبِيلَةِ الَّتِي تَزَلُّهُ . (٥) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَهَذَا التَّكَرُّارُ لَا يَنْفَعُ مَعَ بِلَاغَةِ السِّيَاقِ ، وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « طَعَامُ الْمَسَافِرِ وَالْعَبْلَانِ » . (٦) سَمِنَ الضَّمَامُ يَسْمُنُ سَمْنًا فَهُوَ مَسْمُونٌ : عَمِلَهُ بِالْمَنْ وَكَلَهُ بِهِ . (٧) خَوْضُ الشَّرَابِ وَخَاخُهُ : خَلَطُهُ وَسَوَّكُهُ . وَالْخَنُورَةُ : مَتَدُّ الرِّقَّةِ ، يَقَالُ : أَخْرَأْتُ الشَّيْءَ وَخَرَرْتُ إِذَا ظَلَمْتُ بَعْدَ الرِّقَّةِ .

مرّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علي وهو في مزرعته وقد عطش، فاستسقاءه فحاض له سويق لوز فحماه إياه؛ فقال عبد الله:

شربت طبرزدا بفريض مزين^(١) * ولصكن الملاح بكم عذاب.

وما [هو] بالطبرزد طاب لكن * بمسك. إنه طاب الشراب.

وأنت إذا وطئت تراب أرض * يطيب إذا مشيت به التراب.

لأن نذاك ينفي المحل عنها * وتحيها أيا يدك الرطاب^(٢)

وقال الحسن: لا تسقوا نساءكم السويق، فإن كنتم لا بد فاعلين فأحفظوهن.

وقال الرقاشي: السمّة للنساء غلّة توهي للرجال غلّة.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ترد: اللبن والسواك^(٣) والدهن».

١٠

الرياشي قال: سمعت أبا يزيد يقول: رأيت رجلاً كأن أسنانه النّحب لشربه اللبن حاراً.

الأصمعي عن ذى الرمة أنه قال: إذا قلت للرجل: أي اللبن أطيب؟ فإن

قال: قارص، فقل: عبد من أنت؟ وإن قال: الحليب، فقل: ابن من أنت؟

مرّ رجل من قريش بأمرأة من العرب في بادية، فقال: هل من لبن؟

١٥ يباع؟ فقالت: إنك لثيم أو قريب عهد بقوم لثام.

(١) الطبرزد: السكر فارسي معرب، ويقال فيه: طبرزين وطبرزل بالنون واللام (انظر القاموس

وشرحه مادة طبرزد ومفردات ابن البيطار طبع بولاق في اسم الطبرزد) (٢) الفريض من اللحم

والماء واللبن والتمر: الجديد الطازج. (٣) في الأصل: «وتحنيها» بالميم والنون وهو تحريف.

(٤) في الأصل: هكذا: «الوساك» وهو تحريف. (٥) القارص: الحامض.

(٦) أي هو عهد، لأنه باستعانة الحامض دل على أنه لم ير خيراً منه، إذ العهد يأكل ما يفضل من مواله فلا يصل إليه الحليب إلا حامضاً.

وكان يقال : اللبنُ أحدُ الحمَيْنِ .

وقال بعضُ المدنيين : مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ مَوَازٍ ^(١) وَبَقْدَجٍ مِنْ لَبَنٍ إِبِلٍ أَوْ أَرَاكٍ ^(٢) تَجَشَّأَ بَخُورَ الْكُهْبَةِ .

وقف معاويةٌ على امرأةٍ فقال : هل مِنْ قِرَى؟ فقالت : نعم، قال : وما هو؟ قالت : خُبْرٌ نَمِيرٌ وَلَبَنٌ فَطِيرٌ وَمَاءٌ نَمِيرٌ، والعرب تقول : «إِنَّ الرِّيشَةَ تَفْتَأُ الْغَضَبَ» .
والرِّيشَةُ : اللبنُ الحامِضُ يُحَلَّبُ عَلَيْهِ الحليبُ، وهو أَطْيَبُ اللَّبَنِ . قال بعضُ الأعراب :

وَإِذَا خَشِيتَ عَلَى الْفُؤَادِ لِحَاجَةً * فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِجَرَّةٍ مِنْ رَائِبٍ
وعن مطر الوزاق : أَنْ نَبِأَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ شَكَأَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الضَّعْفَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَنْ أَطْبِخَ اللَّبَنَ بِالْحَمِّ، فَإِنَّ الْقُوَّةَ فِيهِمَا . ١٠

وصف أعرابي خَصْبَ الْبَادِيَةِ فقال : كُنْتُ أَشْرَبُ رِيشَةً تَجْرُهَا الشَّفْتَانِ جَرًّا، وَقَارِصًا إِذَا تَجَشَّأْتُ جَدَعَ أَنْفِي، وَرَأَيْتُ الْكَمَّةَ تَدُوسُهَا الْإِبِلُ بِمَنَاسِمِهَا، وَخُلَاصَةً يَسْمُهَا الْكَلْبُ فَيَعِطُسُ .

وتقول الأطباء : إِنَّ اللَّبَنَ إِذَا سُخِّنَ بِالنَّارِ وَسِيطَ ^(٣) بِعُودٍ مِنْ عِيدَانِ شَجَرِ التَّيْنِ رَابٍ مِنْ سَاعَتِهِ . وقالوا : وَإِنْ أَرَادَ صَاحِبُهُ أَلَّا يَرُوبَ وَإِنْ كَانَ فِيهِ رُوبَةٌ جَعَلَ فِيهِ شَيْثًا مِنَ الْحَبِّقِ، وَهُوَ الْفُؤُذُجُّ ^(٤) النَّهْرِيُّ، فَإِنَّهُ يَبْقَى كَهَيْئَتِهِ . ١٥

(١) تصبغ : أكل شيثا قليلا يتل به . (٢) كذا في الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» .
(٣) الإبل الأراك : التي تأكل الأراك . (٤) الماء النمر : الناجع في الرى، وقيل : الماء النمر : الكثير . واللبن الفطير : الطرى القريب العهد من الحلب . (٥) هذا مثل ذكره المبدائي وقال : الريشة : اللبن الحامض يخلط بالحلل، وتفتأ الغضب أى تكسره وتذهب . وأصله أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم وكان مع سخطه جائعا فسقوه الريشة فسكن غضبه . (٦) الخلاصة : القمر والسويق يلقن في السن . (٧) سيط : حرك . (٨) في الأصل : «فان» .
(٩) الفوذنج : نبت، معرب عن بودينه . ٢٠

أخبار من أخبار العرب في ما كلهم ومشاربهم

المعلّى الربيعي قال : مكثت ثلاثاً لا أذوق طعاماً ولا أشرب فيمن شراباً ،
فدعوت الله تعالى ، وإذا دعا العبد الله بقلب صادق كانت معه من الله عين بصيرة ،
فدفعته إلى ذئبين في جفيرة^(١) ، فرميتهم فقتلتهم ، ثم أتيت جفراً فيه ماء فاستقيت ، ثم
أتيتهما وإذا هما على مهديتيهما^(٢) ، وإذا لهما نخفة^(٣) — يعني شبه الزفير — فاشتويت^(٤)
وأخذت وآدنت^(٥) .

قال ابن قرفة (شيخ من سليم) : أضافني رجل من الأعراب بغاءني يقدر^(٦)
جماع ضخمة ليس فيها شيء من طعام إلا قطع لحم ، فإذا بضعة تمنت في فمي ، وبضعة^(٧)
كانت يضح ساقي ، وبضعة كانتا شحم زخم^(٨) ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : إني رجل صياد ،
جمعت بين ذئب وطيء وضج^(٩) .

قال مدني لأعرابي : ما تأكلون وما تدعون ؟ قال : نأكل ما دب ودرج^(١٠)
إلا أم حبين ، فقال المدني : ليهني أم حبين العافية^(١١) .

(١) الجفرة : البئر الواسعة التي تطلو ، وقيل : هي التي طوى بعضها ولم يطلو بعض . (٢) على
مهديتيهما : على حالهما التي كانا عليها ، يقال : هو على مهديته ومهيدته ، بالهمز وعدمه ، حكاه تليق
وقال : لا مكبر لها . وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس في مادتي (حدي) و(هدأ) . (٣) أخذت :
أخذت نعلًا . (٤) قدر جماع وجماعة : ضخمة ، وقيل : هي التي تجمع الجزور . (٥) تمنت :
تمتد وتطيط . (٦) زخم : كريد حيث الراحة . (٧) بجاء مهلة مضمومة وباء
موحدة مخففة : دريسة قيل : هي ضرب من اللصا ، وقيل : هي أعرض من اللصا ، وقيل :
هي أنى الحرباء ، وقيل غير ذلك ، وهي مشتة ازج تخاها الأعراب فلا يأكلونها لثنا ، ويقال لها :
حيية معرة بلا ألف ولام وإنما سميت بذلك لكبر بطنها ، من الحين الذي هو الشق في البطن . تقول :
فلان به حين فهو أحسن أي مستسق ، فسميت بذلك لشبهها بالمستسق . (٨) في الأصل : «ليهني»
قال شارح القاموس في مادة هنا : تقول العرب في اللصا : ليهنيك القاموس ويجزم اخمزة وليهنيك القاموس
بباء ساكنة ، ولا يجوز ليهنيك كما تقول العامة ، أي لأن الباء بدل من اخمزة ، ثم قل : وقد ورد
في صحيح البخاري في حديث توبة كعب بن مالك : يقولون : ليهنيك توبة الله عليك . راجع شرح
القاموس (مادة هنا) .

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجل من بني هلال بن عامر، فذكروا الضَّبَّ
ومن يأكله، فأفوط الفضل في ذمّه وتابعه القوم، فغاض الهلال ما سمع منهم،
ولم يكن على المائدة عروبيّ غيره. ثم لم يلبث أن أتى الفضل بصحفة فيها فراخ
الزناير، فلم يسك الأعرابي أنها ذبان البيوت، فقال حين خرج :

وَعَلَجَ بِعَافِ الضَّبِّ لَوْ مَا وَيْطَنَةٌ * وَبَعْضُ إِدَامِ الْعِلْجِ هَامُ ذُبَابٍ
وَلَوْ أَنَّ مَلَكًا فِي الْمَلَأِ نَاكَ أُمَّهُ * لَقَالُوا لَقَدْ أُوتِيَتْ فَصَلَ خُطَابِ

وقال أبو الهندي (رجل من العرب) :

أَكَلْتُ الضَّبَّابَ فَمَا عَقَّمْتُ * وَإِنِّي لِأَشْهَى قَدِيدُ النَّعْمِ
وَلَحْمَ الْخُرُوفِ حَنِيدًا وَقَدْ * أُتِيْتُ بِهِ فَاتِرًا فِي الشَّيْبِ
فَأَمَّا الْبَهْطُ وَجِبَانُكُمْ * فَازِلْتُ مِنْهَا كَثِيرَ السَّقَمِ
وَقَدْ نِلْتُ مِنْهَا كَمَا قَتَّمُ * فَلَمْ أَرِ فِيهَا كَضَبَ هَرَمِ

(١) قال الدميري في حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) في الكلام على الزبور : « وفراخ الزناير

تؤخذ من أوكارها وتغلى في الزيت ويشرح فيها سذاب وكرايا وتؤكل » وذكر خاصة لذلك .

(٢) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨) ، وقد وردت فيه هذه الحكاية وهي لا تختلف

في المعنى عما ورد في الأصل . وفي الأصل : « وعلج يضاف الضب والنوم به » . (٣) كذا

ورد في المسامك (أدنى عرب وبهض) منسوباً إليه بعض هذه الأبيات ، وقد عقد له المؤلف ترجمة

في تنجبه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفي الأصل : « أبوهند » . (٤) القديد : اللحم

المخلوץ المجفف في الشمس . (٥) حنيد : مشوى . (٦) كذا في الدميري (ج ٢ ص ٩٣)

والحيوان للجاحظ ، وقد فسره الدميري بـ : الأستان وهو غير واضح ، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه

القوى . وفي الأصل : « السم » وهو تحريف . (٧) قال في النسان : « البهط : كلة سدية وهي

الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء » واستعمله العرب بالهاء فقالت : بهطة طيبة .

ولافي اليؤوض كيض الدجاج * ويؤوض الدجاج شفاء القرم^(١)
وممكن الضباب طعام العريب * ولا تشبه نفوس العجم^(٢)

وقال بعض الأعراب :

وأنت لو ذقت الكشي بالأكاذ^(٣) لما تركت الضب يعدو بالواد

ونزل رجل من العرب برجل من الأعراب فقدم إليه جرادة فقال :

لحى الله بيتا ضمني بعد شجرة * إليه دجوجي من الليل مظلم

فأبصرت شيخا قاعدا بفنائيه * هو العتر إلا أنه يتكم

أنا يبرقان الدبي في إنائه * ولم يك برقان الدبي لي مطعم

فقلت له غيب إناءك واعتزل^(٤) : فهل ذاق هذا، لا أبالك، مسلم

وقال بعض العباسيين :

ليت شعري متى تحب بي النا * قة نحو العذيب فالصين^(٥)

محبيا زكوة وخبز رقاق * وجينا وقطعة من نوب^(٦)

(١) كذا في حياة الحيوان لدمري وكتاب الحيوان بخلف . وفي الأصل : « ريش الجراد » .

(٢) كذا في حياة الحيوان لدمري وكتاب الحيوان لمخلف . والقرم (فتح الحاء والراء) : شدة الشهوة إلى

الحم . وفي الأصل « النشم » وهو تحريف . (٣) الممكن (فتح الميم وإسكان الكاف) وبالنون

في آخره : « بيض الضبة » . (٤) العريب : تصغير عريب ؛ قال في اللسان مادة عريب : صفرهم

تعطيا كما قال : أة جديها المحكم وعذيقها المرجب . وفي الأصل « العريب » بالعين المعجمة

وهو تحريف . (٥) الكشي : جمع كشية (ضم الكاف وإسكان الشين) وهي أصل ذنب الضب .

(٦) البرقن : جمع برقانة وهي الجراددة المنقوبة . والدي : الجراد ، أي أداة بالنون من الجراد .

(٧) في الأصل : « فتند » . (٨) ذكر هذا الشعر بالخبر الثاني من كتاب الأغاني

(صنع دار الكتب المصرية ص ٣٤٨) منسوب إلى الحسين بن علي الخيري ، ولم يذكر أبو الفرج أنه أدرك الدولة

العباسية . (٩) العذيب : ماء لبي قميم ، وهو أول ماء يلقي الإنسان باليادية إذا سار من قادية

الكوكة يريد مكة . (١٠) الصين : بلد كان يظهر الكوكبة من منازل المنذرو به نهر ومزارع .

ورواية الأغاني في هذا الشعر : « بين السديروا الصين » وفي المتن : « بين العذيب فالصين » فاء العذيب وهو

ما اخترناه . وفي الأصل : « في الصين » . وفي هذا الشعر البند وهو : كما فسره ابن سيده ، المخالفة بين الحركات

التي تلي الأرداف في الروي . (١١) يقال : أحطب الزكوة وأحطبها إذا احطلها خلفه . (١٢) اركوة

بالواو : زق يجعل فيه شراب أو خل . (١٣) الجين تصغير الجين المأكول . والنون : الحوت .

وقال بعض الأعراب :

أقول له يوماً وقد راح ضحى * ترى أبني من صيد وأخاته^(١)
فلما التفت كنى على فضل ذيله * وشالت^(٢) شمال زایل الضب باطله^(٣)
فأصبح مخنوداً نضيجاً وأصبحت * تمشي على القيزان^(٤) حولاً حلاله^(٥)
شديد أصفرار الكشيتين كأنما * تطل^(٦) بورس بطنه وشوا^(٧) كله^(٨)
فذلك أسمى عندنا من نتاجكم * لحي الله شاريه وقبح آكله^(٩)

وبنو أسيد^(١٠) تعبّر بأكل الكلاب؛ قال الفرزدق :

إذا أسدي^(١١) جاع يوماً ببلدة * وكان سميناً كلبه فهو آكله

وتعبّر أيضاً بأكل لحوم الناس، كما قال الشاعر :

إذا ما ضفت^(١٢) ليلاً فقعي^(١٣) * فلا تأكل له أبداً طعاماً
فإن اللحم إنسان فدعه * وخير الزاد ما منع الحرما

(١) في الأصل : « وأخاطره » وإثاقية في الشعر الجاهلي ، وقد ورد هذا الشطر في كتاب الحيوان لملاحظ

(ج ٦ ص ٢٧ ضيع مصر) :

* وبه أنه أبني صيده وأخاته *

(٢) كذا في كتاب الحيوان ، وشالت : ارتفعت . وفي الأصل : « قالت » . (٣) الشوا .

المخنود الذي قد أقيمت فوقه الحجارة الموضوعة بالترخي ينشوي انشواء شديداً فيتهري تحتها .

(٤) القيزان : جمع قوز (بالفتح) وهو الكتيب الصغير من الزمل تشبه به أرداف النساء . (٥) كذا

في كتاب الحيوان . والكشية : شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه ، وفي الأساس أنها شحمة مستطيلة في جهتيه .

وفي الأصل : « الكشيتين » . (٦) بورس : صيغ أصغر صيغ به . (٧) الشواكل :

جمع شاكلة وهي الخاصرة . (٨) كذا في كتاب الحيوان . وفي الأصل : « كلك » بالكاف .

(٩) في الأصل « نياحكم » (بالنون والياء والحاء المهملة) وهو تحريف ، والتصويب من تنجيب الحيوان لملاحظ .

(١٠) نسب هذا الشعر في كتاب البهلاء لملاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوروبا) إلى معروف الديري .

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت نائماً حول ناري، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا
حيات فهم يَشْتَوونها ويا كلونها، فأتيتهم فرأيت رجلاً منهم قد أخرج حبة من البحر
لها كلها فامتنت عليه، فجعل يمدّها كما يمدّ عَصِيب لم يَنْضِج، فلما صرفتُ بصرى عنه
حتى لُجَّ به فمات، فسألت عن شأنه فقبل لي : لَجَل عليها قبل أن تنضج وتعمل
في سُمِّها النار .

قال رجل من الأعراب لولده : اشترُوا لي لحماً ، فَأَشْتَرُوهُ فطبخه حتى
تَهَرَّى، وأكل منه حتى انتهت نفسه، وشرعت إليه عيون ولده فقال : ما أنا
بِمُطْعِمٍ أحداً منكم إلا من أحسن وصف أكله؛ فقال الأكبر منهم : آكله يا أبت
حتى لا أدع للذرة فيه قَيْلاً؛ قال : لست بصاحبه . فقال الآخر : آكله حتى
لا يُدْرَى ألعابه هو أم لعام أول ؛ قال : لست بصاحبه . فقال الأصغر : أدقه
يا أبت دقا وأجعل إدامه المخب؛ قال : أنت صاحبه، هولاك .

بينا أعرابي يسير وهو يوضع بعيره إذ سقط بعيره فنحّره وأكله، فأنشأ يقول :
إن السعيد من يموتُ بحملته * يَسْبِغُ لحماً وَيَقِلُّ عَمَلُهُ

ومرّ رجلٌ من سُلُولِ بَغْتِيانٍ يشربون فشرب معهم ؛ فلما أخذ منه الشراب قام
إلى بعيره فنحّره، وقال :

عَلَّلَانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عِلَّلٌ * وَدَعَانِي مِنْ مَلَامٍ وَعَلَّلٌ
وَأَنْشَلَا مَا أَغْبَرَ مِنْ قُلُوبِكَا * وَأَسْقِيَانِي أَبَدَ اللَّهِ الْجَمَلُ

(١) يقال : ليج بالرجل رلج به إذا صرع . (٢) يوضع بعيره : يديه ويحمّله على

العدو الخبيث . (٣) نشل اللحم (من باني ضرب ونسر) وأنشله : أنخرجه من القدر بيده من

فيرا المخرقة .

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الْأَكْلُ فِي السُّوقِ دَنَاءٌ"^(١). وعن عبد الرحمن بن عمار قال : بلغني أنه من غسل يده قبل الطعام كان في سعة من الرزق حتى يموت .

عن الحسن أنه قال : الوُضوءُ قبل الطعام يَنْفِي الْفَقْرَ وبعده يَنْفِي الْاَلَمَ^(٢) .

وعنه قال : قيل لسمرة بن جندب : إن أباك أكل طعاما كاد يقتله ؛ قال : لو مات ما صليتُ عليه .

وعن شرحبيل بن مسلم قال : قال أبو الدرداء : يئس العونُ على الدين قلبٌ نَحِيبٌ ، وبطنٌ رَغِيبٌ ، وَنَعَطٌ شَدِيدٌ^(٣) .

أكل الجارود مع عمر طعاماً ، ثم قال : يا جارية هاتِ الدَسْتُورَ ؛ فقال عمر : امسحِ بِاسْتِكَ أَوْ ذَرِي^(٤) .

قال جعفر : كنا نأتي فوقدا السَّبِيحِيَّ ونُحْنِ شَبِيَّةً فَيَعْلَمُنَا^(٥) : إن من ورائكم زماناً شديداً ، فَشُدُّوا الْأَزْرَ عَلَى أَنْصَافِ الْبَطُونِ ، وَصَفَّرُوا اللَّقْمَ ، وَشَدَّدُوا الْمَضْغَ ،

(١) الهم : ما دون الكجائر من الذنوب ، وفي التزييل العزيز : (الذين ينجنيون بكجائر الإثم والفواحش إلا الهم) يعني الذنوب الصغار . (٢) نحيب : جبار كأنه منزع الفؤاد .

(٣) بطن رغب : واسع الجوف ، وهو نخاية عن كثرة الأكل وشدة النهم . (٤) هو بشر ابن عمرو بن حنش بن المعل من بني عبد القيس العبدي الصحابي ، والجارود لقبه ومعناه المشغوم ، لأنه تزييل الجرد (التي أصابها الجرد) إلى أخواله من بني شيبان ، فحشا ذلك الداء في ألبهم فأهلكها . وقد عل النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث . وقتل في خلافة عمر بأرض فارس سنة إحدى وعشرين .

(٥) الدستورد : ثوب أحمر يضرب إلى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب ، و"ورد" بمعنى أحمر ضارب إلى الصفرة ، كما في القاموس وشرحه (مادق دست وورد) ، ولعله يقصد هنا المنشفة .

(٦) شبة : جمع شارب .

وَمُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا . وَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَحِلُّ إِيَّاهُ أَنْ يَتَسَبَّحَ أَمْعَاؤُهُ . وَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ لِيَأْكُلَ فَلْيَقْعُدْ عَلَى أَلْتَيْهِ، وَلْيَلِزْ بَطْنَهُ بِفَخْذَيْهِ . وَإِذَا فَرَّغَ فَلَا يَقْعُدْ وَلْيَجِئْ وَلْيَذْهَبْ؛ وَاحْتُمُوا فَإِنَّ مِنْ رَائِكُمْ زَمَانًا شَدِيدًا .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سَأَقِي الْقَوْمَ آخِرُكُمْ شُرْبًا " .

وعن الحارود بن أبي سبرة قال : قال لي بلال بن أبي بردة : أَنَحْضُرُ طَعَامَ هَذَا الشَّيْخِ - يَعْنِي عَبْدَ الْأَعْلَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ - ؛ فَقُلْتُ : إِيَّاهُ وَأَقْبَهُ ؛ فَقَالَ : حَدَّثَنِي عَنْهُ . فَقُلْتُ : نَأْتِيهِ وَكَانَ سَكِينًا ، إِنْ حَلَسْنَا أَحْسَنَ الْحَلِيشِ ، وَإِنْ حَلَسَاهُ أَحْسَنَ الْإِسْتِمَاعِ ، فَإِذَا حَضَرَ النَّدَاءُ جَاءَ خَبَازُهُ فَنَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَيَقُولُ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ : بَطَّةٌ بَكْنَا ، وَدَجَاجَةٌ بَكْنَا وَكَذَا . قَالَ : وَمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ ؟ قُلْتُ : كَيْ يَحْبِسُ^(١) كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْسَهُ إِلَى مَا يَشْتَهُي ، فَإِذَا وَضَعَ الْخَوَانُ خَوَى تَحْوِيَةَ الظِّلِمِ^(٢) فَالَهُ إِلَّا مَوْضِعُ مَتَكِّهِ فَيَجِدُّ وَيَهْزُلُ ، حَتَّى إِذَا رَأَاهُمْ قَدِ اقْتَرَوْا وَكَلُّوا أَكَلَ مَعَهُمْ أَكْلَ الْجَائِعِ الْمَقْرُورِ حَتَّى يَنْشَطُّهُمْ بِأَكْلِهِ .

وكان يقال : إِذَا اجْتَمَعَ لِلطَّعَامِ أَرْبَعُ شَيْئَاتٍ : أَنْ يَكُونَ حَلَالًا ، وَأَنْ تَكُنْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي ، وَأَنْ يُفْتَحَ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَيُحْتَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ .

- (١) في الأصل : « تشيع » ، وهو تحريف . (٢) احتسوا : استمتعوا عن الطعام ، وفي الأصل : « احتضوا » . (٣) إياها (بضم السين) : معناه الكف ، وقد ورد للتصديق والرضا كما هنا ، ومنه حديث ابن الزبير لما قيل له : يَأْتِيَنَّ ذَاتَ الطَّائِفِينَ ؛ فَقَالَ : إِيَّاهُ وَالْإِلَهَ ، أَيْ حَدَّثْتُ وَرَضْتُ بِذَلِكَ . (٤) سَكِينًا : كثير الكوث قليل الكلام . (٥) في الأصل « يَحْتَنِي » والتصويب عن العهد الفردي (ج ١ ص ٢٨٦) . (٦) خَوَى الرجل : فرج ما بين عضديه ورجليه . (٧) كَذَا في كتاب التاج لم يحفظ (ص ٢٠ ضع بولاق) وكتاب البغلاء له أيضا (ص ١٩٤ طبع أوربا) . والقائم : ذكر النام ، وفي الأصل : « تحوية الضنين » وهو تحريف . (٨) المقرور : الذي أصابه القتر وهو البود .

وكان يُقَالُ : سَمُوا إِذَا أَكَلْتُمْ وَدَنُوا وَسَمْتُوا ^(١) .

قال أَبُو رِزٍّ لِصَاحِبِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ : إِنِّي سَلَّطْتُكَ عَلَى الْمَعِيشَةِ ، وَأَشْرَكْتُكَ فِي الْحَيَاةِ ، وَجَعَلْتُكَ أَمِينًا عَلَى نَفْسِي ، وَلَيْتُكَ مِنْ طَعَامِي وَشَرَابِي مَا التَّوَسَّعْتُ فِيهِ مُرُوءَةً وَالتَّضَيَّقْتُ فِيهِ دَنَاءَةً ؛ فَأَجْعَلُهُ فِي فَضْلِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ كَفَضْلِي عَلَى مَنْ سِوَايَ ، وَفِي كَثْرَتِهِ ككَثْرَةِ مَنْ مَعِيَ عَلَى مَنْ مَعَ غَيْرِي . وَلَا يَشْهَدَنَّ طَعَامِي الَّذِي آكُلُ عَيْنٌ تَرَاهُ وَلَا نَفْسٌ تُحِسُّهُ وَلَا يَدٌ تَلَاوُلُهُ خِلَا نَفْسًا وَاحِدَةً ؛ وَإِنَّمَا أَفْرَدْتُهُ بِذَلِكَ لِتَسْتَحْكِمَ الْحُجَّةَ فِيهِ عَلَى مَنْ أَضَاعَ ، وَتَنْقَطَعَ الشُّبْهَةُ فِيهِ عَنِ غَفَلٍ ، وَلَا أَجْعَلَ صَاحِبَ ذَلِكَ رَهْمًا بِدَمٍ نَفْسِهِ إِنْ هُوَ قَصَّرَ فِي صُنْعِهِ أَوْ أَوْقَعَ بِغَائِلَةٍ .

الأصمعيّ قال حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحٍ : أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَاءَمٌ مِنْ حَبِّ رُمَانٍ مَدْقُوقٍ يَسْفُفُ مِنْهُ بَيْنَ كُلِّ لَوْنَيْنِ مِلْعَقَةً حَتَّى يَعْرِفَ اخْتِلَافَ الْأَلْوَانِ . ١٠

وفِيهَا أَجَازَ لَنَا عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ مِنْ كُتُبِهِ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّوْرِيُّ يَقْعُدُ أَبْنَتَهُ مَعَهُ عَلَى خِوَانِهِ يَوْمَ الرَّأْسِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِيَّاكَ وَنَهْمُ الْعَصِيَّانِ وَأَخْلَاقُ النَّوَائِحِ ، وَ[دَعِ عَنْكَ] ^(٥) خَبْطُ الْمَلَّاحِينَ وَالْفَعْلَةِ ، وَنَهَشُ الْأَعْرَابِ وَالْمَهْمَةِ ، وَكُلُّ مَنْ يَبِينُ يَدِيكَ ؛ فَإِنَّ حَفْظَكَ الَّذِي وَقَعَ وَصَارَ إِلَيْكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الطَّعَامِ شَيْءٌ طَرِيفٌ أَوْ لُقْمَةٌ كَرِيمَةٌ أَوْ بَضْعَةٌ شَبِيهَةٌ ^(٦) ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلشَّيْخِ الْمُعْظَمِ وَالصَّبِيِّ الْمُدَلَّلِ ، وَلَسْتَ ١٥

(١) دَنُوا : كَلُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا بَلَيْكُمْ وَمَا دَنَا وَقَرَّبَ مِنْكُمْ . وَسَمْتُوا : أَمَرَ مِنَ التَّسْمِيتِ وَهُوَ الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ ، (اضْرُ السَّانَ مَا دَقَّ سَمْتُ وَدَنَا) . (٢) كَذَا فِي الْأَمَلِ وَتَخَابُ الْبُخْلَاءِ الْبَاحِظُ (ص ١١٥) ؛ وَفِي الْمَقْدِ الْقَرِيدِ «أَبُو عَثَانَ الثَّوْرِيُّ» . (٣) وَرَدَّ فِي تَخَابُ الْبُخْلَاءِ : أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا كَانَ يَجِيبُ بِالرَّهْوَسِ وَيُجَدِّدُهَا وَيُصَفِّهَا وَكَانَ يَسْمِي الرَّأْسَ عَرَسًا . فَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِهِ «يَوْمَ الرَّأْسِ» ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يَجْتَمِعُ لَهُ فِيهِ هَذَا النَّوعُ مِنَ الطَّعَامِ . (٤) كَذَا فِي الْمَقْدِ الْقَرِيدِ ، وَفِي الْأَمَلِ «رَنْهَمُ السُّلْطَانِ» . (٥) انْزِيَادَةُ عَنْ تَخَابُ الْبُخْلَاءِ (ص ١١٧) (٦) الْبَضْعَةُ (بُفْتَحَ الْبَاءُ وَتَكْسُرُ) : الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ . ٢٠

واحدا منهما. وأنت قد ثاقى الدعوات، وتُجيب الولائم، وتدخل منازل الإخوان، وعهدك باللحم قريب، وإخوانك أشدَّ قرماً^(١) إليه منك، وإنما هو رأس واحد، فلا عليك أن تتجافى عن بعض وتُصيب بعضاً. وأنا بعد أكره لك الموالاة بين اللحم، فإن الله يُغضُّ أهل البيت^(٢) المحميين.

• وكان يقال : مُدِينُ اللحم كمدِينِ الخمر.

ورأى رجل رجلاً يأكل لحماً، فقال : لِمَ يأكل لحماً، أف لهذا عملاً ! .

وكان عمر يقول : يَا كَمْ وهذه المجازر، فإن لها ضراوة^(٣) كضراوة الخمر.

يأبى عود نفسك الأثرة^(٤) ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع،

ولا تحضم خضم البراذين، ولا تدين الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمل؛

فإن الله تعالى جعلك إنساناً وفضلك، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعا. وأحذر
سرعة الكظة وسرف البطنة^(٥).

قال بعض الحكماء : إذا كنت بطيئاً فعُد نفسك من الزنى. وقال الأعشى :

... .. والبطنة بما تسفه الأحلاما^(٦)

وأعلم أن الشج داعة البشم، وأن البشم داعة السقم، وأن السقم داعة الموت،

فمن مات بهذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة، وهو مع هذا قاتل نفسه، وقاتل نفسه
الأم من قاتل غيره.

(١) قرم الرجل إلى اللحم قرماً : اشتدت شهوته إليه . (٢) كذا في كتاب البخل، لم يحفظ

(ص ١١٧) طبع أوربا . وفي الأصل « بعد » وهو تحريف . (٣) المحميين : جمع لحم ككتف

وهو الأكل لحم القرم إليه . (٤) الضراوة بالنون : التولع به . (٥) الأثرة (بالضم) :

المكرمة لأنها كثر أى تذكر ويأثرها قرن عن قرن . (٦) الكظة : الامتلاء من الطعام .

(٧) هذا بعض بيت أورده اللسان في مادة « بطن » والبيت :

يا بني المنذر بن عبدان والبطنة بما تسفه الأحلاما

وفي الأصل « والبطنة يوماً تسفه الأحلاما » .

يا بُنَيَّ، والله ما أدى حقَّ الركوع والسجود ذَوِ كِفْطَةٍ، ولا خشع لله ذَوِ بَطْنَةٍ،
والصومُ مَصَّعَةٌ،^(١) والوجبات عيش الصالحين .

أى بُنَيَّ، لأمرٍ ما طالَت أعمار الهند، وصحَّت أبدان الأعراب، فله دَرُ الحارث
ابن كَلْدَةَ حيث يزعم أن الدواء هو الأزم^(٢)، وأن الداء إدخال الطعام إثر الطعام .

أى بُنَيَّ، لَمْ صَفَّتْ أَذْهَانُ الأعراب، وصحَّتْ أبدان الرُّهبان، مع طول
الإقامة في الصوامع حتى لم تعرف النَّقِيسُ^(٣) ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلا لَقَلَّةَ
الرِّزْقِ^(٤) وخَفْضَةَ الرِّادِ . وكيف لا ترغب في تدبير يجمع لك صحَّةَ البدن، وذكَاءَ الذهن،
وصلاحَ المِلَى^(٥)، وكثرة المال، والقُرْبَ من عيش الملائكة ! .

أى بُنَيَّ، لم صار الضَّبُّ أطولَ شيءٍ دَمَاءً^(٦) إلا لأنه يتلَّغ بالنسيم^(٧)؛ ولم قال
الرسول صلى الله عليه وسلم إن الصومَ وجاءَ^(٨) إلَّا ليُجعله حِجَازًا دون الشهوات . إنهم
تأديب الله، فإنه لم يقصِدْ به إلَّا إلى مثلك .

أى بُنَيَّ، قد بلغت تسعينَ عاما ما تَقْضَى لى سنٍّ، ولا أنتشر لى عَصَبٌ،
ولا عرفتُ ذنِينَ أنفٍ^(٩)، ولا سِلَانِ عَيْنٍ، ولا مَلَسَ بولٍ؛ ما لذلك علَّةٌ إلَّا التَّخْفِيفُ

(١) الوجبات : جمع وجبة وهي الأكلة في اليوم والليلة . (٢) الأزم : ألا تدخل طعاما على

طعام . (٣) النقير كزبرج : داء يأخذ في الرجل . (٤) الرزق : ما يصيبه الإنسان من الطعام .

(٥) الملى (بالمد والقصر والقصر أشهر) : المصارين . وفي الأصل « المعاد » وهو تحريف .

(٦) الدماء : بقية النفس والحركة، والمراد : أطول شيء حياة . وفي العقد الفريد « أطول عمرا » .

(٧) كذا بالعقد الفريد . وفي الأصل : « زعم » . (٨) نص الحديث كما في الجامع

الصغير : « عليكم بالباءة فن لم يستطع عليه بالصوم فإنه له وجاء » والوجاء، كما في النهاية لابن الأثير :
أن ترض أُنثى الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجناح وينزل في قطعه منزلة الخصى . (٩) حجازا :

مانعا وحائلا . وفي العقد الفريد : « حجابا » . (١٠) نفخ قلق وتحرك . وانتشر العصب :

انتفخ . (١١) كذا في العقد الفريد، والذنين والذنان : الخفاط الرقيق يسيل من الأنف،
وفي الأصل : « ذنن أذن » .

١٥

٢٠

من الزاد . فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تريد الموت فلا يُبعد الله إلا مَنْ ظلم نفسه .

وقال أبو نهشل^(١) : كانت لي أبنسة تجلس معي على المائدة فُيرز كفاً كأنها طُلعة ، في ذراع كأنه جُمارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خَصَفَتني بها ، فزوجتها وصرت أُجلس معي على المائدة أُنبالى فيُيرز كفاً كأنها كُرْنافة^(٢) ، في ذراع كأنه كَرَبَة ، فوالله ما إن تسبق عيني إلى لُقمة طيبة إلا سبقت يده إليها .
وقال بعضهم : غَلَبَتْ بِطْنِي فِطْنِي .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم نَحَمَ الحُكَّان : أَكثَرُوا الطَّعام ، فوالله ما بَطْن^(٣) قوم قط إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عَزْمَةٌ رجل بات بطينا .
وكان يقال : أَقْلِلْ طَعَامًا تَجِدْ مَنَامًا .

١٠

الأصمعي قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تخفيها .
دعا عبد الملك بن مروان إلى الغداء رجلاً فقال : ما في فضل ؛ فقال عبد الملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندي مستراد ، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي استعجبها أمير المؤمنين .
وقال لشيخ : ما أحسن أكلك ؟ قال : عملي منذ ستين سنة .

١٥

وقال الحسن : إن ابن آدم أسير الجوع ، صريح الشبع .
وسأل عبد الملك أبا الزعيرة فقال : هل آتَمَحْتَ قَط ؟ قال لا ؛ قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأننا إذا طَبَخْنَا أنضجنا ، وإذا مَضَغْنَا دَقَقْنَا ، ولا نُكَلِّطُ المَعْدَةَ ولا نُحْلِجُهَا .

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبي الحسن . (٢) الكُرْنافة : واحدة الكُرْناف (بالكسر وبضم) وهو أصول الكرب التي تين في جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطن : الكتفة وهي اعلاء البطن من الطعام . ومن أمثالهم : «البطن تذهب النقطة» . (٤) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) «أبا المنور» وقد ورد هذا الاسم في الطبري (ص ٧٩١ ، ٨٣٧ من القسم الثاني طبع أوروبا) هكذا : «أبا الزعيرة» وفي ابن الأثير (ج ٤ ص ٢٤٩ طبع أوروبا : «أبا الزعيرة» . (٥) كذا في العقد الفريد ، ولا نكلط المعدة : لا نملؤها . وفي الأصل : «لا نكب» .

٢٠

وقال الأحنف : جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإن أفض الرجل أن يكون وصافا لبطنه وفرجه، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهي .

الأصمعي قال : بلغني أن أقواما لبسوا المطارف العناق، والعائم الرقاق، وأوسعوا دورهم، وضيقوا قبورهم، وأسمنوا دوابهم، وهزلوا دينهم، طعام أحدهم غصب، وخادمه سُخرة، يتكئ على شماله، ويأكل من غير ماله؛ حتى إذا أدركته الكفة قال : يا جارية هاتي حاطوما، ويلك ! وهل تحطم إلا دينك ! أين ساكنك ! أين يتامك ! أين ما أمرك الله به ! أين أين ! .

قال بعض الحكماء : مدار صلاح الأمور في أربع : الطعام لا يؤكل إلا على شهوة، والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها، والملك لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل .
وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ أَكَلَ مِنْ سَقَطِ الْمَائِدَةِ عَاشَ فِي سَعَةٍ وَعُوفِيَ فِي وَلَدِهِ وَوَلَدَ وَلَدَهُ مِنَ الْحَقِّ" .

وقيل لأعرابي : أتحسن أن تأكل الرأس؟ قال : نعم، أنخص عيني، وأصحى خدي، وأفك لحية، وأربي بالدماع إلى من هو أحوج مني إليه . وكانوا يكرهون أكل الدماغ؛ ولذلك يقول قائلهم : أنا من قبيلة شُبِّي المخ في الجاهم .
دعبل قال : يا بُحِي، لا تأكل ألية الشاة لأنها طبق الأست وقريب من الجواهر .
قال بعض الشعراء :

إذا لم أرى إلا لا كل أكلة * فلا رفعت يميني يدي طعامي

فما أكلة إن نلتها بغنيمة * ولا جوعة إن جعتها بهرام

(١) الحاطوم : الحاضوم، وهو كل دواء يضم الطعام . (٢) بخص عيه : أغارها . (٣) يقال : سميت أحماء إذا قشرته . (٤) ومنه قول الشاعر :

ولا يبرق الكلب السروق فعائل * ولا تنق المخ الذي به الجاهم

وفسر صاحب اللسان فقال : إنه يمدح قوما بأنهم لا يلبسون من الثعال إلا المدبوبة والكلب لا يأكلها وأنهم لا ينسحبون ما في الجاهم لأن العرب تغير بكل الدماغ كأنه عندهم شره ونهم .
(٥) الجواهر : جمع جاهرة وهي الدبر .

- عبد الملك بن حمير عن عمه عن الأصمعي قال : لا تخرج يا بُنَيَّ من مترك حتى تأخذ حُلْمَكَ ^(١) . يعني حتى تتغذى . وقال هلال بن جشم ^(٢) :
- وَإِنَّ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مَلُوءَهُ * وَيَكْفِيكَ سَوَاعَاتُ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
- وَقَرَأْتُ فِي الْآيِنِ ^(٣) : أَنْ رَجُلًا مِنْ خَدَمِ دَارِ الْمَلِكَةِ أَوْصَى ابْنَهُ فَقَالَ :
- إِذَا أَكَلْتَ فَضْمَ شَفْتَيْكَ . وَلَا تَلْقَنْ يَمِينًا وَشِمَالًا . وَلَا تَخْذَنْ خِلَالَكَ قَصَبًا .
- وَلَا تَلْقَنْ بِسَكِينٍ أَبَدًا . وَإِذَا كَانَتْ فِي يَدِكَ سَكِينٌ وَأَرَدْتَ الْقَتْلَ فاضْمَعْهَا عَلَى مَائِدَتِكَ ثُمَّ اثْقِمِ . وَلَا تَجْلِسْ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ وَأَرْفَعُ مَنْزِلَةً . وَلَا تَتَخَلَّلَ بَعْدَ آس . وَلَا تَمْسَحَ بِثِيَابِ بَدَنِكَ . وَلَا تُرِيقَ مَاءً وَأَنْتَ قَائِمٌ . وَلَا تَحْفِرَ أَرْضًا بِأَظْفَارِكَ . وَلَا تَجْلِسَ عَلَى حَائِطٍ أَوْ بَابٍ أَوْ تَكْتُبَ عَلَيْهِمَا قُلْعَنَ ، وَلَا تَسْتَرْجِ عَلَى أَسْكُفَةٍ ^(٤) فَجَهْلٍ ، وَلَا تَسْتَنْجِ بِمَدْرَ فَيُورَثَكَ الْبُؤَاسِيرُ ، وَلَا تَمْتَحِطْ حَيْثُ يُسَمَعُ امْتِخَاطُكَ ، وَلَا تَبْصُقَ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُنْتَظَةِ .
- وَأَجْلِسْ مُعَاوِيَةً عَلَى مَائِدَتِهِ رَجُلًا يُؤَاكِلُهُ ، فَأَبْصُرْ فِي لَقْمَتِهِ شَعْرَةً ، فَقَالَ : خُذِ الشَّعْرَةَ مِنْ لَقْمَتِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَإِنَّكَ لَتُرَاعِنِي مُرَاعَاةَ مَنْ يُبْصِرُ الشَّعْرَةَ فِي لَقْمَتِي ! وَاللَّهِ لَا أَكَلْتُ مَعَكَ أَبَدًا ! ثُمَّ خَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ وَهُوَ يَقُولُ :
- وَلَمْ تَوُتْ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ * يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدٍ
- وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِذَا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ أَشْبِعْ وَأَرْوِثْ فَهَيْثُنَا ، وَأَكْثَرُ وَأَطْيَبُ فِزْدَانَا .

(١) الحلم : العقل ، وفسر أخذ الحلم بالغذاء . لأن الشبع قوام العقل . وفي الأصل : « جملك بالحلم » .

(٢) تقدم هذا البيت في باب القناعة والاستغناء (ص ١٨٤ من هذا المجلد) ضمن أبيات منسوبة لبشار بن بشر . وفي كتاب البخل ، لمجاظ (ص ٢٦٦) وكتاب الحيوان له أيضا (ج ١ ص ١٩٣) نسبت هذه الأبيات نفسها إلى هلال بن خنيم . (٣) في تعليقات كتاب التاج لمجاظ (ص ١٩ طبع بولاق) : الآيِن : كلمة فارسية عربية العرب واستعملوها ، ومنها القانون والمادة . (٤) الأسكفة : عتبة الباب . (٥) المدر : التراب المتلبد . (٦) كذا في الأصل وكتاب البخل . لمجاظ (ص ٧٤) . وفي المقد الأثر يد (ج ٣ ص ٢٢٥) : « حشام بن عبد الملك » .

الجوع والصوم

قيل لبعض الحكماء : أى الطعام أطيب ؟ قال : الجوع أعلم .

وكان يقال : نعم الإدام الجوع ، ما أقيت إليه قبله .

قال لقمان لابنه : يا بني ، كل أطيب الطعام ، وتم على أوطأ الفراش . يقول :

أكثر الصيام ، وأطول بالليل القيام .

اشتاقت أعرابي بالبصرة الى البادية فقال :

أقول بالمصير لما ساءني شبي * ألا سبيل إلى أرض بها جوع
ألا سبيل إلى أرض بها عرس * جوع يصدع منه الرأس برقع^(٢)

وقال آخر :

وعادة الجوع فاعلم عصمة^(٣) وغنى * وقد يزيدك جوعاً عادة الشبع

العتي قال : قلت لرجل من أهل البادية : يا أحمى ، إني لأعجب من [أن] فقهاءكم
أظرف من فقهاءنا ، وعوامكم أظرف من عوامنا ، ومجانينكم أظرف من مجانينا ،
قال : وما تدري لم ذلك ؟ قلت لا ؛ قال : [من] الجوع ؛ ألا ترى أن العود إنما
صفا صوته نلوا جوفه !

وقيل لبعض حكماء الرود^(٤) : أى وقت الطعام فيه أطيب وأفضل ؟ قال : أما

لمن قدر فإذا جاع ، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد .

(١) كذا بالأصل ، ولعله « غرت » (بالتين المعجمة والذال المثناة) بمعنى الجوع ليناسب المقام .

(٢) جوع برقع (بضم الباء وفتحها) : شديد ، ومثل البرقع البرقع والبرقع (بفتح الباء الموحدة وضمها في الأول وفتح الباء المثناة في الثاني) والخشور والخشور . (٣) في الأصل : « وهنا » .

(٤) رويت هذه الحكاية في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزيادات المذكورة هنا منه .

(٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « يذره جهر » وهو من حكماء الفرس .

وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى قَوْمٍ يَلْتَمِسُونَ هَلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَأَنْ أَرْتَمُوهُ لَتُسَكِّنَ مِنْهُ بِذُنَابِي عَيْشٌ أَغْبَرُ^(١).

وَقِيلَ لِآخَرٍ: أَلَا تَصُومُ الْبَيْضَ مِنْ شَعْبَانَ! فَقَالَ: بَيْنَ يَدَيْهَا ثَلَاثُونَ كَأَنَّهَا الْقَبَاطِيُّ^(٢).

وَقِيلَ لِمُدْنِيٍّ: بِمِ تَسْجُرُ اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ: بِالْيَاسِ مِنْ فَطُورِ الْقَابِلَةِ.

الرَّيَاشِيُّ قَالَ: قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: اشْرَبْ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْرَبُ عَلَى يَلَةٍ^(٣). وَقَالَ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ النَّبِيدِ تَرِيدَةً * مُبَقَّلَةً صَفْرَاءُ تَحْمُ جَمِيعُهَا

فَإِنَّ نَبِيذَ الصَّرْفِ إِنْ كَانَ وَحْدَهُ * عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ أَوْجَعَ الْكَبِدَ جُوعُهَا

قَدِمَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى آبِنِ عَمٍّ لَهُ بِالْحَضَرَةِ، فَأَدْرَكَهُ شَهْرُ رَمَضَانَ، فَقِيلَ لَهُ: أَبَا عَمْرٍو

لَقَدْ أَتَاكَ شَهْرُ رَمَضَانَ، قَالَ: وَمَا شَهْرُ رَمَضَانَ؟ قَالُوا: الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ؛

قَالَ: أَبَالْأَمْسِ أَمْ بِالنَّهَارِ؟ قَالُوا: لَا، بَلْ بِالنَّهَارِ؛ قَالَ: أَفَيَرْضَوْنَ بَدَلًا مِنَ الشَّهْرِ؟

قَالُوا: لَا؛ قَالَ: فَإِنْ لَمْ أُصُمْ فَعَلُوا مَاذَا؟ قَالُوا: تُضْرَبُ وَتُجَبَسُ؛ فَصَامَ أَيَّامًا فَلَمْ

يَصِيرَ، فَارْتَحَلَ عَنْهُمْ وَجَعَلَ يَقُولُ:

يَقُولُ بَنُو عَمِّي وَقَدْ زُرْتُ مِصْرَهُمْ * تَبَيُّأُ أَبَا عَمْرٍو لِشَهْرِ صِيَامِ

فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا حِرَابِي وَمِرْوَدِي * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَأَذْهَبُوا بِسَلَامٍ

فَبَادَرْتُ أَرْضًا لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ * عَلَى وَلَا مَنَاعُ أَكْلِ طَعَامِ

(١) قد صححت هذه الجملة عن الجزء الحادي عشر من كتاب تذكرة ابن حنون (ص ١٥١) وقد وردت

في الأصل بحزقة هكذا: «تسكن منه أذنابى عيش أغبر» . (٢) القباطى: ثياب بيض من كتان

كانت تنسج بصرى، شبه بها أيام رمضان . (٣) الثملة: البقية القليلة من الطعام أو الشراب

وأدركَ أعرابياً شهرَ رمضانَ فلم يصُمْ ؛ فعدَّتْهُ امرأتهُ في الصوم ، فزجرها وأنشأ يقول :

أَتَأْمُرُنِي بِالصَّوْمِ لَا دَرَدَرَهَا ۖ فِي الْقَبْرِ صَوْمٌ يَا أُمِّمَ طَوِيلُ
دُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ الْحُسَيْنِ فَخْضِرَ وَأَصْحَابَهُ ، فَاكْلُوا وَلَمْ يَأْكُلْ ؛ فَقِيلَ لَهُ :
إِلَّا تَأْكُلْ ! فَقَالَ : إِنِّي صَائِمٌ ، وَلَكِنْ تُخْفَةُ الصَّائِمِ ؛ قِيلَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : الدَّهْنُ
وَالْمِجَر .

أَخْبَارٌ مِنْ أَخْبَارِ الْأَكَلَةِ

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : أَحِبُّ أَنْ أَرْزُقَ ضَرْمًا طَحُونًا ، وَمِعْدَةً هَضُومًا ،
وَسُرْمًا تَوْرًا ^(١) .

١٠ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ عُمَرَ يُلْقِي
إِلَيْهِ الصَّاعَ مِنَ التَّمْرِ فَيَأْكُلُهُ حَتَّى حَشَفَهُ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

هَمْ الْكَرِيمُ كَرِيمُ الْفِعْلِ يَفْعَلُهُ * وَهَمْ سَعِيدٌ بِمَا يُلْقَى إِلَى الْمِعْدَةِ
وَقِيلَ لِرَجُلٍ رُبِّي سَمِينًا : مَا أَسْمَنَكَ ؟ قَالَ : أَكَلِي الْحَارَّ ، وَشَرِبِي الْقَارَ ، وَأَتَكَأِي ^(٢)
عَلَى شِمَالِي ، وَأَأْكِلِي مِنْ غَيْرِ مَا لِي . ١٥

وَقِيلَ لِأَنَسَ : مَا أَسْمَنَكَ ؟ قَالَ : قِلَّةُ الْمَكْرَةِ ، وَطُولُ الدَّعَةِ ، وَالنَّوْمُ
عَلَى الْكِظَةِ ^(٣) .

(١) كُنَّا فِي السَّانِ مَادَّةَ (سَرَم) ، وَالسَّرَمُ التَّوْرُ : الْكَثِيرُ الْقَذْفِ لِقَضَلٍ مِنَ الْمَيِّ . وَفِي الْأَصْلِ :
"وَسُرْمًا مَشَافًا" . (٢) فِي الْأَصْلِ «وَأَتَكَأِي» بِاللَّامِ . (٣) الْكِظَةُ : نَوْءٌ يَسْتَرَى الْإِنْسَانُ
عِنْدَ الْإِمْتِلَاحِ مِنَ الصَّغَامِ . ٢٠

قال الجحّاجُ للفضبان بن القبحرّى في حبسه : ما أَسْنَك ؟ قال : القَيْدُ والدَّعَةُ ،
وَمَنْ كَانَ فِي ضِيَاةِ الْأَمِيرِ فَقَدْ سَمِنَ .

وقال آخرُ لرجل رآه سمينا : أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مِنْ نَسِجِ أَضْرَاصِكَ .

وقيل لآخر : إِنَّكَ لَحَسَنُ الشَّحْمَةِ لَيْنِ الْبَشَرَةِ ؛ فقال : آكُلُ لُبَّابَ الْبَرِّيسْفَارِ
الْمَعَزِ ، وَأُدْهِنُ بِلُحْنِ الْبَنْفَسَجِ ، وَالْبُسُّ الْكَثَّانُ .

قيل لمَيْسَرَةَ الْأَكُولِ وَأَنَا أَسْمَعُ : كَمْ تَأْكُلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟ قال : مِنْ مَالِي
أَوْ مِنْ مَالِ غَيْرِي ؟ قالوا : مِنْ مَالِكَ ؛ قال : دُونَانِ ؛ قالوا : فَمِنْ مَالِ غَيْرِكَ ؟ قال :
أَخْزِرُ وَأَطْرَحُ .

والعرب تقول : « الْعَاشِيَةُ تَهْجُ الْآبِيَةَ »^(١) . يريدون أَنَّ الَّذِي لَا يَسْتَسِي أَنْ

يَأْكُلَ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَأْكُلُ هَاجَهُ ذَلِكَ عَلَى الْأَكْلِ .

قال جرير :

وَبَنُو الْمُهْجِمِ تَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ * نَطُّ اللَّحَى مُتَشَابَهُو الْأَلْوَانِ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةِ أَوْشَرِيَةٍ * بَعْمَانٌ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بَعْمَانٍ
مُنَابِطِينَ بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ * صَعَرُ الْأَنْوَفِ لِرِيحِ كُلِّ دُخَانٍ

(١) دُونَانِ : كَلِمَةٌ قُرْسِيَّةٌ وَمَعْنَاهَا رَغِيفَانِ . وَفِي الْقَدِّ الْقَرِيدِ : « مَكْوَكٌ » وَالْمَكْوَكُ : مَكِيلٌ ذَكَرْتُ

فِي مَقْدَارِهِ عِدَّةَ أَقْوَالٍ . (٢) الْعَاشِيَةُ : الَّتِي زَعَمَ بِالسُّيِّئِ مِنَ الْمَوَاشِي وَغَيْرِهَا . وَالْآبِيَةُ : الَّتِي

لَا تَرِيدُ الصَّاءَ . أَيْ إِذَا رَأَتْ الْآبِيَةُ الْإِبِلَ الْعَوَاشِيَّ تَجَنَّبَتْهُ فَرَعَتْ مَعَهَا . (٣) فِي الْأَصْلِ :

« وَبَنُو الْمُهْجِمِينَ » بِالنُّونِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْقَامُوسِ وَدِيَوَانِ جَرِيرٍ (النَّسْخَةُ الْخَطُوطُ

الْمَحْفُوظَةُ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ تَحْتَ رَقْمِ ١ أَدَبِ ش) . وَرَوَى هَذَا الشُّعْرُ فِي الدِّيَوَانِ هَكَذَا :

* إِذَا ضَجَّ قَبِيلَةٌ مَخْشُوعَةٌ * (٤) نَطُّ : جَمْعُ أَنْطَ ، وَالْأَنْطُ : قَلِيلٌ شَرِ

الْقِيَّةِ . (٥) فِي الدِّيَوَانِ : « مَنَوَّكِينَ » . (٦) كَذَا فِي الدِّيَوَانِ ، وَصَعَرُ الْأَنْوَفِ :

مِيلُهُمْ ، مِنَ الصَّعَرِ وَهُوَ الْمِيلُ . وَفِي الْأَصْلِ : « صَعَبُ الْأَنْوَفِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

قَعَدَ رَجُلٌ عَلَى مَائِدَةِ الْمُغِيرَةِ . وَكَانَ مِنْهُوَ مَا ، وَجَعَلَ يَنْهَشُ وَيَتَعَرَّقُ ؛ فَقَالَ
الْمُغِيرَةُ : نَاولُوهُ سِكِّينًا ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : كُلُّ أَمْرِي سِكِّينَةٌ فِي رَأْسِهِ .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا لَكُمْ تَأْكُلُونَ اللَّحْمَ وَتَدْعُونَ الثَّرِيدَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ اللَّحْمَ ظَاعِنٌ
وَالثَّرِيدَ بَاقٍ .

وَقِيلَ لِأَخْرَجٍ : مَا تُسَمِّنُونَ الْمَرْقَ ؟ قَالَ : السَّيِّئِينَ ؛ قَالَ : فَإِذَا بَرَدَ ؟ قَالَ :
لَا نَدَعُهُ يَبْرُدُ .

قَالَ أَبُو الْبَقَّانِ : كَانَ جِلَالُ بْنُ أَسْعَرَ التَّمِيمِيِّ ، مِنْ بَنِي دَارِمِ بْنِ مَازِنٍ ،
شَدِيدًا أَكْثُولًا ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَكَلَ جَمَلًا إِلَّا مَا حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ مِنْهُ . وَأَكَلَ مَرَّةً
فَصِيلاً ، وَأَكَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِصِيلاً ، فَلَمَّا ضَاجَعَهَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا ؛ فَقَالَتْ : كَيْفَ تَصِلُ
إِلَى وَبَيْنَنَا بَعِيرَانِ ! .

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : دَعَا عَبَادُ بْنُ أَخْضَرَ هَلَالَ بْنَ أَسْعَرَ إِلَى وَلِيمَةٍ ، فَأَكَلَ مَعَ النَّاسِ
حَتَّى فَرَّغُوا ، ثُمَّ أَكَلَ ثَلَاثَ جِفَانٍ تُصَنَعُ كُلُّ جَفْنَةٍ لِعَشْرَةِ أَنْفُسٍ ؛ فَقَالَ لَهُ :
أَشْبَعْتَ ؟ قَالَ لَا ؛ فَأَتَوْهُ بِكُلِّ خَبِيزٍ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَشْبَعْ ، فَبَعَثُوا إِلَى الْبَحْرِانِ ؛ فَلَمَّا
أَخْتَلَفَتْ أَلْوَانُ الْخَبِيزِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَضْرَبَهُمْ فَأَمْسَكَ ؛ فَقَالُوا : هَلْ لَكَ فِي تَمْرِ شَهْرِيزِ^(١)
وَلَبِنٍ ؟ فَأَتَوْهُ بِهِ فَأَكَلَ مِنْهُ قَوَاصِرَ^(٢) ؛ فَقَالُوا لَهُ : أَشْبَعْتَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالُوا : فَهَلْ لَكَ
فِي السَّوِيقِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَأَتَوْهُ بِجَرَابٍ صَخِيمٍ مَمْلُوءٍ ؛ فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ نَيْذٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛
قَالَ : أَعِنْدَكُمْ تَوَرٌّ تَغْتَسِلُونَ فِيهِ مِنَ الْجَنَابَةِ ؟ فَأَتَى بِهِ فَفَسَلَهُ وَصَبَّ السَّوِيقَ فِيهِ
وَصَبَّ عَلَيْهِ النَّيْذَ ، فَمَا زَالَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى قَفِيَ .

(١) الشَّهْرِيزُ (بِكسر الشين المعجمة وقد انضم وبالسین المهملة أيضاً) : ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ ، وَفِيهِ وَجْهَانِ
الِاتِّبَاعِ وَالِإِضَافَةِ . (٢) الْقَوَاصِرُ : جَمْعُ قَوْصَةٍ (بِخَفِيفِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِهَا) : وَغَاءُ التَّمْرِ مِنْ قَصَبٍ .
(٣) التَّوَرُّ : إِذَا مِنْ نَحَاسٍ أَوْ جَرٍّ .

- الشَّامِدُ وَكُلَّ آلِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قَدِمَ سَلِيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّائِفَ
 وَقَدْ عُرِفَتْ شَجَاعَتُهُ ^(١) ، فَدَخَلَ هُوَ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٢) وَأَيُّوبُ ابْنُهُ بَسْتَانًا لِعَمْرِو ؛
 قَالَ : بِخَالٍ فِي الْبَسْتَانِ سَاعَةٌ ثُمَّ قَالَ : [بَاهِيكَ بِمَا لَكُمْ هَذَا] [مَالًا] ^(٣) لَوْلَا جِرَارٌ فِيهِ ! فَقُلْتُ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا لَيْسَتْ بِجِرَارٍ وَلَكِنَّمَا جُرْبُ الزَّيْبِ ؛ بِخَاءٍ حَتَّى أَلْقَى صَدْرَهُ
 عَلَى غُصْنٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا شَمْدُلُ ! أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ تُطْعِمُنِي ؟ قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ !
 إِنْ عِنْدِي بِحَذِيٍّ تَفْدُو عَلَيْهِ بَقْرَةٌ وَتَرَوْحُ أُخْرَى ؛ قَالَ : أَتَعْجَلُ بِهِ ؛ فَأَتَيْتُهُ بِهِ كَأَنَّهُ
 عَمَلَةٌ ^(٤) ، وَتَشْمَرُ كُلَّ وَلَمْ يَدْعُ ابْنَهُ وَلَا عَمْرَ حَتَّى أَتَى بِحَذِيٍّ ، فَقَالَ : يَا أَبَا حَفِصٍ
 هَلُمَّ ؛ قَالَ : إِنِّي صَائِمٌ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا شَمْدُلُ ! أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قُلْتُ :
 بَلَى وَاللَّهِ ! دَجَاجَاتٌ سِتُّ كَأَنَّهُنَّ رِثْلَانِ ^(٥) النَّعَامِ ، فَأَتَيْتُهُ بِهِنَّ ، فَكَانَ يَأْخُذُ رَجُلٌ
 الدَّجَاجَةَ حَتَّى يُعْرِى عَظْمَهَا ثُمَّ يُلْقِيهَا [فِيهِ] حَتَّى أَتَى عَلَيْهِنَّ . ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ !
 أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ ! إِنْ عِنْدِي لِحَرِيرَةٌ كَقُرَاضَةِ الذَّهَبِ ، فَقَالَ :
 أَتَعْجَلُ بِهَا ؛ فَأَتَيْتُهُ بِعَسٍّ يَتَّقِبُ فِيهِ الرَّأْسُ ^(٦) ، فَجَعَلَ يَتْلَقِمُهَا بِيَدِهِ وَيَشْرَبُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ
 تَجَشَّأَ كَأَنَّهُ صَاحٍ فِي جُبٍّ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا غُلَامُ ، أَفَرَّغْتَ مِنْ غَدَائِنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
 وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : نَيْفٌ وَثَمَانُونَ قِدْرًا ؛ قَالَ : فَأَتَيْتُهَا قِدْرًا قِدْرًا ؛ فَأَتَاهَا بِهَا وَبَقِنَاجٍ عَلَيْهِ

- ١٥ (١) كَذَا بِالْأَصْلِ : وَسَيَقُ كَلَامُ بَابَادَ ، وَلَهَا مَحَرَّةٌ عَنْ كَلِمَةِ تَدَلَّ عَلَى مَعْنَى الْجَمْعِ وَالنِّهْمِ .
 (٢) التَّكْمَةُ مِنَ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٢٣٢) . (٣) التَّكْمَةُ : وَهِيَ السِّنُّ وَهِيَ أَصْغَرُ
 مِنَ الْقَرْبَةِ . (٤) الرِّثْلَانِ : أَوْلَادُ النَّعَامِ ، وَاحِدُهُمَا رِثْلٌ . (٥) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ،
 وَالْحَرِيرَةُ : ضَرْبٌ مِنَ النَّعَامِ يُلْقِذُ مِنَ الدَّقِيقِ يَطِيخُ بِلَبِّهِ أَوْ دَسَمَ ، وَفِي الْأَصْلِ «لَنَيْفَةٍ» . وَفِي الْمُسْتَرْفِ
 وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ (ج ٣ : ص ٣٥٣) «سَوِيْقٌ» . (٦) الْعَسَّ (بِالضَّمِّ) : الْقَدَحُ الْكَبِيرُ .
 ٢٠ (٧) يَتْلَقِمُهَا مِنْ تَلَقَّمَ الشَّيْءَ : أَكَلَهُ بِسُرْعَةٍ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : «يَقْلَعُهَا بِيَدِهِ» . وَفِي الْأَصْلِ :
 «يَتْلَكُهُ» وَانْفَكَرَ فِي كِتَابِ الْقَنَةِ : الضَّرْبُ بِإِلْدٍ مَجْمُوعَةٍ ، وَلَعَلَّ مَا أُتْبِتَاهُ أَنْسَبُ بِالْقَامِ . (٨) الْقَنَعُ
 (بِالْكَسْرِ) : نَعْلٌ مِنْ عَسَبٍ أَنْخُلَ يَوْضَعُ فِيهِ الطَّعَامُ .

رَقَاقٌ؛ فَاكْثُرُ مَا أَكَلَ مِنْ قَدِيرٍ ثَلَاثُ لُقْمٍ وَأَقْلُ مَا أَكَلَ لُقْمَةً، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَأَسْتَقَى عَلَى فِرَاشِهِ، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ وَوَضَعَتِ الْخِوَانَاتُ^(١) بِجَعْلٍ يَأْكُلُ مَعَ النَّاسِ .

الْخَطَّابِيُّ عَنْ الدِّيرَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لَأَعْرِفُ الطَّعَامَ الَّذِي يَأْكُلُهُ سُلَيْمَانُ؛ قَالَ : لَمَّا اسْتَحْلَفَ سُلَيْمَانُ قَالَ لِي : لَا تَقْطَعْ عَنِّي الطَّافَكَ الَّتِي كُنْتَ تُطْلِفُنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ أُسْتَخْلَفَ؛ فَأَتَيْتُهُ بِزَبِيلَيْنِ أَحَدُهُمَا بَيْضٌ وَالْآخَرُ تَيْنٌ؛ فَقَالَ : لَقْمْنِيهِ، فَجَعَلَتْ أَقْشِرُ الْبَيْضَةَ وَأَقْرَبُهَا بِالْتَيْنَةِ حَتَّى أَكَلَ الزَّبِيلَيْنِ .

الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عُيسِدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَ جَرَادِي^(٢) أَصْبَهَانِيَّةٍ وَجُبْنًا قَبْلَ غَدَائِهِ .

وَعَنْ سَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ : عَدَدْتُ لِلْجَبَاحِ أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ لُقْمَةً فِي كُلِّ لُقْمَةٍ رَغِيفٌ مِنْ خَبْزِ الْمَاءِ فِيهِ مِلءٌ كَفَهُ سَمَكٌ طَرِيٌّ . ١٠

وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكَّةَ ابْنُ أَكُولٍ؛ فَقَالَ لَهُ [مَعَاوِيَةَ]^(٤) : مَا فَعَلَ أَبْنُكَ التَّقَامَةُ؟ قَالَ : أَعْتَلَّ؛ قَالَ : مِثْلُهُ لَا يَعْدَمُ عِلَّةً .

أَكَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ وَأَقْعَدَ مَعَهُ أَعْرَابِيًّا فَرَأَى لَهُ لَقْمًا مُتَكَرًّا؛ فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ؟ قَالَ : لُقْمَانُ؛ قَالَ : صَدَقَ أَهْلُكَ، إِنَّكَ لُقْمَانُ .

وُلِدَ لِابْنِ أَبِي لَيْلٍ غُلَامٌ فَعَمِلَ الْأَخْيَصَةَ لِلْجَبْرِانِ، فَلَمَّا أَكَلُوا قَامَ مُسَاوِرُ الْوَزَائِقِ ١٥
فَقَالَ :

مَنْ لَا يُدَسِّمُ بِالْتَرِيدِ مِسْبَالَنَا * بَعْدَ التَّرِيدِ فَلَا هَنَاءُ الْقَارِسُ^(٦)

(١) كَذَا فِي الْعُقَدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٣٣٢) . وَفِي الْأَصْلِ : « فَوَضَعَتِ الْخِوَانُ » .

(٢) الْجَرَادِقُ جَمْعُ جَرْدَقٍ، وَالْجَرْدَقُ وَالْجَرْدَقَةُ (بِالضَّمِّ) وَالْجَرْدَقُ (بِالضَّمِّ) (بِالضَّمِّ) : الرَغِيفُ

فَارِسِيَّةٌ مَعْرُوبَةٌ . (٣) كَذَا بِالْأَصْلِ . (٤) التَّكَلُّفُ عَنْ كِتَابِ الْبَحْلَاءِ لِلْبَاحِظِ (ص ١٦٥ طَبْعُ أَوْرُبَا) وَتَدْرُكُ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ بِرُوحٍ مِمَّا فِي الْأَصْلِ فَرَاغَهُ . (٥) الطَّقَامَةُ : الْعَظِيمُ الْقَتْمُ .

(٦) وَالْمِسْبَالُ : جَمْعُ سَبَلَةٍ وَهِيَ مَجْتَمِعُ الشَّارِبِينَ وَمَقْدَمُ الْحَمِيَّةِ .

وقال العجيف^(١) في أمه :

يا ليتنا أمنا شالت نعامها * إنا إلى جنّة إما إلى نار
ليست بشبي وإن أسكننا هجرًا * ولا يرّا ولو حلت بذى قار^(٢)
تلهم الوسق مشدودًا أشقته * كأننا وجهها قد طلّ بالقار^(٣)
نرقأ في الخير لا تهدى لوجهته * وهي صنّاع الأذى في الأهل والجار^(٤)
رأى أبو الحارث جُمز سلة بين يدي رجل من الملوك، فقال له: جعلت فداك،
أى شيء في تلك السلة؟ فقال: بظُر أُمك، قال: فأعطني به .

قيل للحارثي: لم لا تؤاكل الناس؟ فقال: لو لم أترك مؤاكلتهم إلا لثروني
عن الأسواري لتركها، ما ظنكم برجل نهش بضعة لحم هرق فأقطع ضره وهو لا يدري.
وكان إذا أكل ذهب عقله وبحظقت عيناه وسكر وسدّر وتربد وجهه وغضب ولم
يسمع ولم يبصر، فلما رأيت أنه وما يعتريه ويعتري الطعام منه صرت لا آذن له إلا ونحن
ناكل الجوز والتمر والباقي؛ ولم يعجاني قط وأنا أكل تمرًا إلا استغف سقا وزدا به^(٥)

- (١) نسب هذا الشعر في شرح ديوان الحماسة (ضبعة أوروبا ص ٨١٠) إلى شخص اسمه «سعد» .
ونسب في شرح شواهد المفني (٦٧ طبع مصر) إلى من اسمه سعد بن قرين سيار ويلقب بالنجيت الحدرى .
(٢) في ديوان الحماسة واللسان والمفني: «أيما إلى جنة أيما إلى نار» . (٣) هجر: مدينة
بالبحرين مشهورة بكثرة التمر . (٤) ذوقار: ماء لكرين وائل قريب من الكوفة .
(٥) كذا في الحماسة والأشظة: جمع شظاظ وهو خشبة عفا، تدخل في عروة الجواثق . وفي الأصل
«أسره» وهو تحريف . (٦) كذا في ديوان الحماسة، وفي الأصل «مطلو بالقار» .
(٧) كذا في شرح شواهد المفني (ص ٦٧ طبع مصر)، وفي الأصل: «وفي اصطناع الأذى» . وهو تحريف .
(٨) في كتاب البخلاء لمّا حظ (ص ٨٢ طبع أوروبا): «... لو لم أترك مؤاكلة الناس
وأطعامهم إلا لسوء رقة على الأسواري لتركته، وما ظنكم ... الخ ...» . ولعل الصواب: الاشره
على الأسواري أو نحو ذلك . وفي الأصل هنا: «اللاثروني عن الأسواق» ، والظاهر أن كلمة
«الأسواق» هنا محرفة عن «الأسواري» وهو الشخص الذي يتحدث عنه في هذا الحديث .
(٩) في كتاب البخلاء: «نهش بضعة لحم هرقا فليع ضره» . (١٠) جهظت فيه: عظمت
مقلتها ونشأت . (١١) سدّر الرجل: تخير . (١٢) تربد وجهه: تغير .
(١٣) زدا به: روى به . وفي كتاب البخلاء «وذرا به ذررا» .

زَدُّوا، ولا وجده كَنِيزًا إِلَّا وَتَاوَلَ الْقِطْعَةَ مِنْهُ بِكُمُجْمَةِ الشَّوْرِ كَدَمَهَا كَدَمًا^(٢)، وَنَهَشَهَا طُولًا وَعَرَضًا، وَرَفَعًا وَخَفَضًا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهَا؛ ثُمَّ لَا يَقَعُ عَضُّهُ إِلَّا عَلَى الْأَنْصَافِ وَالْأَثْلَاثِ؛ وَلَا رَمَى بِنَوَاةٍ قَطَّ، وَلَا نَزَعَ قِيعًا^(٣)، وَلَا نَفَى عَنْهُ قِشْرًا، وَلَا قَشَشَهُ عَخَافَةً السُّوسَ وَالِدُودَ .

وقال بعض الشعراء :

تَبَيَّتْ تُكَدِّدُهُ الْقِرَانُ حَوْلَ * كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عُقْرُبَانُ
فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلًا سَمِينًا * شَكَرْتُكَ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ

وقال بعض الأعراب :

وَإِنَّ طَعَامًا ضَمَّ كَفَى وَكَفَّهَا * لِعَمْرُكَ عِنْدِي فِي الْحَيَاةِ مَبَارَكُ
فَمَنْ أَجْلَهَا اسْتَوْعَبَ الزَّادَ لَهُ * وَمَنْ أَجْلَهَا أَهْوَى يَدِي فَأَدَارِكُ

وقال آخر :

عَرِيضُ الْبِطَانِ جَدِيدُ الْخَوَانِ * قَرِيبُ الْمَرَاثِ مِنَ الْمَرْعِ^(٧)
فَنِصْفُ النَّهَارِ لِكِرْيَاسِهِ * وَنِصْفُ الْمَأْكَلِ أَجْمَعِ^(٨)
الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا الْقَنْدِ ؟ قَالَ : يُعْجِبُنِي
خَضُّهُ وَبَرْدُهُ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْخَضُّ : الْمَضْغُ وَالْأَكْلُ الشَّدِيدُ .

- (١) الكَنِيزُ : التَّزْيِيزُ فِي قَوَاصِرِ الشَّيْءِ . (٢) كَدَمَهُ كَدَمًا : عَضَّهُ بِأَدْنَى فِئَةٍ .
(٣) الْقِيعُ (يَكْسَرُ فَتْحٌ وَبِالْكَسْرِ) : مَا النَّصَقُ بِأَسْفَلِ الثَّمَرَةِ وَنَحْوَهَا حَوْلَ عِلَاقَتِهَا . (٤) تَدَدَدَهُ : تَلَحَّرَجَ . (٥) الْقِرَانُ (كَشَدَادٍ) : الْقَارُورَةُ . (٦) كَدَا فِي الْيَمَانِ وَالْيَمِينِ ، وَأَصْلُ الْبِطَانِ : حَزَامُ الْقَتَبِ الَّذِي يَجْعَلُ تَحْتَ بَطْنِ الدَّابَّةِ ، وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ بِهِ كِبَرُ بَطْنِهِ ؛ وَفِي الْأَصْلِ : « الْخَوَانُ » .
(٧) الْمَرَاثُ فَتَحَ الْمِيمُ : مَكَانُ الرُّوثِ . (٨) كَدَا فِي الْيَمَانِ وَالْيَمِينِ . وَفِي الْأَصْلِ « بَرِيَّاسُهُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالْكَرْيَاسُ : الْكَثِيفُ الَّذِي يَكُونُ مُشْرِقًا عَلَى سَطْحٍ بِقَنَاطَةِ إِلَى الْأَرْضِ . (٩) الْقَنْدُ : عِلُّ قَصَبِ السُّكَّرِ إِذَا جَدَّ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقِسَاسِ : « قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ - وَكَانَ مُعْجِبًا بِالْقَنَاءِ - : مَا يُعْجِبُكَ مِنْهُ ؟ قَالَ : خَضُّهُ » .

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطمعينا جينا ، فإنه يُشهى الطعام ويبيح المعدة ، وهو يُعَدُّ من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأعلمك إنه والله ، ما علمت ، ليَقْدَح في الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمة .

كان يقال : اذا كُثِرَت المقدرة ، ذهب الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلما سلم الله زرعنا * وأوفى عليه منجلٌ بمحصاد
بلىنا بكوفى حليف مجاعة * أضرت علينا من دوى وجراد^(١)

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” مَنْ دَخَلَ عَلَى
غَيْرِ دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغِيرًا ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ “ .
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ بِجَاءٍ مَعَ
الرَّسُولِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَهُ إِذْنٌ “ . وعن مجاهد : أن ابن عمر كان إذا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ وَهُوَ
صَائِمٌ يَجِيبُ ، وَكَانَ يَبِيتُ اللَّقْمَةَ بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ : كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ فَإِنِّي صَائِمٌ . وعن
أسماء بنت رُقَيْدٍ قَالَتْ : دَخَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأُتِيَ بِطَعَامٍ فَعَرَضَ عَلَيْنَا
فَقُلْنَا : لَا نَسْتَبِيهِ ، فَقَالَ : ” لَا تَجْمَعَنَّ كَذِبًا وَجُوعًا “ .

دعا رجل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه الى طعام ، فقال : نأتيك على
أَلَّا تُتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ ، وَلَا تَذْخَرْنَا مَا عِنْدَكَ .
وكان يقول : شر الإخوان مَنْ تُكَلَّفُ لَهُ .

دعا رجل رجلا الى الغداء ثم قال له : هذه بكرة زيارة ولم نستعدد ، ففعل تقصيرا
فيما أحب بلوقه ، فقال الآخر : حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف .

(١) الدي : الجراد قبل أن يطير .

قال إسماعيل بن إبراهيم الموصلي^(١) : أتاني الزبير بن دحان يوما فسأله أن يقيم عندي، فقال : قد أرسل إلى الفضل بن الربيع وليس يمكنني التخلف عنه، فقلت له :

أقم يا أبا العوّام ويحك نشرب * ونلّه مع الآلهين يوماً ونطرب
إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره * نغذه بشكر وأترك الفضل يغضب
وقال بعض المحدثين :

نحن قوم متى دُعينا أجبنا * ومتى نُس يدعنا التطفيل
ونقل علنا دُعينا فنبنا * وأنا فلم نجدنا الرسول

كان طَفِيلُ العرائس الذي يُنسب إليه الطَفِيلُونَ يوصي أصحابه فيقول لأحدهم :
إذا دخلت عرساً فلا تلتفت تلتفت المريب، وتغير المجالس، وأجد ثيابك، وأعمل
على أنها العقدة التي تشغل . وإن [كان] العرس كثير الزحام فمر وأنه . ولا تنظر
في عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك
من هؤلاء . وإن كان البسّاب غليظاً وقاحاً فأبدأ به ومُرّه وأنه من غير أن تُعنف
عليه، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال .

عرض رجل على ربة الغداء؛ فقال : إن أقسمت عليّ وإلا فدعني .
ومن أشعار الطُفيليين :

دعوت نفسي حين لم تدعني * فالحمدُ لي لا لك في الدعوة
وقلتُ ذا أحسن من مَومِدٍ * إخلافه يدعو إلى جَفْوهِ^(٢)

(١) كذا في الأغانى (ج ٥ ص ٧٨ طبع بولاق) ، وفي الأصل : "يزيد بن دحان"

وهو تحريف . (٢) الكلمة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٧) . (٣) كذا في نهاية الأرب . وفي العقد الفريد : « غلقه » . وفي الأصل : « أخلقه » .

وقال آخر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضيفن^(١) * فأودى بما تُقرى الضيوف الضيافنُ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

نعم الصديق صدق لا يكافئ * ذبح الدجاج ولا شئ الفساريج^(٢)

يرضى بلونين من كشك ومن عدس * وإن تسمى فزيتون بطسوج^(٣)

كان سعيد بن أسعد الأنصاري إمام الجامع بالبصرة طفيلياً، فإذا كانت وجبة سبق الناس إليها، فرمى بسط معهم البسط وخدم . ف قيل له في ذلك فقال : إني أبادر برد الماء، وصفو القدور، ونشاط الحياز : وخلاء المكان ، وغفلة الدبان ، وجفاف المنديل .

١٠ وقيل لبعض الطفيليين : كم آثان في آئين قال : أربعة أرغفة .

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المقدم أبي كريمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إيمًا^(٤) مسلم ضافه قوم فأصبح الضيف محروما كان له على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعه وهاله " .

- ١٥ (١) الضيفن : العنقلى . (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤١) : « وقال إبراهيم الموصلي في طفلي كان يصحبه » . (٣) في العقد الفريد : « نعم النديم نديم الخ » . (٤) الطسوج : مقدار من الوزن مقداره حبات من الدائق ، والدائق أربعة طساميج . وأراد بالطسوج الدائق نسبتهما من الدرهم لا من الدينار لأن الدرهم ستة درائيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم حبتين ودائقه ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدم بن معديكرب وكنيته أبو كريمة . وفي الأصل : « المقدم بن أبي كريمة » وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : " إيمًا رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم الخ " .

روى ابنُ المَجَلانِ^(١) عن أبيه قال : قال أبو هريرة : إذا نزلتَ برجل ولم يَقْرَكَ قَاتِلُهُ . عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الخَيْرُ أَسْرَعُ^(٢) إِلَى مُطْعِمِ الطَّعَامِ مِنَ الشُّفْرَةِ^(٣) فِي سَنَامِ الْبَعِيرِ» .

داود قال : قلت للحسن : إنك تُفِقُ من هذه الأَطْعَمَةِ وتُكْثِرُ ، قال : ليس في الطَّعَامِ سَرْفٌ . وقال الثوري : ليس في الطَّعَامِ وَلَا فِي النِّسَاءِ سَرْفٌ .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إِنَّ مِنَ السُّنَنِ أَنْ يَمْشِيَ الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إِلَى بَابِ الدَّارِ» .

عن عبد الرحمن بن عباس قال : رأيت ابن عباس في وليمة فأكَلَ وألقى لِحْجَازَ دَرَاهِمًا .

الأصمعي قال : سئل أقرى أهل اليمامة للضيف : كيف ضبطتم القرى ؟ قال : بَأَنَا لَا تَتَكَلَّفُ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا .

عن بعض النُّسَاك قال : قد أعياني أَنْ أَزِلَّ عَلَى رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ آكُلُ مِنْ رِزْقِهِ شَيْئًا .

- (١) في الأصل : « رغبة بن البجاج » وهو تحريف ، إذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء ولم توجد له مناسبة بين رواية الحديث . ولعل ما أثبتناه أنسب ، لأنه ورد في تهذيب التهذيب : أن المجلان روى عنه ابنه وروى هو عن أبي هريرة .
- (٢) كذا في الجامع الصغير والإتقان فيما جاء في الصدقة والضيافة لابن حجر الميسي . وفي الأصل : « المحر واسرع » وهو تحريف .
- (٣) في الجامع الصغير : « إلى البيت الذي يمشي » وفي الإتقان : « إلى البيت الذي يؤكل فيه » .
- (٤) في الأصل : « السفرة » بالسين المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصغير . والثفرة (بالفتح) : السكين العظيمة المربضة .

عن عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : ضَلَّ رَجُلٌ صَائِمٌ فِي عَامِ سَنَةٍ ، فَأَبْتُلِيَ بِرَجُلٍ عِنْدَ فِطْرِهِ وَقَدْ أَتَى بِقُرْصَيْنِ فَأَلْقَى إِلَيْهِ أَحَدَهُمَا ، ثُمَّ قَالَ : مَا هَذَا يُمَشِّعُهُ وَلَا يُمَشِّعِي ، وَلَئِنْ يَشَبَّ وَاحِدٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجُوعَ آثَانِ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ الْآخَرَ . فَلَمَّا أَوَّى إِلَى فِرَاشِهِ أَتَاهُ آتٌ فَقَالَ : سَلِّ ، فَقَالَ : أَسْأَلُ الْمَغْفِرَةَ ، قَالَ : قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ بِكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَسْأَلُ أَنْ يُغَاثَ النَّاسُ .

عن الحسن : أَنَّ رَجُلًا جَهَّدهُ الْجُوعُ ، فَفَظِنَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَتَى بِهِ رَحْلَهُ ، فَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : هَلْ لَكَ أَنْ تَطْوِيَ لَيْتِنَا هَذِهِ لَضِيفِنَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِذَا قَدِمَتِ الطَّعَامُ فَأَذِنِي إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّكَ تُصَلِّحِيهِ فَاطْفِئِيهِ ، فَفَعَلْتُ وَجَاءَتْ بِشَرِيدَةٍ كَأَنَّهَا قِطَاةٌ فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ، ثُمَّ دَنَتْ إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُهُ فَاطْفِئِيهِ ، فَبَجَلَ الْأَنْصَارِيُّ يَضَعُ يَدَهُ فِي الْقِصْعَةِ ثُمَّ يَرْفَعُهَا خَالِيَةً ، فَأُطْلِعَ عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَنْصَارِيُّ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ وَقَالَ : «أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ اللَّيْلَةِ» ، فَفَزِعَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ : أَيْ- كَلَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا : قَوْلُهُ لِأَمْرَأَتِهِ ، قَالَ : كَانَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : «فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صُنْعِكَ اللَّيْلَةَ» .

الأصمعيّ قال : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ بَرِيدٌ قَالَ : هَلْ رَأَيْتَ فِي النَّاسِ الْعُرْسَاتِ ؟ يَعْنِي الْخِصْبَ لِلسَّلَامِينَ .

وقيل لأعرابيّ كَانَ فِي مَجْلِسٍ : فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : كُنَّا فِي قَدَرٍ تَفُورُ ، وَكَأْسٍ تَدُورُ ، وَغِنَاءٍ يَصُورُ ، وَحَلِيبٍ لَا يَخُورُ .

(١) فِي الْأَمَلِ : «صَامًا» . (٢) رَحْلُهُ : مَنَازِلُهُ . (٣) يَصُورُ : يَصَوِّتُ .

(٤) لَا يَخُورُ : لَا يَضَعُفُ .

بلغني أن محمد [بن خالد] بن يزيد بن معاوية كان نازلاً بحلب على المهيم بن يزيد التميمي^(٢)،
فبعث إلى ضيف له من عُدرة فقال: حَدَّثَ أبا عبد الله ما رأيت في حاضرة المسلمين
من أعاجيب الأعراس؛ قال: نعم، رأيت أموراً مُعْجِبة: منها أني رأيت قرية عاصم^(٣)
ابن بكر الهلالي، فإذا أنا بدُور متباينة. وإذا أخصاصٌ مُنظَّم بعضها إلى بعض، وإذا
بها ناس كثيرٌ مُقِيلون ومُدِيرون وعليهم ثياب حَكَّوا بها ألوان الزهر، فقلت لنفسى: هذا
أحد العيدين الأصحى أو الفطر؛ ثم رجعت إلى ما عَزَب عني من عَقلي، فقلت: خرجت من
أهلي في عَقَب صَفَر وقد مضى العيدان قبل ذلك؛ فبينما أنا واقفٌ ومُتَعَجِّبٌ أتاني رجل^(٤)
فأخذ يدي [فأدخلني داراً قوراء] وأدخلني بيتاً قد نُجِد في وجهه فُرْش قد مُهِّدَت
وعليها شَاب ينال فروعُ شعره كَتِفَيْهِ، والناس حوله سِمَاطَان^(٥)؛ فقلت في نفسي:
هذا الأمير الذي يُحَكِّي لنا جلوسه وجلوس الناس حوله، فقلت وأنا مائل بين يديه:
السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فجَذَب رجلٌ يدي وقال: اجلس
فإن هذا ليس بالأمر؛ فقلت: ومن هو؟ قال: عَمْرُوس؛ قلت: وَأَتَكَلِّ أَمَاهُ!
رُبَّ عَمْرُوسٍ رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ أَهْوَنُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ هَيْنِ أُمِّهِ؛ فَلَمْ أَلْبَثْ إِذْ دَخَلْتُ
الرَّجُلَ عَلَيْهَا هَنَاتٌ مَدْقِرَاتٌ مِنْ خَشَبٍ وَقُضْبَانٍ، أَمَّا مَا خَفَّ فَيُحْمَلُ حَمَلًا، وَأَمَّا
مَا ثَقُلَ فَيُدْرَجُ، فَوُضِعَتْ أَمَامُنَا وَتَحَلَّقَ الْقَوْمُ حَلَقًا حَلَقًا، ثُمَّ أُتِينَا بِخَرْقٍ بَيْضٍ

(١) التكملة عن كتاب الأغاني (ج ١٢ ص ٢٥ طبع بولاق)، وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا
وذكر اسم الأعرابي الذي رواه وأُفرد له ترجمة خاصة، وهو هاضم بن ثومة بن نصيب وكان شاعراً بدوياً
قصيماً من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدوياً جافياً كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة
فيكتب عنده شعره وتؤخذ عنه اللغة، روى عنه الرباعي وأبو سراقه ودماذ وغيرهم من رواة البصرة.
وقد وردت في الأصل كلمات محرقة مصححاً عن الأغاني ونهنا عليها في مواضعها. (٢) في الأغاني؛
«النخعي». وفي العقد الفريد: «أخيتم بن بدي». (٣) في الأغاني: «فررت بقرية يقال
لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي». وفي العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالي». (٤) في الأغاني:
«خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر». (٥) الزيادة عن الأغاني. وقوراء: راسعة.
(٦) سِمَاطَان: صفان.

- فَأَلْقَيْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَظَنَنْتُهَا ثِيَابًا وَهَمِمْتُ عِنْدَهَا أَنْ أَسْأَلَ الْقَوْمَ نَحْرًا أَقْطَعُ مِنْهَا قِيسًا،^(١)
وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ نَسَبًا مُتَلَاحِكًا لَا تَبِينَ لَهُ سَدَى وَلَا لَحْمَةٌ؛ فَلَمَّا بَسَطَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ^(٢)
إِذَا هُوَ يَتَزَقُّ سَرِيحًا وَإِذَا هُوَ [فِيَا زَعْمُوا] صِنْفٌ مِنَ الْخُبْزِ لَا أَعْرِفُهُ. ثُمَّ أَتَيْنَا بِطَعَامٍ^(٣)
كَثِيرٍ مِنْ حَلْوٍ وَحَامِضٍ وَحَارٍّ وَبَارِدٍ، فَأَكْثَرْتُ مِنْهُ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ مَا فِي عَقَبِهِ مِنْ
التَّخَمِ وَالْبَشَمِ. ثُمَّ أَتَيْنَا بِشَرَابٍ أَحْمَرٍ فِي عِصَاسٍ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ،^(٤)
أَخَافُ أَنْ يَقْتُلَنِي. وَكَانَ فِي جَانِبِي رَجُلٌ نَاصِحٌ لِي — أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ — كَانَ
يَنْصَحُ لِي مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ: يَا أَعْرَابِي، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ الطَّعَامِ،
وَإِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ أَتَنْفَخُ بِطْنُكَ — فَلَمَّا ذَكَرَ الْبَطْنَ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا كَانَ أَوْصَانِي بِهِ
[أَبِي وَ] الْأَشْيَاحُ [مَنْ أَهْلِي]: قَالُوا: لَا تَزَالُ حَيًّا مَا دَامَ شَدِيدًا (يَعْنِي الْبَطْنَ) فَإِذَا^(٥)
أَخْتَلَفَ فَاوِصٌ — فَلَمْ أَزَلْ أَتَدَاوَى بِهِ وَلَا أَمَلُ مِنْ شَرْبِهِ، فَتَدَاخَلْنِي — نَالِكَ الْخَيْرِ —
صَلَفٌ لَا أَعْرِفُهُ [مَنْ نَفْسِي، وَبَكَاءٌ لَا أَعْرِفُ سَبَبَهُ وَلَا عَهْدَ لِي بِمِثْلِهِ، وَأَقْتَدَارُ^(٦)
عَلَى أَمْرٍ أَظُنُّ مَعَهُ أَنِّي لَوْ أَرَدْتُ نَيْلَ السَّقْفِ لِبَلْقَتِهِ وَلَوْ شَأَوْتُ الْأَمْسَدَ لِقَتْنَتُهُ،
وَجَعَلْتُ أَلْتَفَتُ إِلَى الرَّجُلِ النَّاصِحِ لِي فَتَحَدَّثَنِي نَفْسِي] يَهْتِمُّ أَسْنَانَهُ وَهَشَمَ أَفْقَهُ، وَأَهْمُ^(٧)
أَحْيَانًا بَانَ أَقُولُ لَهُ: يَا بَنَ الزَّانِيَةِ؛ فَيُنِيبُنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ هُمْ عَلَيْنَا شِيَاطِينُ أَرْبَعَةٌ:

- ١٥ (١) كَذَا فِي الْأَغَانِي - وَفِي الْأَصْلِ: «فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهَا نَهْمَتِ الْخَبَرِ» . (٢) مُتَلَاحِكًا :
مُتَدَاخِلًا بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ مُدَاخِلًا شَدِيدًا . (٣) زِيَادَةٌ عَنْ كِتَابِ الْأَغَانِي . (٤) كَذَا فِي الْعُقَدِ الْقَرِيدِ
(ج ٢ ص ١٢٦)، وَالْعِصَاسُ: جَمْعُ عِصٍ بِالضَّمِّ وَهُوَ الْقَدَحُ الْكَبِيرُ . وَفِي الْأَصْلِ: «عِصَافٌ»، وَالسَّف:
الْقَدَحُ الضَّخِيمُ، وَلَمْ يَرِدْ هَذَا الْجَمْعُ فِي كِتَابِ الْفَنِّ وَالْوَارِدُ فِيهَا عُسُوفٌ . (٥) كَذَا فِي الْأَغَانِي .
وَفِي الْأَصْلِ: «خَلْفٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٦) الْعِبَارَةُ الْمَحْصُورَةُ مَا بَيْنَ الْمَرْبَعَيْنِ وَرَدَّتْ
فِي الْأَغَانِي . وَفِي الْأَصْلِ: «لَا أَعْرِفُهُ وَبِقِي فِي نَفْسِي لَا عَهْدَ لِي بِهِ وَأَشْكَلُ عَلَيَّ أَمْرِي»، وَكَانَ أَيْ
جَانِبِي الرَّجُلِ النَّاصِحِ لِي، لَمْ يَلْحَقْ قَمِي تَحَدَّثَنِي الْخَبَرُ .

أحدهم قد علّق في عنقه جعبةً فارسيةً مُسَنَّجَةً^(١) الطرفين دقيقة الوسط قد شُبِّحَتْ^(٢)
 بالخيوط سُبْحاً منكراً، وقد أُلْبِسَتْ قطعةً قُرُوْكَاَنَهُمْ يخافون عليها القُرُ . ثم بدر الثاني
 فاستخرج من كُمِّهِ هَنَّةً^(٣) [سوداء] كَفَيْشَلَةً الخمار فوضع طرفها في فيه فضرط فيها فاستمَّ
 بها أمرهم، ثم حَسَبَ^(٤) على يَحْمَرَةٍ فيها فاستخرج منها صوتاً ملائماً مشاكلاً بعضه بعضاً
 [كأنه — علم الله — ينطق] . ثم بدر الثالث عليه قميص وِسْجٌ وقد غرق شعره بالدُّهْنِ
 معه مرأتان بفعل يَمْرَى إحداهما على الأخرى مَرِيّاً . ثم بدر الرابع عليه قميص قصير
 وسراويل قصير وخُفَّان أجذمان لاساقين لهما . بفعل يَقْفِزُ كأنه يثب على ظهور
 العقارب : ثم التبّض بالأرض . فقالت : معتوه وربّ الكعبة ! ثم ما برح مكانه
 حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت الناس يحذفونه بالدرهم حذفاً منكراً . ثم
 أرسلت إلينا النساء أن أمتعنونا من لهُوكم ، فبعثوا بهن إليهن وبقيت الأصوات
 تدور في آذاننا . وكان معنا في البيت شابٌ لا آبه له ، فَعَلَّتِ الأصواتُ له بالدعاء ،
 فخرج بخفاء بخشبة عينها في صدرها فيها خُوَيْطَاتٌ أربعة ، فاستخرج من جنبها عُوداً
 فوضعه على أذنه ، ثم رَمَزَ الخيوط الظاهرة ، فلما أَحْكَمَهَا وَعَرَكَ آذَانَهَا حَرَكَهَا بِحَسَّةٍ
 في يده ، فنطقت وربّ الكعبة ! وأذاهي أحسن قِيْنَةً رأيتها قَطُّ ، [وغنى عليها]^(٥) فاستخفني^(٦)

- ١٥ (١) الشَّيخ : التقبض ، وفي الأغاني : « مسنجة » بتسین المهملة ، ومعناه : مخططة ، وكلا المعنيين
 هنا غير واضح ، وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦) : مفتحة الطرفين . ولعل صواب الكلمة « متفتحة
 الطرفين » لوضوح المعنى بياً ولصّاق وصف الوسط بالندقة . والظاهر أن الأعرابي يصف هذا الوصف
 الآلة المروقة عندنا الآن بالكعبة . (٢) كذا في الأغاني . وشبّحت : شدت . وفي الأصل :
 « قد شبحت بالخيوط سبهاً منكراً » . وفي العقد الفريد : « شبكت » . (٣) زيادة في الأغاني .
 ٢٠ (٤) يريد : حرك أصابعه عن ثيوب هذه اخنة ، وهي المزمار ، كما يصنع الحاسب حين يعد بأصابعه .
 وبصورة الأغني : « ثم حرك أصابعه ... الخ » . (٥) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « نشة »
 وهو تحريف .

في مجلسي حتى قمتُ بفلسْتُ بين يديه ، فقلت : بأبي أنت وأُمِّي ! ما هذه الدابة ؟ ^(١) [فلمستُ
أعرفها] للأعراب وما خلقتُ إلا حديثاً ! فقال : يا أعرابي ، هذا البربط الذي
سمعتُ به ، فقلت : بأبي أنت وأُمِّي ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ ^(٢) قال : زير ؛ قلت : فما
الذي يليه ؟ قال : مشى ؛ قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث ؛ قلت : فالرابع ؟ قال :
اليم ؛ قلت : آمنتُ بالله أولاً وباليم ثانياً .

وقال الخريجي :

أُضاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ * وَيُخَصِّبُ عِنْدِي وَالْمَحَلَّ جَدِيبُ
وَمَا اخْضَبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى * وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ
وقال أَرْطاة بن سُهَيْب :

وَأَتَى لِقَؤَأمَ إِلَى الضَّيْفِ مَوْحِئاً * إِذَا أَغْدَفَ السَّتْرَ الْبَخِيلُ الْمَوَاحِلُ ^(٣)
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كَلَابٌ كَثِيرَةٌ * عَلَى ثَقَبَةٍ مَنَى بِمَا أَنَا فَاعِلُ
وَمَا دُونَ ضَيْفِي مِنْ تِلَادٍ تَحُورُهُ * لِي النَّفْسُ إِلَّا أَنْ تُصَانَ الْحَلَالُ ^(٤)
آخر :

إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَدَوًّا * عَلَى الْأَهْلِ حَتَّى تَسْتَقِيلَ مَرَاجِلُهُ ^(٥)
يقول : يُسَوِّئُ خُلُقَهُ حَتَّى يُطْعِمَ أَضْيَافَهُ ، لِإِعْجَالِهِ إِيَّاهُمْ وَلِخُوفِ تَقْصِيرِ
يَكُونُ مِنْهُمْ .

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل « الدابة » . (٢) زيادة عن كتاب الأغاني .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « فاهذه الخيوط الغل » . (٤) المواقيل : العاجز

الذي يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه . (٥) الشعر لزئب بنت الطيرة ترى أخاها يزيد وقيل إنه

لهيرد . (راجع الشعر في الأغاني ج ٧ ص ١٢٣) . (٦) العذرة : الشيء الخلق القليل الصغير

فما يريد به .

(١) وقال دَعِيل :

وإني لعبدُ الضيف من غير ذِلَّةٍ * وما فيَّ إلا تلك من شِمة العبدِ

وقال آخر :

لَحَافِي لَحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ * وَلَمْ يُلْهِني عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقْنَعُ^(٢)
أُحَدِّثُهُ، إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقَرَى * وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

وقال الفرزدق في العذافر :

أَعْمُرَكَ مَا الْأَرْزَاقُ يَوْمَ اكْتِبَالِهَا^(٣) * بِأَكْثَرِ خَيْرٍ مِنْ خِوَانِ عُدَافِيرِ
وَلَوْ ضَافَهُ الدَّجَالُ يَلْتَمِسُ الْقَرَى .. وَحَلَّ عَلَى خَبَازِهِ بِالْعَاكِرِ
بَعْدَهُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ كُلُّهُمْ * لِأَشْجَعِهِمْ يَوْمًا غَدَاءُ الْعُدَافِيرِ^(٤)

وقال مسكين الدارمي :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ * وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ
مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجْوَرُهُ * إِلَّا يَكُونُ لِيَابِهِ يَسْتَرُ

ضاف رجلٌ من كَلْبٍ أبا الرَّمْكَاءِ الْكَلْبِيِّ، ومع الرجلِ فَضْلَةٌ مِنْ حِنْطَةٍ،
فَرَاخَتْ مِعْزَى [أَبَى] الرَّمْكَاءِ، فَحَلَبَ وَشَرِبَ، ثم حلب وَسَقَى أَبْنَاهُ، ثم حلب وَسَقَى

١٥ (١) ذكر أبو الفرج في الأغاني هذا البيت ضمن أبيات مسدوبة إلى قيس بن عاصم الخنقري (انظر الأغاني في ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق) وكذلك رواد المنبر في التماثيل له أيضا (ص ٢٢٤ — ٢٢٥ طبع أدربا) وقد رواد :

وإني لعبد الضيف ما دام ناوريا * وما من خلالي غيرها شِمة العبدِ

٢٠ وفي شرح الحماسة (ص ٥٢٥) أنه لقعن انكشئ من أبيات مفتوحة الروى . (٢) هو حبة بن مجير وقيل مسكين الدارمي، انظر شرح أشعار الحماسة (ص ٧٥٠ طبع أدربا) وص ٢٢٣ من المجلد الثاني من هذا الكتاب . (٣) يريد بالغزال انقنع أمرأته . (٤) كذا في كتاب البخله. لم يحفظ (ص ٢٤٩ طبع أدربا) . وفي الأصل : «حين انكثنا» . (٥) في كتاب البخله «شهر» .

أمرأته؛ فقال الرجل : أَلَا تَسْقُونَ ضَيْفَكُمْ ؟ فقال أبو الرِّمَاءِ : ما فيها فضل ؛ فاستخرج الرجل ما في عِيَّهِ^(١) من طعام وقال : هل من رَحَى ؟ فأسرعوا بها نحوه ، فطحنَ وعجنَ وأوقدَ خبزهَ وأخرجها فَنَقَضَهَا ، فاذا رسول أبي الرِّمَاءِ يقول : يقول لك أبو الرِّمَاءِ : لا عهدَ لنا بالخبز؛ فقال الرجل : ما فيها فضل ، ثم أكل وارتحل ، وقال :

بات أبو الرِّمَاءِ لم يَسْقِ ضَيْفَهُ * من المحيَض ما يطوي عليه فَيَرْقُدُ
فَقَمْتُ إلى حَنَانَةٍ فوق أختها * ونارٍ وباتت وهي تَوَرَى وتوقد
فلما نَفَضْتُ الخبزَ بالعودِ أَقْبَلْتُ * رسائل تشكو الجوع والحرَّ سَهْدُ^(٢)
وقال أبو الرِّمَاءِ بالخبزِ عهدُهُ * قديمٌ له حولٌ كَرِيبٌ مُطَرَّدُ^(٤)
فقلت أَلَا لافضلَ فيها لباحيل * ولا مَطْمَعٌ حتى يلوح لنا القَدُّ
فبات أبو الرِّمَاءِ من قَرِيطٍ رِيحها * يَنْتِ كما أتَ السَّلمُ المُسَهَّدُ

ذكر أعرابي قوما فقال : ألقوا من الصلاة الأذنان، مخافة أن تسمعه الآذان،
فجهل عليهم الضيفان .

وقال بعضهم في ذلك :

أقاموا الدَّيْدَبَانَ على بَقَاعٍ * وقالوا لا تَنْمُ للدَّيْدَبَانِ
فإن أبصرتَ شخصاً من بعيدٍ * فصَفَّقْ بالبنان على البنان
تراهم خشيةَ الأضيافِ حُرماً * يُصَلُّون الصلاة بلا أذنان

(١) المَكَم : ما يسطر من الثياب ويجعل به نلتاع . (٢) في الأمن : « قال » .

(٣) في الأجل : « تشكى » . (٤) كريب : مكروب اشتد عليه النهم .

وقال زياد الأعجم :

وتَكْمَمْتُ كَلْبَ الْحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الْقِرَى * وَقَدَرْتُكَ كَالْعَدْرَاءِ مِنْ دُونِهَا سِتْرٌ^(١)

وقال آخر :

وإِنِّي لَأَجْفُو الضَّيْفَ مِنْ غَيْرِ عُسْرَةٍ * مَخَافَةَ أَنْ يَضْرِيَ بَنِي فَيْعُودٍ^(٢)

وقال آخر :

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفَانِ كَلْبًا ضَارِيًا * عِنْدِي وَفَضَلَ حِرَاوَةٍ مِنْ أَرْزَنِ^(٣)
وَمَعَاذِرًا كَذِبًا وَوَجْهًا بَاسِرًا * مُتَشَكِّيًا حَضَّ الزَّمَانِ الْأَرْزَنِ^(٤)
رَأَى رَجُلٌ الْحُطَيْتَةَ وَبِيَدِهِ عَصَا فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ قَالَ : تَجَرُّاءُ مِنْ سَلَمٍ ،
قَالَ : إِنِّي ضَيْفٌ ، قَالَ : لِلضَّيْفَانِ أَعْدَدْتُهَا .

وقال آخر :

وَأُبْقِضُ الضَّيْفَ مَا بِي جُلٌّ مَا كُلُّهُ * إِلَّا تَتَفَخَّهَ حَوْلِي إِذَا قَعَدَا^(٥)
مَا زَالَ يَنْفُخُ جَنْبِيهِ وَجَبُونَتَهُ * حَتَّى أَقُولَ لَعَلَّ الضَّيْفَ قَدْ وَلَدَا^(٦)

وقال حميد الأرقط يذكر ضيفًا :

إِذَا مَا أَتَانَا وَارِدُ الْمَصِيرِ مُرْمِلًا * تَأْوِبُ نَارِي أَصْفَرَ الْعَقْلَ قَافِلًا^(٧)
فَقُلْتُ لِعَبْدِي آعْجَلًا بَعَثَانَهُ * وَخَيْرُ عِشَاءِ الضَّيْفِ مَا هُوَ عَاجِلُ^(٨)

- (١) كيم الكلب : شدة فوه بالكمام لئلا ينبع فيه الأضياف . (٢) في التمدن : « وتارك » .
(٣) يضري بنا : يولع بنا ويمتد . (٤) الأرزن : شجر صلب تلخذه منه العصي . (٥) الزمان
الأزمن : الشديد الكلب . (٦) هو حميد الأرقط كما في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٨٦) . (٧) رواه
في العقد : « لا أبقض » . (٨) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « ينفخ كنفه » .
(٩) المرمي : الذي قد زاده . (١٠) تأوب : جاء . أول الليل ويقال : تأوبه وتأويه على المعاقبة
إذا أتاه ليل . (١١) كذا في الأصل . (١٢) القافل : اليابس الجلد وقيل : اليابس اليد .

فقال وقد ألقى المراسي للقرى * أين لي ما ألجأج بالناس فاعل
فقلت لعمري ما لهذا طرقتنا * فكل ودع الأخبار ما أنت آكل
تجهز كفاءه فيحدر حلقه * إلى الزور ما ضمت عليه الأامل^(١)
أنا ولم يعدله سخجان وائل * بيانا وعلما بالذي هو قائل
فما زال منه اللقم حتى كأنه * من المي لما أن تكلم باقل^(٢)

وقال أيضا في نحو ذلك :

وسرمين على الأفتاب برهم * حناب وعباء فيه بعين^(٣)
مقدمين أنوفا في عصائبهم * هجنا، ألا جديعت تلك العرائن
يسطرون لنا الأخبار إذ نزلوا * وكل ما سطوروا للقيم تمكن
باتوا وجلتنا الصبياء بينهم^(٤) * كأن أظفارهم فيها سكاكين
فأصبحوا والنوى على معربهم^(٥) * وليس كل النوى تلقى المساكين^(٦)

(١) في الأصل : « إليه » ، ورد هذا البيت في اللسان مادة « بقل » :

تدبل كفاء ويحدر حلقه * إلى البطن ما ضمت عليه الأامل

وقال : التدبيل : تعظيم القصة عند الأكل . (٢) سخجان : اسم رجل من ربيعة من بني بكر بن

وائل ، كان لنا بلغا يضرب به المثل في البيان والقصاحة . (٣) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب

به المثل في المي . قال البيت : بلغ من عي باقل أنه كان اشترى ظيا بأحد عشر درهما ، فقيل له : بكم

أشتريت الظي ؟ ففتح كفيه وفتح أصابعه وأخرج لسانه — يشير بذلك إلى أحد عشر — فأقلت الظي

وذهب ؛ فضربوا به المثل في المي . (٤) كذا بالأمل . (٥) كذا في كتاب سيويه

(ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق) . والجللة : قفة التمر تتخذ من سف النخل وليفه ، فذلك وصفها بالصبة .

وفي الأصل : « باتوا وجلتنا السهرين بينهم » . ولعله محذوف من : « باتوا وجلتنا السهرين بينهم » والسهرين

(بالسين المهملة والشين المعجمة) : ضرب من التمر . (٦) يعني لما أصبحوا ظهر على معربهم —

وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرة ، على أنهم لم يجتهدوا ليطفوا إلا بهضه ؛ وهذا إشارة

إلى كثرة ما قدمه لهم من وكثرة أكلهم له .

وقال أيضا في نحو ذلك :

وما رعى والليل مستحسب الندى * وقد صجعت للفور تالفة النجم^(١)
فسلم تسليم الصديق ولم يكن * صديقا لنا إلا لئأس^(٢) بالقيم
فقلت له والنار تأخذ صدره * لقمتم لسمت أم مريت على علم^(٣)

وقال بعض الرجاز :

برح بالعينين خطاب^(٤) الكُثْب * يقول إنني خاطب وقد كذب
* وإنما يطلب عسا من حلب *

وقال آخر :

إني لمثلكم من سوء فعلكم * إن زرتكم أبدا إلا معي زادي

وقال حماد عجرد :

حريث أبو الصلت ذو خبرة * بما يصلح المعلة الفاسدة
تخوف ثمة أضيافه * فمؤداهم أكلة واحدة

عن قتادة قال : قال زياد لغيلان بن خرشة : أحب أن أحدثني عن العرب
ويجهد بها وضئك عيشها، لنحمد الله على النعمة التي أصبحنا بها؛ فقال غيلان : حدثني

١٥ (١) مستحسب الندى متراكبه يطو بعضه بعضا لكثرة . وضجعت للفور : ماتت للغيب . وتالفة
النجم : إحدى تاليات النجوم وهي أوانرود . (٢) في الأصل : «التأيسر» وما أثبتناه هو
المناسب للسياق . (٣) الست : السير على الطريق بالظن ، وقيل هو السير بالحدس والظن
على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف في الخطبة . والكثب : جمع كثة (بالضم) ،
والكثة من الماء واللين : القليل منه ؛ يعني أن الرجل يجي . بجلة الخطبة وإنما يريد القري . قال ابن
الأعرابي : يقال للرجل إذا جاء يطلب القري بصفة الخطبة : إنه لينخطب كثة . وفي الأصل «خطاب»
٢٠ بالحاء المهملة وهو تحريف . وانفس (بالضم) : القذح الكبير ، وفي الأصل : «وقسا من حلب» وهو
تحريف (انظر اللسان مادتي خطب وركب) .

- عمى قال : توالث على العرب سنون تسع في الجاهلية حطمت كل شئ ، فخرجت على بكرى لى في العرب . فكشئت سبعا لا أطمع شيئا إلا ما يسأل منه بعيرى أو من حشرات الأرض ، حتى دفعت في اليوم السابع إلى جواء عظيم ، فإذا بيت جحش عن الحى ، فملت إليه فخرجت إلى امرأة طواله حسانة ، فقالت : من ؟ قلت : طارق ليل يلتمس القرى ، فقالت : لو كان عندنا شئ لآثرناك به ، والدال على الخير كفاعله ، حسن هذه البيوت ثم أنظر إلى أعظمها ، فإن يك في شئ منها خير ففيه ، ففعلت حتى دفعت إليه ، فرحب بى صاحبه وقال : من ؟ قلت : طارق ليل يلتمس القرى ، فقال : يا فلان ، فأجابه ، فقال : هل عندك طعام ؟ فقال لا ، فوالله ما وقر في أذن شئ كان أشد منه . قال : فهل عندك شراب ؟ قال لا ، ثم تأوه فقال : بلى ! قد بقيت في ضرع الفلانة شيئا لطارق إن طرقتك ، قال : فأت به ، فأتى العطن فابتعتها . فحدثني عمى أنه شهد فتح أصبهان ونستر ومهرجان وكور الأهواز وفارس وجافه عند السلطان وكثرة ماله وولده ، قال : فما سمعت شيئا قط كان أشد من شخب تيك الناقة في تلك العلبة ، حتى إذا ملأها [و] فاضت من جوانبها وأرفعت عليها شمكة بجمعة الشيخ ، أقبل بها يهوى نحوى ، فمتر بعود أو حجر ، فسقطت العلبة من يده ، فحدثني

- (١) الجواء (بالهاء المهملة) : مجتمع البيوت . (٢) جحش : نحى وأبعد عن البيوت .
(٣) طواله (بالضم) : ضويلة القنمة . وحسانه (بالضم وتشديد السين) : حسان الصورة ، وهما وصفان تمدح بهما المرأة . (٤) حسن هذه البيوت : تعزف أحوالها .
(٥) فلان وفلانة بنير الألف واللام كناية عن أسماء الأدميين ، والفلان والفلانة بالتصريف بهما كناية عن غير الأدميين ، تقول العرب : ركبت الفلان وعلبت الفلانة . وفي الأصل : «الفلانية» بزيادة ياء النسبة . (٦) قال البيت : صطن الإبل ومعلتها : مناخها حول ورددتها ، فأما في مكان آخر فراح وماوى . (٧) كذا بالأصل ، ولم نوفق إلى تحقيقها ، وسباق الكلام يقتضى أن يكون هنا ما يدل على الرغبة التي تعلو اللب وقت حلبه .

أنه أُصِيبَ بأبيه وأمه وولده وأهل بيته لما أُصِيبَ بمصيبةٍ أعظمَ من ذهابِ العُلبَةِ .
فلما رأى ذلك ربُّ البيت نرج شاهرًا سيفه فبعثَ الإبلَ ثم نظر إلى أعظمها
سنًا ودفعَ إليه مُدِيَّةً وقال : يا عبدَ الله أَصْطَلِ وَاحْتَمِلْ . قال : بخلتُ أهوى
بالْبَضْمَةِ إلى النارِ فإذا بلغتُ إناها أكلتها^(١) ، ثم مسحْتُ ما في يدي من إهالتها على جلدي
وقد كان حَقْلٌ على عظمي حتى كأنه شَنٌّ ، ثم شَرِبْتُ شَرْبَةً ماءٍ وتحرَّرتُ مَغْشِيًّا على^(٢)
فما أَقَفْتُ إلى السَّحَرِ . وقطعَ زيادُ الحديثَ وقال : لا عليك ألا نَحْرُنَا بِأَكْثَرِ من
هَذَا ، فَمِنَ الْمُتَرَوِّلِ بِهِ ؟ قلتُ : أبو عليٍّ عامرُ بنُ الطَّفِيلِ .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهم قبل الغداء لَضِيفِهِمْ * يَتَخَلَّلُونَ صُبابَةَ الزَّادِ

وقال آخر^(٣) :

١٠

اسْتَبَقِي وَدَّ أَبِي الْمُقَا * تِلْ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ
سَيَّانٍ كَكَمْرٍ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسَرُ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِهِ
فتراه من خوفِ التَّزِيدِ * لِي بِهِ يَرْوَعُ فِي مَنَامِهِ
فإذا مررتَ بِيَابِهِ * فَاحْفَظْ رَغِيفَكَ مِنْ غَلَامِهِ
وقال آخر^(٤) :

١٥

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِنْ قَالَ مَجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفِ ، فَذَاكَ الرُّمْنُ قَسِمَهُ
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ^(٥) * عَلَى جَرَادِيهِ كَانَتْ عَلَى حُرَيْبِهِ^(٦)
إِنْ رَمَتْ قَتْلَهُ فَأَقْتِكْ بِجُبْرَتِهِ * فَإِنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ^(٧)

(١) إِيَّاهَا : فضجها . والاهالة : الشعم المذاب وكل ما ائتدم به من الأدعان . . (٢) حَقْلٌ (كنع وعلم وعنى) : يس . (٣) في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) نسب هذا الشعر لعلي .
(٤) هو أبو تمام ، (أنظر ديوانه : باب الهجاء ، قافية الميم) . (٥) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٩) . وفي الأصل : « لو كان » . (٦) الجرادق : جمع الجرذق بالفتح والذال المحجمة كالجرذق بالذال المهملة وكلاهما معناه الرغيف فارسي ، « مرزب » : كُده ، بالكاف .
(٧) في الديوان ونهاية الأرب (ج ٢ ص ٣١٨ طبعة أولى) : « وإن همت به فافتك بجذيتة » .

٢٠

قلت لرجل كان يأكل مع أبي دُلَف : كيف كان طعامه؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرَةٌ جَوْزِيَّةٌ؛ وقال :

أبو دُلَفٍ يُضَيِّعُ أَلْفَ أَلْفٍ * وَيَضْرِبُ بِالْحَامِ عَلَى الرُّغِيفِ

أبو دُلَفٍ لِمَطْبَخِهِ قَتَارٌ^(١) * وَلَكِنْ دُونَهُ ضَرْبُ السَّيُوفِ

وقال أبو الشَّحْمَقِ^(٢) :

رَأَيْتُ الْخُبْزَ عِزًّا لَدَيْكَ حَتَّى * حَسِبْتَ الْخُبْزَ فِي جَوْ السَّحَابِ

وَمَا رَوْحُنَا لِتَدْبِّ عَنَا * وَلَكِنْ خَفَّتْ مَرَزَةُ الدُّبَابِ

وقال دِعِيل :

إِنَّ مَنْ ضَنَّ بِالْكَنِيفِ عَلَى الْضَبِّ * فِي بَغِيرِ الْكَنِيفِ كَيْفَ يَجُودُ !

مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِجُحْشٍ^(٣) * قَبْلَ هَذَا لِأَبِيهِ إِقْلِيدُ

إِنْ يَكُنْ فِي الْكَنِيفِ شَيْءٌ تَحَبَّأَ * هُنَعْدِي إِنْ شُنْتُ فِيهِ مَزِيدُ^(٤)

ولهذا الشعر قصة قد ذكرتها في باب الشعراء^(٥).

قال أبو محمد : سُويَ لـجَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْخَاشِمِيِّ دَجَاجٌ فَفَقِدَ نَفْسَهُ مِنْ

دَجَاجِيَّةٍ، فَأَمَرَ فَنُودِيَ فِي دَارِهِ : مَنْ هَذَا الَّذِي تَعَاطَى فَقَرَّ ! وَاللَّهِ لَا أَخْزِي فِي هَذَا

التُّنُورِ شَهْرًا أَوْ يَوْمًا ! فَقَالَ ابْنُهُ الْإِكْبَرُ : أَتَوَاخَذُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ! .

(١) لِقَتَار : الدخان . (٢) أبو الشَّحْمَقِ هو مروان بن محمد الشاعر ، قال هذا الشعر

يعيب به طعام جعفر بن أبي زهير وكان ضيفا عند . انظر كتاب البخله لملاحظ (طبع أوروبا ص ٧٧) .

(٣) الجش (بتطيت الحاء) : البتان ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عادتهم التفسط

في البساتين ، والجمع حشان . والاقليد : المفتاح . (٤) كذا في الأصل والشعر والشعر .

(ص ٥٤١ طبع أوروبا) ، ولعله : « تخيه » . (٥) ذكر المؤلف هذه القصة في كتابه الشعر والشعر .

وهي أن دعبلا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مقلقا فلم يتيأ ففحه حتى أعجبه الأمر .

(٦) كذا في غرر الخصاص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفي سبأني قريبا وهو الصواب ، لأنه هو

المعروف بالبخل . وفي الأصل : « أبو جعفر » .

(١)
قال بعض الشعراء :

يا تارك البيت على الضيف * وهارباً منه من الخوف

ضيفك قد جاء بخبر له * فارجع فكن ضيفاً على الضيف^(٢)

وقال أبو نواس^(٣) :

خبر إسماعيل كلوش * إذا ما شقَّ يرقاً

عجبا من أثر الصند * حة فيه كيف تخفى

إن رقاءك هذا * أحنق الأمة كفاً

فإذا قابل بالنص * غف من الجرق نصفاً

مثل ما جاء من آلتد * نور ما غادر حرقاً

أحكم الصنعة حتى * لا يرى موضع إشنى^(٤)

وله في الماء أيضاً * عملٌ أبدع ظرفاً

مزجُه العذب بماء الـ * بئر صكى يزداد ضعفاً

فهو لا يشرب منه * مثل ما يشرب صرفاً^(٥)

(١) قال هذا الشعر رجل من إمامة في مروان بن أبي حفصة الشاعر، وكان قد نزل عليه ضيفاً، فأخلى مروان له المنزل وهرب منه مخافة أن يلزمه نراه في هذه الآية : فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثم رجع وكتب إليه بهذا الشعر. انظر المستوفى للأشبهى (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا في النقد والمستطرف، وفي الأصل "ضيفن" بالنون.

(٣) قال هذا الشعر في إسماعيل بن نوبخت بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارئة (بيت من خشب كائفة، مغرب) واصطليح فيها أوبين يوماً ومعه جماعة منهم أبو نواس، فلبثت ثقته أربعين ألف درهم؛ ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر. (٤) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها في (ج ٢ ص ٣٧) من هذا الكتاب.

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلتُ بِبَيْتِ [أَبْنِ] هَرْمَةَ فَقُلْتُ : ائْتَحِرُوا لَنَا
جَزُورًا ؛ قَالَتْ : وَاقِهِ مَا هِيَ عِنْدَنَا ؛ قُلْتُ : فَبَقْرَةٌ ، قَالَتْ لَا ؛ قُلْتُ : فَشَاةٌ ، قَالَتْ
لَا ؛ قُلْتُ : فَدَجَاجَةٌ ، قَالَتْ لَا ؛ قُلْتُ : فَأَيْنَ قَوْلُ أَبِيكَ :

لَا أُتِمِعُ الْعُوذَ^(١) بِالْفِصَالِ وَلَا * أَبْتَاغُ إِلَّا قَرْيَةَ الْأَجَلِ

قَالَتْ : ذَاكَ أَفْنَاهَا . فَبَلَغَ أَبْنُ هَرْمَةَ مَا قَالَتْ ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهَا أَبْتَقِي ، وَأَشْهَدُ
أَنْ دَارِي لَهَا دُونَ الذَّكَوْرِ مِنْ أَوْلَادِي .

قال ابن أبي قتيب :

لَا أَشْتُمُ الضَّيْفَ وَلَكِنِّي * أَدْعُوهُ بِالْقُرْبِ مِنْ طَوِّقِ

بِقُرْبِ مَنْ إِنْ زَارَهُ زَائِرٌ * مَاتَ إِلَى الْخَبْرِ مِنَ الشَّرِّقِ

١٠ دخل على ابن لرجل من الأشراف داخل وبين يديه قرآن مجيد ، فغطى الطبق بمنديله
وأدخل رأسه في جيبه وقال للداخل عليه : كن في الحجرة الأخرى حتى أفرغ من
بَحْثُورِي .

وفيا أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه قال : دخل رجل على رجل قد تغذى

مع قوم ولم تُرفع المائدة قال لهم : كُلُوا وَأَجْهِزُوا عَلَى الْجُرْحَى . يريد : كُلُوا مَا كُسِرَ^(٢)

١٥ وَنِيلَ مِنْهُ وَلَا تَعْرِضُوا إِلَى الصَّحِيحِ .

(١) العوذ : الحديثات الناتجة من الظباء والإبل والخيول ، وأحدثها عائذ مثل حائل وحول . والفصال :

جمع فصيل وهو ولد الذقة إذا فصل عن أمه . يريد أنه لكرمه لا يمتنع العوذ بأولادها بل يذبحها لضيفه

الكثيرين . وفي الأصل وردت هذه الجملة هكذا : « لَا أُتِمِعُ الْعُوذَ بِالْفِصَالِ » وهو تحريف . والصحيح عن

أما ابن القائل (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) في الأصل : « وَأَجْهِزُوا »

٢٠ وهو تحريف وما أثبتناه عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٢٢) . وقد وردت هذه الحكاية فيه بأوضح ما هنا .

ونصها « قَالَ : وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ (يريد عبد الله بن يحيى بن خالد بن أمية) يوما والمائدة موضوعة والقوم

يأكلون وقد رفع بعضهم يده فددت يدي لَأَكُلَ فَقَالَ أَجْهِزْ عَلَى الْجُرْحَى وَلَا تُشْرَضِ لَأَكْصَحَا . »

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبزي صغار! أي-أبن زانية يأكل من هذا رقيقين! . قال : ويقول لزارته إذا أطال عنده المكث : تغديت اليوم ؟ فإن قال نعم ، قال : لولا أنك تغديت لغديتك بطعام طيب . وإن قال لا ، قال : لو كنت تغديت لسقيتك نحسة أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليل ولا كثير .

وحكى عن أبي نؤاس أنه قال : قلت لرجل من أهل خراسان^(١) : لم تأكل وحده ؟ قال : ليس عليّ في هذا الموضع سؤال^(٢) ، إنما السؤال على من أكل مع الجماعة ، لأن ذلك تكلف وأكلى وحدي هو الأكل الأصلي .

وكان عند داود بن أبي داود بواسط أيام ولايته كسكر^(٣) ، فأنته من البصرة ددايا ، وكان فيها زقاق دوشاب^(٤) ، فقسمها بيننا ، فكلنا أخذ ما أعطي ، غير الخزامي ، فأنكرنا ذلك وقلنا : إنما يجزى الخزامي . من الإعطاء وهو عدوه ، فاما الأخذ فهو ضائته وأمنيته ؛ فإنه لو أعطى أفاعي سيستان^(٥) ، وشعابين مصر ، وجرارات الأهواز لأخذها ، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليها ؛ فآلناه عن سبب ذلك ، فتعسر قليلا ثم باح بسرّه وقال : وضيعته أضعاف ربحه ، وأخذته من أسباب الإديار ؛ قلت : أول وضائعه احتمال ثقل السكر ؛ قال :

(١) كذا في البخل . وفي الأصل : « منهم » انظر هذه الحكاية فيه ص ٢٦ . (٢) كذا في البخل . (ص ٢٦) . وفي الأصل : « من » . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط ، وهي مشهورة بالقراريح الكسرية . (٤) كذا في الأصل ، والدوشاب : نبيذ الترم مزب ، قال ابن المعز : لا تخلط الدوشاب في قلع * بصفا ماء طيب السبد

وقال ابن الرومي :

على أحد من الدوشاب * شرية بغضت قناع الشباب

وفي كتاب البخل . أنها زقاق دبس ، والدبس : صل الترم وصارته من غير طبخ . وقال السعدي : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء الغليل للنجاشي) . (٥) جرارات الأهواز : عقاربها الفتالة . (٦) وضيعه : خسارته وغرمه .

- هذا لم يخطر ببالى قط، ولكن أول ذاك كراء الحمال، فإذا صار إلى المنزل صار سببا لطلب العصيدة والارزّة والسندفود، فإن بعته فراراً من هذا البلاء صيرتموني شهرة، وإن أنا حبسته ذهب في المصائد وأشباهاها، وجذب ذلك شراء السمن، ثم جذب السمن غيره، وصار هذا الدوشاب علينا أضر من العيال، وإن أنا جعلته نيداً احتجت إلى كراء القُدور وإلى شراء الحب^(١) وإلى شراء الماء وإلى كراء من يؤقّد تحته، فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبها وغرمتا ثمن الأثنان والصابون، وازدادت في الطعم على قدر الزيادة في العمل، فإن فسدت ذهبت النفقة باطلا ولم تستخلف منها عوضاً بوجه من الوجوه، لأن خلّ الداذى^(٢) يخبض اللحم وينير الطعم ويسود المرقّة ولا يصلح [إلا] للاصطباغ^(٣). وإن سلم - وأعوذ بالله - وجاد وصفا لم نجد بُدّاً من شربه ولم تطب أنفسنا بتركه، فإن قعدت في البيت أشربه لم يمكن ذلك إلا بترك
- ١٠

- (١) كذا في الأصل، وفي البخلا، (ص ٦٧) : « البسترد » ولم نوفق إلى معرفته .
 (٢) الشهرة : ظهور الشيء في شدة . (٣) الحب بالضم : الجرة . (٤) الأثنان : الخنزير الذي تفعل به الأيدي . (٥) كذا في البخلا، وفي الأصل : « ولم يخبض منها بوجه من الوجوه » . (٦) في القاموس وشرحه (مادة « ذوذ » بمهملة فجعلة) : الداذى : شراب القساق وهو الخمر، وهو على صيغة المنسوب وليس بنسب . ثم قال في مادة « ذوذ » بمجنتين : والداذى : ثبت له عقود مستطيل وجهه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل في الفرق (مكيال) فتعقب رائحته ويحرق إسكارة، قال الشاعر :

شربنا من الداذى حتى كأننا * ملوك لنا بر العرافين والبحر

فلما انحلت شمس النهار وأبنا * تولى الفنى عنا وعاودة الفقر

- ثم قال شارح القاموس : « ولذا حكم الخذاق باتخاذ مع الذي قبله ، وكلامه في معنى ولا معروف » .
 واتصرت في السان على « الداذى » بمهملة فجعلة وذكر البيت . (٧) التكلة عن البخلا .
 (٨) كذا في البخلا . وفي الأصل : « للاصطبغ » .

سَلَفَ الْفَارِسِيِّ الْمُعَسَّلِ، وَاللَّبَاجِ الْمُشَمَّنِ، وَجِدَاءِ كَسْرَ وَفَاكِهِةِ الْجَبَلِ وَالنَّقْلِ الْحَشَّ
وَالرَّيْحَانِ الْفَضِّ، عِنْدَ مَنْ لَا يَنْبِضُ مَالُهُ، وَلَا تَقْطِعُ مَادَّتُهُ، وَعِنْدَ مَنْ لَا يُبَالِي عَلَى
أَيِّ قُطْرِيهِ سَقَطَ،^(٢١) مَعَ فَوْتِ الْحَدِيثِ الْمُؤَنَسِ وَالْجَمَاعِ الْحَسَنِ؛ وَعَلَى أَنِّي إِنْ جَلَسْتُ
فِي الْبَيْتِ أَشْرَبَهُ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ الْوَاحِدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ لَحْمٍ بِدَرَاهِمٍ،
وَتَقْلٍ بِطَسُوجٍ،^(٢٢) وَرِيحَانٍ بِقِيْرَاطٍ، وَمِنْ أَزَارٍ لِلْقَدْرِ وَحَطَبٍ لِلْوَقُودِ؛ وَهَذَا كُلُّهُ غُرْمٌ
وَشَوْمٌ وَحِرْمَانٌ وَحِرْفَةٌ وَخُرُوجٌ مِنَ الْعَادَةِ الْحَسَنَةِ. فَإِنْ كَانَ النَّدِيمُ غَيْرَ مُوَافِقٍ فَاهْلُ
السَّجْنِ أَحْسَنُ حَالًا مِنِّي، وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا فَقَدْ نَحَى اللَّهُ عَلَى مَالِي بِهِ بَابًا مِنْ
التَّلَفِّ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَسِيرُ فِي مَالِي كَثِيرٌ فِي مَالِ غَيْرِي تَمَنُّهُ هُوَ فَوْقَ. فَإِذَا عَلِمَ
الصَّدِيقُ أَنَّ عِنْدِي دَاذِيًا أَوْ نَيْدًا دَقَّ عَلَى الْبَابِ دَقَّ الْمَلِكِ، فَإِنْ حَجَّيْنَاهُ قَبْلَهُ،^(٢٣)
وَإِنْ أَدْخَلْنَاهُ فَشَقَاءٌ. وَإِنْ بَدَأَ لِي فِي اسْتِحْسَانِ حَدِيثِ النَّاسِ كَمَا يَسْتَحْسِنُهُ
[مَنْ] آكُونَ عِنْدَهُ، فَقَدْ شَارَكْتُ الْمُسْرِفِينَ، وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الصَّالِحِينَ،^(٢٤)
وَصِرْتُ مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى أَسْمَاءُهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْمُبْتَدِرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾؛ فَإِذَا صِرْتُ كَذَلِكَ فَقَدْ ذَهَبَ كَسْبِي مِنْ مَالِ غَيْرِي،
وَصَارَ غَيْرِي يَكْتَسِبُ مِنِّي؛ وَأَنَا لَوْ أَبْتَلَيْتُ بِأَحَدِهِمْ لَمْ أَقُمْ بِهِ فَكَيْفَ إِذَا أَبْتَلَيْتُ
بِأَنْ أُعْطِيَ وَلَا أَخُذَ، وَبِأَنْ أُؤْكَلَ وَلَا أَشْكَلَ! أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِلْدَانِ بَعْدَ
الْعِصْمَةِ، وَمِنْ الْخَوَرِ بَعْدَ الْكُورِ؛ وَلَوْ كَانَ هَذَا فِي الْحَدَاثَةِ كَانَ أَهْوَنَ. هَذَا^(٢٥)

(١) كسرك: تقدم في تعريفها في صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء، أنها مشهورة بالقراريح الكسرية،
وللها مشهورة أيضا بجدهاها. (٢) القطر: الناحية. (٣) كذا في البغلاء. وفي الأصل: «تقرب». (٤) التوسج: ربع الدنانير. انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ... من ... من
هذا الجزء. (٥) الحرق: الحرمان. (٦) كذا في البغلاء. وفي الأصل: «رأس». (٧) التكلة عن البغلاء. (٨) الخور: القصان. والكور: الزيادة ومنه الحديث: «نحوذ بالله من الخور بعد الكور». (٩) كذا في البغلاء. وفي الأصل: «أحسن».

الشوَّاب ديس من الحُرْفَة، وكَيْد من الشيطان، وخُدعة من الحسود، وهو الحلاوة التي تُعقب المرارة . ما أخوفني أن يكون أبو سليمان قد ملّني فهو يحال لي الخيل ! .

وحكي عن الحارثي أنه قال : الوَحْدَة خير من جليس السوء، وجليس السوء خير من أكل السوء، لأن كل أكل جليس وليس كل جليس أكلًا ؛ فإن كان لا بد من المؤاكلة ولا بد من المشاركة فمع من لا يستأثر على الملعق ، ولا يتهمز بقبيلة ؛ ولا يلتقم كَيْد الدجاج ، ولا يُبادر إلى دماغ السُّلّاة ، ولا يختطف كُليّة الجدّي ، ولا يَدْرِد قانصة الكركي ، ولا يتترع شاة الحَمَل ، ولا يتلع سرّة السمك ، ولا يَرض لعيون الرعوس ، ولا يستولى على صدور الدّراج ، ولا يساق إلى أسقاط الفراخ ، ولا يتناول إلا [ما] بين يديه ، ولا يلاحظ ما بين يدي غيره ، ولا يتمجن الإخوان بالأمور الثمينة ، ولا ينتهك أستاذ الناس بأن يشتهي ما عسى ألا يكون موجودا ؛ فكيف تصلح الدنيا وطيب العيش بمن إذا رأى جُزورية التقط الأكلاد والأسمعة ، وإذا عاين بقرية آستولى على العراق والقِطنة ، وإن عاين بطن

(١) كذا في البخلاء ، وقد أوردنا المحي في كتابه « ما يقول عليه في المضاف والمضاف إليه »

فقال : « بيضة البقيلة تذكر في عيون الأطلعة ولا تستحسن المبادرة إليها » . وفي الأصل : « البيضة

القليلة » . (٢) السلامة : واحدة السلام وهو ضرب من الطير أشهر طويل الزنجرين .

(٣) الكركي : طائر يقرب من الإوز أبيض الذنب رمادي اللون في خده لمعات سود بأورى إلى الماء

أحيانا . (٤) الشاة : الخانصة . (٥) الدراج كرم : طائر جميل المنظر ملون

الريش ، يطلق على الذكر والأنثى . (٦) التكلة عن البخلاء . (٧) كذا في البخلاء ،

ويظهر أنها ضرب من الطعام ينسب إلى الجزور وهو واحد الإبل يقع على الذكر والأنثى . وفي الأصل :

« جزرية » والجزرة : الشاة السبية أو ما يذبح من الشاة ، وذكر الأسمعة في الكلام بأبائها .

(٨) العراق : ما دون السرة من الحشا معرّضا بالطن . (٩) القطنة : مثل الرمانة تكون على

الكرش وهي ذات الأطاق ، والعامة تسميها الرمانة .

سمكة أحترق كل شيء فيه، وإن أتوا يجنب شواء آكتسح ما عليه، ولا يرحم ذا سن^١
 لضعفه، ولا يرق على حديث لحنة شهوته، ولا ينظر للعيال؛ ولا يتألى كيف دارت
 الحال . وأشد من كل ما وصفنا أن الطباخ ربما أتى باللون الطريف الطريف ،
 والعادة في مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخص صغير الحجم ، فيقدمه حاراً
 ممتنعاً . وربما كان من جوهير بطن^(٢) الفتور، وأصحابنا في سهولة أزدراء الحار عليهم
 في طبائع النعام، وأنا في شدة الحار [على^(٣)] في طبائع السباع ، فإن نظرت^(٤) الى أن
 يمكن أتوا على آخره . وإن أنا بادرت مخافة الفتور وأردت أن أشاركهم في بعضه
 لم آمن ضرره، والحار ربما قتل وربما أعقم وربما أبال الدم . قال : وعوتب على
 تركه إطعام الناس معه وهو يتخذ فيكثر، فقال : أتم لهذا أترك مني، فإن زعمت أنني
 أكثر مالا وأعد عدة، فليس بين حالي وحالك من التفاوت أن أطعم أبداً وتأكلوا
 أبداً ، فإذا أتيت من أموالكم من البذل على قدر احتمالكم ، علمت أنكم الخير أردتم،
 والى تربيتي ذهبت، وإلا فإنكم إنما تحلبون حلباً لكم شطره .
 قال : كان أبو ثمامة أفطرناساً وفتح باب^(٥)ه فكر عليه الناس ، فقال : إن الله
 لا يستحي من الحق، وكلكم واجب الحق ، ولو استطعنا أن نعمكم بالبر كنتم فيه
 سواء ولم يكن بعضكم أولى به من بعض ؛ كذلك أتم إذا عجزنا أو بدا لنا ، فليس
 بعضكم أحق بالحرمان والاعتذار اليه من بعض ، ومتى قربت بعضكم وفتحت بابي
 لم وباعلت الآخرين، لم يكن في إدخال البعض عذراً ، ولا في منع الآخرين حجة ؛
 فأنصرفوا ولم يعودوا .

(١) كذا في البغلا . وفي الأصل : «متنا» وهو تحريف . (٢) كذا في البغلا . وفي الأصل :
 «في» . (٣) التكلة من البغلا . (٤) نظرت : انتظرت . (٥) كذا في البغلا .
 وفي الأصل : «أشاركه» . (٦) كذا في الأصل ، وفي البغلا : « والى تربيتي » .
 (٧) في كتاب البغلا . (ص ٢١٥) : «نممة» . (٨) في الأصل : «ويفتح» .

قال : وكان محمد بن أبي المؤمل يقول : قاتل الله رجلاً نَحَا نَوَا كُلَّهُمْ ، ما رأيتُ قَصْعَةً رُفِعَتْ مِنْ يَدَيْهِمْ إِلَّا وَفِيهَا فَضْلٌ ، وكانوا يعلمون أن إحصارَ الجَدَى إنما هو شيءٌ من آيِنِ الموائد الرِّفِعة ، وإنما جعل كالقافية ^(٢) وكالخالمة ^(٣) والعلامة لليسر والفراغ ، ولم يُحْضَر للتفريق والتخريب ، وأن أهله لو أرادوا به سوءاً لَقَدَّمُوهُ لتقع الحِلَّةُ به ؛ ولذلك قال أبو الحارث جَمِيزٌ حين رآه لا يَمَسُّ : هذا المدفوعُ عنه .

ولقد كانوا يَتَحَمَّوْنَ بيضةَ البقيلة ، ويدْعُها كُلُّ واحدٍ لصاحبه ، وأنتَ اليوم إذا أردت أن تُتَمَتَّعَ عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السَّلَاةِ ^(٤) لم تَقْدِرْ على ذلك .

وكان يقول : الآدام أعداءُ الخبز ، وأعداها له المساح ؛ فلولاً أن الله أعان عليها بالماء وطلب آكله له لَأَتَى على الحَرْثِ والنَّسلِ .

وكان يقول : ما بال الرجل إذا قال : أَسْقِنِي ماءً أَنَاهُ بَقْلَةً على قدر الرِّى أو أصغر ، وإذا قال : أَطْعِمْنِي شيئاً أو هات لفلان طعاماً ، أَنَاهُ من الخبز بما يَفْضُلُ عن

(١) كذا في البخل ، والآيِن : العادة ، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة ، أعجمى عربيه المولدون ، قال مهيأ في قصيدة له :

يجمع الخبز حولاً أمره * وهو لم يأخذ لها آيِنها

(راجع شفاء الغليل) وفي الأصل : « أنس الموائد » . (٢) في البخل : « كالعاقبة » . (٣) كذا في البخل . وفي الأصل : « كالعلامة للبشر » وهو تحريف . (٤) في الأصل والبخل : « جَمِيز » بالنون في آخره . وورد في القاموس وشرحه في مادة (ج م ن) : « أبو الحارث جَمِيزٌ كَقَيْطِ المَدِينِ ، هكذا ضبطه المحدثون بالنون ، وهو صاحب النوادر والمزاج : والصواب بالزاي المعجمة في آخره ، أنشد أبو بكر بن منقسم :

إن أبا الحارث جَمِيزاً * قد أوفى الحكمة والميزا

وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) في حرف الزاي ونها عليه هناك « اد . ولذا رجحنا ذكره بالزاي المعجمة في جميع المواضع التي ورد فيها . (٥) تقدّم تفسيرها قريباً . (٦) كذا في البخل ، وفي الأصل : « وكان يقال » .

الجماعة، والطعامُ والشرابُ أخوان . أما إنه لولا رخص الماء وغلاء الخبز لما
كَلَبُوا على الخبز وزَهِدُوا في الماء؛ والناسُ أشدُّ شيءَ تعظيماً^(١) لا كَوَلٍ إذا كَثُرَ ثَمَنُهُ
وكان قليلاً في مَنَبَتِهِ وعُنصره . هذا الجزر الصافي والباقياء^(٢) الأخضر أطيّب من كَثُرَى
نَراسانَ والموز البُستاني، وهذا الباذِنجان أطيّب من الكَنَازة . ولكنهم لِقَصْرِ هِمَمِهِمْ
وأذهانهم في التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرب الناسُ الماءَ على طعامهم لما أَتَمَّحُوا . وذلك أن الرجل
لا يَعْرِفُ مِقْدَارَ ما أَكَلَ حتى يَسْأَلَ من الماء شيئاً ، لأنه ربما كان شبعان وهو
لا يَدْرِي . وفي قول الناس : ماء دِجْلَة أَمْرَأ من ماء الفُرات ، وماء مِهْران أَمْرَأ من
ماء [نهر] بَلَخ^(٣) ؛ وفي قول العرب : هذا ماء مُعَيَّرٌ يَصْلُحُ عليه [المال] دليلٌ على أن
الماء يُؤْمَرُ؛ حتى قالوا : إن الماء الذي يكون عليه التَّحَاطَاتُ أَمْرَأ من الماء
الذي تكون عليه القِيَارَاتُ . فليكنم بشرب الماء على الغداء [فإن ذلك أَمْرَأ]^(٤) .

قال وكان الثَّورَى يقول لعياله : لا تُلقُوا نوى التمر والرُّطْبَ وتَعَوَّدُوا ابتلاعه ،
فإن النوى يَعْقِدُ الشَّحْمَ في البطن ، وَيُدْفِقُ الكُلَيْتَيْنِ بِذلك الشَّحْمِ ؛ واعتبروا ذلك
بيطون الصَّفايا وجميع ما يَتَلَفُ النَّوى . والله لو حملتم أنفسكم على قَضَمِ الشَّعِيرِ
وَأَعْتَلَفِ القَتِّ لوجدتموها سريعة القَبُولِ ، وقد يأكل الناسُ القَتَّ قَدَحاً ،^(٥)

(١) الباقياء (بالتخفيف اللام ممدوداً وتشديدها مقصوراً) : القول الواحدة بهاء أو الواحد
والجمع سواء . (٢) مهران : نهر عظيم بقدر دجلة تجري فيه السفن . (٣) التكة عن البخلاء
(ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيحون . (٤) كذا بالأمل وكتب البخلاء . (٥) الزيادة
عن كتاب البخلاء . (٦) الصفايا : جمع صفي ، والصفي : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة .
(٧) القت : حب برى يأكله أهل البصرة عام القحط بعد دقه ومبجته . (٨) قداحا : رطباً قبل
أن يجفف .

وَالشَّعِيرَ قَرِيكًا، وَنَوِي الْبُسْرَ الْأَخْضَرَ، وَنَوِي الْعَجْوَةَ ؛ وَإِنَّمَا بَقِيَتْ عَلَيْكُمْ الْآنَ عَقَبَةٌ ؛ أَنَا أَقْدِرُ أَنْ أَبْتَلَعَ النَّوِي وَأُعْلِفَهُ الشَّاءَ، وَلَكِنِّي أَقُولُ هَذَا بِالنَّظَرِ لَكُمْ .

وَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ : كُلُوا الْبَاقِلَاءَ بِقَشُورِهِ ، فَإِنَّ الْبَاقِلَاءَ يَقُولُ : مِنْ أَكَلَنِي بِقَشُورِي فَقَدْ أَكَلَنِي ، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْنِي بِقَشُورِي فَأَنَا أَكَلُهُ ؛ فَاجْتَنِبُوا [إِلَى] أَنْ تُصَيِّرُوا طَعَامًا لَطْعَامِكُمْ ، وَأَكَلًا لِمَا جُعِلَ أَكَلًا لَكُمْ .

قَالَ : وَحُمُّهُ هُوَ وَعِيَانُهُ فَمَنْ يَفْدِرُوا عَلَى أَكْلِ الْخَبْرِ، فَرِيحُ أَقْوَانِهِمْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ؛ فَفَرِيحٌ وَقَالَ : لَوْ كَانَ فِي مِثْلِي سَوْقُ الْأَهْوَازِ وَطَاقَةُ خَيْبَرِ رَجُوتُ أَنْ أُسْتَفْضَلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ دِينَارٍ .

قَالَ : وَدَعَا مُوسَى بْنُ جَنَاحٍ جَمَاعَةً مِنْ حِيرَانِهِ لِيَفْطُرُوا عِنْدَهُ [فِي شَهْرِ رَمَضَانَ] ،^(١)
فَلَمَّا وَضَعَتْ الْمَائِدَةَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : لَا تَعَجَلُوا ، فَإِنَّ الْعَجَلَةَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ .
ثُمَّ وَقَفَ وَقَفَةً ثُمَّ قَالَ : وَكَيْفَ لَا تَعَجَلُونَ وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ .
اسْمَعُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ ، فَإِنَّ فِيهِ حَسَنَ الْمُوَاكَلَةِ وَالتَّبَعْدِ مِنَ الْأَثَرِ ، وَالْعَاقِبَةَ الرَّشِيدَةِ ،
وَالسَّيْرَةَ الْمَحْمُودَةَ : إِذَا مَدَّ أَحَدُكُمْ يَدَهُ لِيَسْتَقِيَ مَاءً فَأَمْسَكُوا أَيْدِيَكُمْ حَتَّى يَفْرُغَ ،
فَإِنَّكُمْ تَجْمَعُونَ عَلَيْهِ خِصَالًا : مِنْهَا أَنْتُمْ تَنْفَعُونَ عَلَيْهِ فِي شَرْبِهِ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ
الْمُخَاقَ بِكُمْ فَلَعَلَّهُ يَتَسَرَّعُ إِلَى لُقْمَةٍ حَارَّةٍ فَيَمُوتُ ، وَأَدْنَى ذَلِكَ أَنْ تَبْعَثُوهُ عَلَى الْحِرْصِ

(١) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنْ أَقْدِرَ أَنْ أَبْتَلَعَ النَّوِي » . (٢) كَذَا فِي الْبُخْلَاءِ .
وَيُرِيدُ بِسَوْقِ الْأَهْوَازِ : كَوْرَهَا وَهِيَ كَثِيرَةُ الْحَمَى وَرَجْوُهُ أَهْلُهَا مَصْفَرَّةٌ مِنْبَرَةٌ . وَطَاقَةُ خَيْبَرٍ : قَصَبُهَا
وَهِيَ مَشْهُورَةٌ بِالْحَمَى أَيْضًا . قَدَّمَ أَعْرَابِيٌّ خَيْبَرَ فَقَالَ :

قُلْتُ لِحَمَى خَيْبَرَ اسْتَمْدَى * هَاكَ عِبَالِي فَاجْهَدِي وَجَدِي

وَبِأَكْرَى بِصَالِبٍ رَوَّرِدَ * أَهْلُكَ أَتَقَى عَلَى ذَا الْجَنَدِ

لَحْمٌ وَمَاتَ وَبَيْنَ عِبَالِهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « مِثْلَةُ خَيْبَرَ » . (٣) التَّكَلُّفُ عَنْ كِتَابِ الْبُخْلَاءِ .

وعلى عِظَم اللَّقْمِ . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم ؟ قال : لأنَّ
اللَّحْمَ طَاعَنٌ وَالتَّرِيدُ مَقِيمٌ . وأنا وإن كان الطعام طعاعى فإنى كذلك أفعل ؛ فإذا رأيتم
فعلى يخالف قولى فلا طاعة لى عليكم . قال بعضهم : فربما نسي بعضنا فدى يده
وصاحبه يشرب ، فيقول له : يدك يا ناسى . ولولا شيء لقلت لك : يا متغافل .
قال : فأتانا بأرزٍ لو شاء أحدنا أن يعدَّ حياتها لعدّها ، لتفرقها وقيلها ، وهى مقدار
نصف سُكَّرَجَةٍ ؛ فوقعْتُ فى فمى قطعةً ، وكنتُ الى جنبه ، فسمع صوتا حين
مَضغُهَا ، فقال : أَجْرُشْ يا أبا كعب .

قال : وكنا نسمع بالكثير الراضع ، وهو الذى يرضع الحَلَبُ فلا يحلبه فى الإثناء
لثلاثٍ يُسمع صوتُ الحَلَبِ - وقال بعضهم : لثلاثٍ يَضِغُ من اللبن شيءٌ - ثم رأيتُ
أبا سعيد المدائنى قد صنع أعظمَ من ذلك : ارتضع من دَنٍّ خلًّا حتى قَبِي ولم يخرج
منه شيءٌ .

قال : وكان الكِنْدِيُّ لا يزال يقول للساكن من سُكَّاننا - [وربما قال]
للجار - إن فى دارى امرأةً بها حَبْلٌ ، والوَخْمَى ربما أسقطتُ من ريحِ القِدرِ الطَّيِّبَةِ ،
فإذا طَبَخْتُمْ فَرُدُّوا شَهْوَتَهَا بِقُرْفَةٍ أو بِلَعْقَةٍ فإنَّ النَّفْسَ يَرُدُّهَا اليَسِيرُ ، وإن لم تفعل
ذلك وأسقطتُ فعليك عُقْرَةٌ : عبدٌ أو أَمَةٌ .

(١) فى الأصل : «حبَّ» بالإنفراد . (٢) السكجة : النصفه .

(٣) فى الأصل : «وكذا نسمع» . (٤) الحلب (بالتحريك) : اللبن . (٥) التكلة عن
كتاب الجلاء للجاحظ (ص ٨٢ ضيع أوربا) . (٦) القرة : البيض الذى يكون فى وجه الفرس ،
والمراد بالقرة هنا العبد الأبيض أو الأمة البيضاء . وسمى قرة لياضه ، فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية
سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . وربما القرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العيد والإمام .

وقال بعضهم : نزلنا داراً بالكراء للكندي على شروط ، فكان في شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة ، وبعر الشاة ، ونشوار^(١) العلوفة ، وألا يخرجوا عظما ولا يخرجوا نخاسة ، وأن يكون له نوى التمر ، وقشور الرمان ، والقرفة من كل قدر تطبخ للحيل في بيته ، وكان في ذلك يتنزل^(٢) عليهم ، فكانوا لطيبه وإفراط بخله يحتملون ذلك .

وقال دُعيل : أفنا يوما عند سهل بن هارون ، فاطلنا الحديث حتى أضطروه الجوع إلى أن دعا بقلاده ، فأني بصحفة عذمية فيها مرق لحم ديك عاين^(٣) حريم ليس قبلها ولا بعدها غيرها . لا تخز فيه السكين ، ولا تؤثر فيه الأضراس ، فأطلع في القصعة وقلب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبز يابس فقلب بها جميع ما في الصحفة ففقد الرأس . فبقي مطرقاً ساعة ، ثم رفع رأسه إلى الغلام وقال : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، قال : ولم ؟ قال : ما ظننت أنك تأكله [ولا تسأل عنه] ! قال : ولائى شيء ظننت ذلك ؟ فوالله إني لأمقت من يرى برجله فكيف من يرى برأسه ! والرأس رئيس ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصبح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه عُرْفه الذى يتبرك به ، وفيه عينه التى يضرب بها المثل فيقال : « شراب كعين الديك » ، وديماغه عجب لوجع الكلى ، ولن ترى عظما قط أحش من عظم رأسه ؛ فإن كان من نبل أنك لا تأكله فإن عندنا من يأكله . أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق ! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدرى أين هو ، رميت به ؛ قال : لكنى أدرى أنك رميت به فى بطنك ، والله حسبك .

(١) انشوار : ما يتبقى من علف الدابة . (٢) يتنزل عليهم : يزل عليهم ويصرفهم .

(٣) عذمية : قديمة . (٤) العاين : الذى آمن حتى جف وصلب .

(٥) لا تخز : لا تقطع . وفى الأصل : « لا تخجر » . (٦) الزيادة عن نسخة الفريد (ج ٢ ص ٣٢٤)

(٧) تقول العرب فى أمثاله : « أصنى من عين الديك » .

وحكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقَات الكوفة ، فإذا رجل يُحَاصِم جَاراً له ، فقلت : ما بالكما تختصمان ؟ فقال [أحدهما ^(١)] : لا والله إلا أن صديقاً لى زارنى فأشتهى على رأسا ، فاشتريته وتقدّينا به وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها عند جيراني ، بخاء هذا فأخذها وتركها على باب داره يؤهم أنه اشتراه .

قال : وتناول رجل من بين يدي أمير من الأمراء بيضة وهو معه ، فقال : ^(٢) خذها فإنها بيضة العقر ، ولم يأذن له بعد ذلك . ^(٣)

قال : وقُدِّمت مائدة لرجل عليها أرغفة على عدد الرؤوس ورغيف زائد يوضع على الصّحاف ، فلما أنفد القوم خبرهم التفت إلى رجل إلى جانبه فقال : اكسِرْ هذا الرغيف وفرقه بينهم ، فتعافل ، فأعاد عليه . فقال : يتلى على يد غيرى .

قال المدائني : كان للغيرة بن عبد الله الثَّقَفِيّ وهو على الكوفة جَدْيٌ يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسّه هو ولا غيره ، فقديم أعرابي يوماً فأكل لحمه وتعرّق عظامه ؛ فقال ، يا هذا ، أتطالب هذا البائس بدخّل ؟ ! هل نطحتك أمه ! قال : وأبيك إنك لشقيق عليه ! هل أرضعتك أمه ! .

قال المدائني : كان لزياد بن عبد الله الحارثي جدى لا يمسّه [أحد] ، فعشّى ^(٧) في شهر رمضان قوماً فيهم أشعب ، فعرض أشعب يوماً للجدي من بين القوم ، ^(٨)

- (١) اتكلمة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) . (٢) بطامت هذه العبارة في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) ضمن الحكاية التي سيرها المدائني بسند عن المنيرة بن عبد الله الثَّقَفِيّ والأعرابي الذي قدم عليه . (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود ، يضرب مثلاً لمن يصنع الصنعة ثم لا يماردها . راجع التسان مادة «بيض» . (٤) تعرق اللحم : أخذ ما عليه من لحم . (٥) الدحل : النار . (٦) في الأصل : « إنه لشقيق » . (٧) في الأصل : « قال » وكتب في هامش الأصل الفتوغرافي : « لعله كان » وهو الصواب . (٨) الزيادة عن كتاب البخل (ص ١٦٢ طبع أوروبا) .

فقال زياد حين رُفِعَت المائدة : أَمَا لِأَهْلِ السَّجْنِ إِمَامٌ يَصَلِّي بِهِمْ ؟ قَالُوا : لَا ؛
قال : فَلْيُصَلِّ بِهِمْ أَشْعَبُ ؟ قال أَشْعَبُ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قال : وَمَا هُوَ ؟
قال : لَا أَكُلُ لَحْمَ جَدِي أَبَدًا .

قال : وَكَانَ الْمَغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . ثُمَّ تَفَتَّى يَا كُلِّ وَأَصْحَابَهُ تَمْرًا فَأَنْطَفَأَ السَّرَاجُ ،
وَكَانُوا يُقَوِّنُونَ النَّوَى فِي طَسْتٍ ، فَسَمِعَ صَوْتَ نَوَاتِينٍ ؛ فَقَالَ : مَنْ ذَا يَلْعَبُ .
بِالْكَبْتَيْنِ^(١) ؟

قال الأعشى^(٢) :

تَيْتُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَّةً بَطُونَكُمْ * وَجَارَاتُكُمْ سُنْبُ بَيْتَيْنِ نَحْمَانِصَا

وقال آخر^(٣) :

١٠ وَضِيفَ عَمْرٍو وَعَمْرُو سَاهِرَانِ مَعَا * فَذَاكَ مِنْ كِطَّةٍ وَالضَّيْفِ مِنْ جَوْعٍ

وقال آخر :

وَجِيرَةٌ لَا تَرَى فِي النَّاسِ مِثْلَهُمْ * إِذَا يَكُونُ لَهُمْ عَيْدٌ وَإِفْطَارُ
إِنْ يُوقِدُوا يَوْسَعُونَا مِنْ دُخَانِهِمْ * وَلَيْسَ يَبْلُغُنَا مَا تَتَضَجُّعُ النَّارُ

وقال سَمَاعَةُ بْنُ أَشْوَلٍ :

١٥ نَزَلْنَا بِسَهْمٍ وَالسَّهَاءُ تَلْفُنَا * لَحَى اللَّهُ سَهْمًا مَا أَدَقَّ وَالْأَمَّا
فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّهُ عَاتِمُ الْقِرَى^(٤) * بِخَيْلٍ ذَكْرُنَا لَيْلَةَ الْهَضْبِ كَرَدَمًا

(١) الكعبة والكعب : الضم الذي تلعب به الصبيان .

(٢) هروميون بن قيس : قال هذا الشعر يجر قطعة بن هلافة .

(٣) هو بشارك في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبة أول) ، ورواية البيت فيه :

٢٠ وَضِيفَ عَمْرٍو وَعَمْرُو سَاهِرَانِ مَعَا * عَمْرُو لِبَطْنِهِ وَالضَّيْفِ لِبُجُوعِ

(٤) في الأصل : « لير » . (٥) عاتم القرى : بطنه .

فَقُنَّا وَحَمَلْنَا عَلَى الْإَيْنِ وَالْوَجَى * جَلَّالًا بِأَوْصَالِ الرُّدْفَيْنِ مِرْجَمًا^(٢)
 يَلْقَى نَحْرًا طِيمَ الْقِنَارِ كَأَنَّمَا * يَدْقُ بَصَوَانِ الْجَلَامِيدِ حَتْمًا^(٤)
 بَقَيْنَا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عَيُونِنَا * قَتَى مِنْ عَيُونِ الْمُفْرِقَيْنِ مَسَلَمًا^(٥)
 تَسَاخُ إِلَيْهِ هَجْمَةٌ وَاتِّصَكِي * رَعَتْ بِالْجَوَاءِ الْبَقْلَ حَوْلًا جُورًا^(٦)
 كَأَنَّ بِأَحْصِيهَا إِذَا مَا تَعَمَّتْ * مَزَادًا سَقَا فِيهِ الْمَزُودَ مَعْصَا^(٧)
 فَبَاتَ رَفِيقِي بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ * بِمَنْزِلَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُكْرَمًا^(٨)
 وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَدْفَعْ الْعَيْسَ زَمْنًا * رَأَى بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِ أَنْسَاءِهَا^(٩) دَمَا
 وَقَالَ حَمِيدُ الْأَرْقُطِ :

وَمُسْتَنَجٍ بَعْدَ الْمَدْوَى وَقَدْ جَرَتْ * لَهُ حَرْجَفٌ نَكَبًا وَاللَّيْلُ عَاتِمٌ^(١٠)
 رَفَعْتُ لَهُ مَخْلُوطَةً فَاهْتَدَى بِهَا * يَشَبُّهَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَا حِمٌ^(١١)
 فَاطْعَمْتُهُ حَتَّى غَدَا وَكَأَنَّمَا * تَنَازَعَهُ فِي أَخْدَعِيهِ الْمَحَاجِمُ^(١٢)

(١) اجلال : اجلل الضخم . (٢) المريج : المضطرب المدور ، وفي الأصل : «مرحما» .

(٣) في الأصل : «يدق» . (٤) الحتم : الخلف بأنواعه ؛ قال سالم بن دارة :

وقد أوتلت في السير حتى كأنما * يكسر قبض يميني ويختم

والقبض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب في الأصل الفتوح في أمام كلمة الحتم : «الحصيد» ولعله من

معاني الكلمة . (٥) في الأصل : «المفرقين» ، ولعله : «من عيوب المفرقين سلبا» ، ويريد مدحه

بأنه سالم من عيوب المفرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبه من أثم . (٦) الهجمة من

الايمل : أولها الأريسون الى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها «وائلة» .

(٨) الجواء : الواسع من الأودية ، وربما أريد به موضع بيته . (٩) في الأصل : «القل» .

(١٠) مجرما : تاما ، وفي الأصل : «محزما» . (١١) أحن : جمع حق وهو الخصر .

(١٢) المزاد : جمع مزادة وهي الرارية والقرية التي يستق فيها . (١٣) معصا : شددوا بالعصا

وهو رباط القرية . (١٤) أنساء : جمع نساء وهو عرق من الورك الى التكعب . وفي الأصل :

«أنسائها» . (١٥) في الأصل : «ومستنج» . (١٦) كذا بالأصل ولعلها «مخيوطة»

وهي الشجرة التي قبض عنها ورقها . (١٧) في الأصل : «تاه» .

(١) (٢)
كَرْمَهُانَ يَفْطُو الْمَشَى لَوْ جُعِلَتْ لَهُ * رَعَايَا الْجَمَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَهُوَ قَائِمٌ
حَرِيصٌ عَلَى التَّسْلِيمِ لَوْ يَسْتَطِيعُهُ * فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِمَا فَعَدَا وَهُوَ عَائِمٌ^(٣)
وَقَالَ الْأَعْمَى :^(٤)

إِذَا حَلَّتْ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو * عَلَى الْأَطْوَاءِ خَنَقَتِ الْكَلَابَا

وَقَالَ آخَرُ :^(٥)

أَيَّابَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنَةَ مَالِكٍ * وَيَابَنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا عَمِلْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ * أَكِيلاً فَإِنِّي غَيْرُ آكِلِهِ وَحَدِي^(٦)
بَيْدًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيبًا فَإِنِّي * أَخَافُ مَمَنَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي^(٧)
وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَادًا وَجَارُهُ * خَفِيفُ الْمَيِّ بَادِي الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ
وَلَقَمْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ * يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ
وَقَالَ مُرَّةُ بْنُ مَحْمَدٍ السَّعْدِيُّ :

فَقُلْتُ لِمَا غَدَوْتُ أُوصِي قَمِيلَتَا * غَدَى بِنَيْكِ فَلَنْ تَلْفِيهِمْ حَقًّا^(٨)
أُدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أَقْرِفْ بِأَمَّهُمْ * وَقَدْ هَجَعْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لِمَنْ نَسَبًا

(١) الزمهان : الحران . (٢) فطأ الدابة يخطوها : ساقها سوطاً شديداً .

(٣) كذا بالأصل ، ولعلها « صرتم » كما يقتضيه السياق . (٤) هو أممي بن تغلب كما في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هوحاتم الطائي يخاطب امرأته ماوية بنت عبد الله ، وعنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن هذيلة . (٦) رواية أشعار الحماسة : إذا ما صنعت ... * ... فاني لست ... (٧) روى هذا الشطر في أشعار الحماسة :
أخا طارفا أوجاريت قننى

(٨) رواية الشعر والشعراء : (ص ٤٣٢) : « قلن تلقينهم » .

وقال حماد بن عمار :

زرتُ أمراً في بيته مرة * له حياءٌ وله خيرٌ
يكره أن يُنجمَ إخوانه * إن أذى التُّخمة محذور
ويستهي أن يُؤجروا عنده * بالصوم والصائم مأجور

وقال بعض المحدثين :

أبونوح نزلت عليه يوماً * فعداني برائحة الطعام
(١) وجاء بلحيم لا شيء سمين * فقدمه على طبق الكلام
فلما أن رقت يدي سقاني * مداً ما بعد ذاك بلا مدام
فكان كمن سقى الظمان آلاً * وكنت كمن تغدى في المنام

وقال عروة بن الورد :

إني أمرؤ عافٍ إنائي شريك * وأنت أمرؤ عافٍ إنائك واحد
أتهزأ مني أن سميت وأن ترى * بجسمي مس الحق والحق جاهد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة * وأحس قراح الماء والماء بارد

(١) رواية القند الفريد (ج ٣ ص ٣٢٨) :

وقدم بيننا لحماً سمياً * قدمه على طبق الكلام

فلما أن رقت يدي سقاني * كؤوساً حشوها ريح المدام

(٢) في أشعار الحامسة (ص ٧٢٣ طبع أوربا) : «بوجهي شوب الحق» .

باب القسور والجفاف

ذكر الفرزدق عقبة بن جبار المنقري وقدره فقال :

لو أن قدرًا بكت من طول محبها * على الحفوف بكت قدر ابن جبار^(١)
ما مسمها تسم مسد فُص معنُها * ولا رأت بعد نار القين من نار

وقال :

كأن تطلع الترغيب فيها * عذار يطلعن إلى عذار^(٢)^(٣)

وقال الكمي :

كأن النظام من غلبها * أراجيز أسلم تهجو غفارا^(٤)

وقال آخر :

وقدر بكوف الليل أحشت غلبها * ترى الفيل فيها طائفا لم يفصل^(٥) ١٠

وقال ابن الزبير يمدح أمماء بن خارجة :

ترى البارز البختي فوق خوانه * مقطعة أعضائه ومفاصله^(٦)

(١) كذا في ديوانه المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٢٩) . والحفوف :

قلة اللحم . وفي الأصل : « الجفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمعاء مجيم بن عامر أحد بني عمرو ، ومطلعها :

سألنا عن أبي السمعاء حتى * أينما خير مطروق لشاري

(٣) كذا في ديوانه المخطوط المخطوط بدار الكتب . والترغيب : السام المقطع شطاب مستطبة .

وفي الأصل : « الترغيب » بالنون المعجمة وهو تحريف . (٤) النظام (بضم النون المعجمة) : صوت

الفلان . ويقال : تنظمط القدر إذا اشتد غلبتها . وأسلم وغفار : ليلتان كانت بينهما مهاجاة .

(٥) هو ميسرة أبو الدرداء ، كما في كتاب البخل . لاحظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) . (٦) كذا ٢٠

في كتاب البخل . وفي الأصل : « ابشت » وهو تحريف . وأحش القدر : أشج وفودها .

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدي كما في الأغانى (ج ١٣ ص ٣٥ ، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرقاشي :

لنا من عطاء الله دَهْمَاءٌ جَوْنُهُ ^(١) * تناولُ بعد الأقرين الأَقاصِيَا ^(٢)
 جعلتُ أَلَالًا وَالرَّجَامَ ^(٣) وَطِخْفَةً * لما فاستقلتُ فوقهنَّ الأَثافِيَا
 مژْدِيَّةٌ عِنا حَتُّوقٌ مُحَمَّدٍ * إذا ما أتاَنَا يابِسُ الجَنِبِ طَاوِيَا ^(٤)
 أتى ابنُ بَسِيرٍ كى يُنَفِّسَ كَرْبَهُ * إذا لم يَرْحُ وافي مع الصبحِ غادِيَا ^(٥)
 فأجابه ابنُ بَسِيرٍ : ^(٦)

وَرَمَاءٌ ثَلَمَاءُ النِّوَاحِ وَلَا يَرَى * بها أَحَدٌ عِيَا سِوَى ذاكِ بادِيَا ^(٧)
 إذا أَقْصَصَ منها بَعْضُها لم يَجِدْ لها * رَعُوبًا لما قد كان منها مُدَانِيَا ^(٨)
 وإن حاولوا أن يَشْعَبوها فإنها * على الشَّعْبِ لا تَرْدَادُ إلا تَدَاعِيَا ^(٩)
 مَعْوَذَةُ الإِرْجَالِ لم توفِ مَرْقَبًا * ولم تَمْتَصِطِ الجُؤنُ الثَّلَاثُ الأَثافِيَا ^(١٠) ^(١١)

- (١) الدهماء : القدر . وجوة : سوداء . (٢) في الأصل « ينول » بالياء المثناة .
 (٣) ألال (وزان حمام ويرى بكسر هـ) : اسم جبل يعرفات . والرجام : جبل ضويل أحر نزل به
 جيش أبي بكر رضي الله عنه يريدون عمات أيام ازدة . وطخفة (بكسر الفاء وبفتح) : جبل .
 (٤) في كتاب البلاء لملاحظ (ص ٢٥٠) : « بانس الحال » . (٥) كذا في كتاب البلاء ،
 وقد ورد هذا البيت في الأصل بحرف هكذا :

أنا ابن بَسِيرٍ أن تنفس كربة * إذا لم يرح وافي مع الصبح غادِيَا

- (٦) كذا في كتاب البلاء وهو محمد بن بسير البصريّ كما في الكامل للبدي (ص ٢٣٢ : ٢٣٣ طبع
 أوربا) وطبقات الشعراء للزلف (ص ٥٦٠ طبع أوربا) ، وفي الأصل : « ابن بَسِير » .
 (٧) كذا في كتاب البلاء . وفي الأصل : « سلما » وهو تحريف . والرماء : من كبرت نبتها ، شبه
 بها القدر التي تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال . والثلثاء : المكسورة النواحي . (٨) اقصاص :
 انشق . (٩) في الأصل : « وانها » بالواو . (١٠) معوذة : منوعة ، والإرجال : مصدر
 أرجله إذا جملة عشي ، ولعله يريد أن هذه القدر لا تنقل لضخامتها . وفي كتاب البلاء : « معوذة
 الأرحال » . (١١) في الأصل : « ولم يمتص » .

ولا أَجْتَرَعْتُ من نحو مكة شُقَّة * إلينا ولا جازت بها العيسُ وادياً
ولكنها في أصلها مَوْصِلِيَّةٌ * مجاورةٌ فيضاً من البحر جارياً
أَتَنَّا تُزْجِيهَا المجاذيفُ نحونا * وتُعَقِّبُ فيما بين ذلك المَرَادِيَا^(٤)
يقول لِمَنْ هَذِي القُدُورُ التي أرى * تَهْبِلُ عليها الرِّيحُ تَرّاً وسافياً
فقالوا ولن يَخْفَى على كل ناظرٍ * قُدُورُ رَقَاشٍ إن تَأَمَّلْ دَانِيَا^(٥)
فقلت متى باللحم عهدُ قُدُورِكُمْ * فقالوا إذا ما لم يَكُنَّ عَوَارِيَا
من أَصْحَى إلى أَصْحَى وإلا فإنها * تَكُونُ بَنَسَجِ العنكبوت كماها
فلما أَسْتَبَانَ الجَهْدُ لِي في وجوههم * وشكواهم أَدخَلْتُهُمْ في عِيَالِيَا
يُنَادِي بَعْضُ بَعْضٍ عِنْدَ طَلْعِي * أَلَا أُنْشِرُوا هَذَا السَّيْرَى جَانِيَا

وقال أبو نُوَّاس :

ودَهَاءُ تُنْفِيهَا رَقَاشٌ إذا شَتَّتْ * مُرَكَّبَةُ الأَذَانِ أُمُّ عِيَالٍ^(٦)
بَغْضٍ بِحَيْرُومِ البَعُوضَةِ صَدْرُهَا * وَتُزَلِّهَا عَفْوًا بِغَيْرِ جَعَالٍ^(٧)

(١) اجتَرَعْتُ : قطعت . وفي الأصل : « اجتَرَعْتُ » بالراء .

(٢) في الأصل : « غِيضاً » بالعين المعجمة . (٣) كذا في كتاب البخل .

وفي الأصل : « تجزياً » وهو خطأ . (٤) المرادى : جمع مزداة ، والمزداة : الحفيدة

يرى الصبيان فيها انثوى . (٥) رواية البخل : « وائيا » .

(٦) الدهن : السوداء من القُدُور . وتنفيها : تجعل لها أثاقاً . وفي ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) :

« ترسيا » من قولهم : قدر راسية لا تبيع مكانها ولا يطاق تحويلها . (٧) أم عيال : قوتهم

وقوم بحاجتهم . (٨) في الأصل : تعض بحيزون . وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر

في ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

بغض بحيزوم الجراذة صدرها * وينضج ما فيها أفتاد ذبال

وقتل بذكر النار من غير حرها * وبزلا الطامى بغير جعال

والجعال بالكسر : خرقه تنزل بها القدر .

ولو جتّها ملأى عَيْطًا مُجَزَّلًا * لأُخرجتَ ما فيها بعودٍ خِلال
هي القِدْرُ قَدَّرَ الشَّيْخُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ * رَبِّيعُ الْبَسَامِ طَامَ كُلُّ هُنَالِ^(٢)

وقال أيضا :

رَأَيْتُ قُدُورَ النَّاسِ سُودًا مِنَ الصَّلَى * وَقَدَّرَ الرِّقَاشِيَيْنِ زَهْرَاءَ كَالْبَدْرِ
ولو جتّها ملأى عَيْطًا مُجَزَّلًا * لأُخرجتَ ما فيها على طَرَفِ الظُّفْرِ
يُنْبِتُهَا^(٤) لَلْعَتَقَى بِنَاتِهِمْ * ثَلَاثٌ كَحُطِّ الثَّاءِ^(٥) مِنْ تَقَطُّ الْحَبْرِ
تُرُوحُ عَلَى سَوَى الرَّبَابِ^(٦) وَدَادِيمٍ * وَسَعْدٍ وَتَعْرُودِهَا قَرَا ضِبَّةُ الْفَزْرِ
وَالْحَيَّ تَعْمُرُو تَقَعَّةً مِنْ سِجَالِهَا * وَتَغْلِبَ^(٧) وَالْبَيْضُ اللَّهَامِيمُ مِنْ بَكْرِ
إِذَا مَا يُنَادَى بِالرَّحِيلِ سَعَى بِهَا * أَمَامَهُمُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الدَّرِّ

١٠ وقال أبو عبيدة : كان لعبد الله بن جُدعان جَفَنَةٌ يأكل منها القائمُ والراكب .
وذكر غيره أنه وقع فيها صبي فغرق .

(١) العيط : اللحم الطري . ومجزل : مقطع .

(٢) كذا في الديوان وكتب البغلا . وفي الأصل : « منيع » .

(٣) في البغلا . (ص ٢٥١) : « سودا على الصل » . والصل : النار . (٤) كذا في البغلا .

(ص ٢٥١) : وفي الأصل : « ينبثها لعتقى بناتهم » . (٥) كذا في كتاب البغلا . وفي الأصل

« حط » وهو تحريف . (٦) الرباب وداديم وسعد والفز : أسماء قبائل . والقراضة : اللصوص

والقراء : واحدة قرضاب أو قرضوب . (٧) كذا في كتاب البغلا . والهاميم من الخليل :

جياهم ، ولهاميم الإبل : غزاها ، ولهاميم الناس : أشياخهم . وفي الأصل : « الهامين من فكر »
وهو تحريف .

(١) وقال الأشعر :

(٢) وأنت مَلِيحٌ كَلِمِ الحُورِ * فلا أنتَ حُلُوٌّ ولا أنتَ مُرٌّ
وقد علمَ الضيفُ والطارقونَ * بأنك للضيفِ جوعٌ وقُرٌّ

(٣) سأل يحيى بن خالد أبا الحارث جُمُيْزاً عن طعام رجلٍ، فقال : أما مائدتُه ففقنة.

- وأما صحافه فمتقورةٌ من حَبِّ الخَشَمَاشِ، وبين الرغيفِ والرغيفِ نقرةٌ جوزة، وبين اللونِ واللونِ قَمَرَةٌ نَبِيَّةٌ. قال : فمن يحضرها ؟ قال : الكرامُ الكاتبونَ . قال : فإِيا كلِّ معه أحدٌ؟ قال : نعم، الذُّبابُ . قال : فلهذا ثوبُك غرَّقَ ولا يَكُوسُك وأنتَ معبه وبيئته؟ ! قال أبو الحارث : جُمِلْتُ فِدَاكَ، والله لو ملكَ بيتاً من بَدَادٍ إلى الكوفةِ مملوءاً إبراً، في كلِّ إبرَةٍ خيطٌ، ثم جاءه جبريلُ وميكائيلُ معهما يعقوبُ يَضْمَنانِ عنه إبرَةً يَحِيْطُ بها قَمِيصَ يوسفَ الذي قُذِيَ من دُبُرٍ، ما أعطاهم .

وقال بعضهم :

(٤) ولو عليك أَمَكَايَ في الغِذاءِ إذا * لكنك أَوَّلَ مدفونٍ من الجوعِ

(١) هو الأشعر الرقبان الشاعر . واسمه عمرو بن حارثة أسدي جاهلي ، قال هذا الشعر يخاطب به رجلاً

اسمه رضوان (انظر القسان وشرح القاموس مادة مسخ) وقد ورد هذان البيتان فيهما ضمن شعر له مع اختلاف في بعض الكلمات وهو :

١٥

بحسبك في القومِ أن يعلوا * بأنك فيهم غنى مضرٌ
وقد علم المشر الطارقوك * بأنك للضيفِ جوعٌ وقُرٌّ
إذا ما انتدى القومُ لم تأتهم * كأنك قد ولدتك الحمر
مسيخٌ ملخٌ كلم الحُورِ * فلا أنتَ حُلُوٌّ ولا أنتَ مُرٌّ

- ٢٠ (٢) المَلِيحُ : الذي لا طعم له ، ونخص به بعضهم لِمِ الحُورِ (وهو ولد الناقة) حين يَزَل من بطن أمه .
(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جُمُيْزٍ في حاجة إلى التوضيح لقبوض عبارة - (٤) هذا بالأمل .
والذي في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) : « أما مائدتُه ففنية » بالعين والياء المتناة من تحت والياء الموحدة .
(٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : « مقتول » .

سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج لياذوق متطيه: صِف لي صفةً آخذُ بها [في نفسى] ولا أعدوها،
قال تياذوق: لا تترَّوج من النساء إلا شابة، ولا تأكل من اللحم إلا قتيًا،
ولا تأكله حتى ينعم طبعه، ولا تشربن دواءً إلا من علة، ولا تأكل من الفاكهة
إلا نضيجها، ولا تأكل طعاماً إلا أجلت مَضغته، وكل ما أحبت من الطعام
وأشرب عليه، وإذا شربت فلا تأكل عليه شيئاً. ولا تعبس الغائط والبول،
وإذا أكلت بالنهار فم، وإذا أكلت بالليل فمشم ولو مائة خطوة.^(١)

روى عبد العزيز بن عمران عن الحلبي بن حيان الأشجعي قال حدثني أبي
عن شيخ من أشجع قال: سألنا يهود خير: يم صححتم بخير؟ قالوا: بشرب
الخمر، وأكل الفوم، وسكون البقاع، وتجنب بطون الأودية، والخروج من خير
عند طلوع الفجر وسقوطه.^(٢)

قال الحجاج للحكم بن المنذر بن الجارود: أخبرني عن صفاء لوتك وغلظ
قصرتك، أشرب اللبن فهو منه؟ قال: لا؛ قال: ولم؟ قال: لأنه منقعة منقعة.^(٣)
قال: فما شربك؟ قال: نبيذ الدقل في الصيف ونبيذ العسل في الشتاء.^(٤)

- ١٥ (١) كذا في تاريخ الحكماء للقفطي (ص ١٠٥ ضج أوروبا) وضقات الأظفار لابن أبي أصيبعة
(ج ١ ص ١٢١)، وكان طليبا مشهورا في صدر الإسلام والعملية الأمرية واختص بالحجاج بن يوسف
فكان يثق به ويعتمد عليه في مداخلاته. وهذا الاسم ذكر مرة في الأصل «ببازوق» ومرة أخرى «ببازوق»،
وفي العقد الفريد «ببازوق» - وكه تحريف - (٢) في طبقات الأعيان: «بحسين خطوة» .
(٣) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧): «عند طلوع النجم وعند سقوطه» . (٤) القصرة:
٢٠ أصل العنق إذا غلظ . وفي الأصل: «... عن صفاء لوتك وقصر غلظ قصرتك» . (٥) الدقل
(بالحريرك): أردأ القمح وضرب من التخل تمره صغير الجرم كبير النوى .

قال عبد الملك لأعرابي : إنك حسن الكدنة^(١) ، قال : إني أدني رجلاً في الشتاء ، وأغفل غاشية الغم . وآكل كل عند الشهوة .

عن علي رضي الله عنه أنه قال : من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء . ومن أكل كل يوم سبع تمرات تجوِّد قتل كل داء في بطنه . ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حمراء لم يرق بدنه شيئاً يكرهه . واللحم يُبَيِّتُ اللحم . والثريد طعام العرب . ولحم البقر داء ، ولبنها شفاء ، وسمها دواء . والشحم يُخرج مثليه من داء . ولم يستشف الناس بشيء أفضل من الرطب . والسمك يُذيب الجسد ، وقراءة القرآن والسواك يُذهب البلغم . ومن أراد البقاء — ولا بقاء — فليذكر الفداء ، ويُقلِّ غشيان النساء ، ويخفف الرداء ، وليلبس الحذاء . قيل : وما خفة الرداء في البقاء ؟ قال : قلة الدين .

قيل لرجل : إنك لحسن السحنة ، فقال : آكل لباب البر يصغار المعز ، وأذهن حمام البنفسج ، وألبس الكتان .

ويقال : ثلاثة أشياء تُورث الهزال : شرب الماء على الريق ، والنوم على غير وطاء ، وكثرة الكلام برفع الصوت .

ويقال : أربع خصال يهدمن العمرور بما قتلن : دخول الحمام على طنئة ، والمجامعة على الأمسلاء ، وأكل القديد الحاف^(٥) ، وشرب الماء البارد على الريق ؛ وقيل : ومجامعة المعجوز .

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلف اللحم وكثرة اللحم . وفي الأصل : «الكدية» بإلواء المتنة من تحت ، وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل ، والعبارة غير واضحة ، ولعلها محوكة . (٣) كذا بالأصل ، ولعلها «بحم البنفسج» والحلم : ما أذيت إحالته ، والمراد به دهن البنفسج وهو زينة الذي يستخرج منه . (٤) هي من نصنع تياذوق الطيب فحجاج كما في منبقات الأطباء ، ونفسها صاحب العقد القريد (ج ٣ ص ٣٨٧) ليزر جهنم . (٥) القديد : اللحم الخفيف ، وقيل ما قطع منه طولاً .

وفي الحديث : «ثلاثة أشياء تُورث النسيان أكل التفاح الحامض وسُور الفأرة ونَبْد القملة»^(١) . وفي حديث آخر «والجحامة في النقرة^(٢) والبُول في الماء الراكد» .

ويقال : أربعة أشياء تقصد إلى العقل بالإفساد : الإكثار من البصل ، والباقلَاء ، والجماع ، والخمار .

وقال النظام : ثلاثة أشياء تُخلق العقل وتُفسد الذهن : طول النظر في المرآة ، والاستغراب في الضحك ، ودوام النظر إلى البحر .

وكان يقال : عشاء الليل يُورث العشا^(٣) .

ويروى في الحديث : «ترك العشاء مهمة» . والعرب تقول : ترك العشاء^(٤) ينهب بلحم الألتين .

باب الحمية

قال الحارث بن كلدة طيب العرب : الدواء هو الأزم . يعني الحمية .

قال آخر : الحمية إحدى العلتين .

وقيل لجالينوس : إنك تُقل من الطعام ؛ قال : غرضي من الطعام أن آكل^(٥) لأحيا ، وغرض غيري من الطعام أن يمجا ليأكل .

١٥ (١) ورد هذا الحديث في كتاب حبة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٣١١) هكذا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «ست خصال تورث النسيان : أكل سور الفأر وإلقاء القملة وهي حبة والبول في الماء الراكد وتعلق القطار ومضغ الملك وأكل التفاح الحامض» . (٢) النقرة : الوهدة في القفا . (٣) العشا : أن يسو. بصر الإنسان أو هو السى ، أو أن يصير بالهارة ولا يصير بالليل . (٤) قال أبو زيد : متى الألية ألبان كما تقول هما خصيان وواحدة خصية وقد ورد ألبان في شعر عنترة :

٢٠ متى ما تلقى فردين ترحف * روانف ألبتسك وتستلارا

(٥) رد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) منسوباً لأقراط .

وقال العَمِيُّ^(١) : مَنْ آحَتَىٰ فِيهِ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ ، وَفِي شَكٍّ مِمَّا يَأْمُلُ مِنَ الْعَافِيَةِ .
وكان يقال : ليس الطيب من حَمَى الْمَلِكِ وَمَنَعَهُ الشَّهَوَاتِ . إنما الطيب من خلَّاه وما يُريدُ وساس بدَنه .

وقال بعض الشعراء :

وَرُبَّتْ حَزِيمٌ كَانَ لِلشَّقِيمِ عِلَّةٌ • وَعِلَّةُ بُرءِ الدَّاءِ خَبَطُ الْمُغْفَلِ
ويقال : الحمية للصحيح ضارة كما أنها للعليل نافعة .

وفي الحديث : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صُبيًّا يأكل تمرًا وبه رمدٌ فقال له : «أنا كل التمر وبك رمد» فقال : يا رسول الله ، إنما أمضُغُ بهذه^(٢) .
إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ» .
١٠

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السَّهْمِيُّ : حَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَنْ أَسْقَلَ بِدَائِهِ فَلَا يَتَدَاوَى بِهِ فَإِنَّهُ رَبُّ دَوَاءِ يُورِثُ الدَّاءَ» .

- (١) هو حبة بن مكرم (ضم أوله وإسكان فكاف وفتح المهملة) أبو عبد الملك البصري الحافظ مات سنة أربعين ومائتين . (انظر الخلاصة في أسماء الرجال) . (٢) يريد أنه يمضغ بتحية نعين التي لا رمد فيها . ونص الحديث في الجزء السابع من شرح الزرقاني على المواهب : «وفي سنن ابن ماجه عن صبيب قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر ، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمرا فأكلت ، فقال : «أنا كل تمرا وبك رمد» قلت : يا رسول الله أمضغ من التاحية الأخرى ، فبصم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يضره هذه المضمغ من تاحية نعين التي لا رمد بها .
(٣) كذا بالأصل ، ولعل هذه الكلمة زيادة من النسخ ، لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى
٢٠ عن أبيه ، وجده مات مقتولا في الجاهلية ، كما في كتنب المعارف لابن قتيبة ، فلم تذكر له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت الحكماء تقول : إياك وشرب الدواء ما حملت صحتك داءك .
وقالوا : مثل شرب الدواء مثل الصابون للثوب ينقيه ، ولكنه يخلقه ويبيله .
عن يزيد بن الأصم قال : لقيت^(١) [طبيب] كسرى شيعاً [كبيراً] قد أوثق^(٢)
حاجبيه بخرقه ، وسأله عن دواء المشي^(٣) قال : سهم يرمى به في جوفك أخطأ أو أصاب .
قال أبقرط : الدواء من فوق ، والدواء من تحت ، والدواء لا فوق ولا تحت .
وفسره المفسر فقال : من كان دأؤه في بطنه فوق سترته سقى الدواء ، ومن كان
دأؤه تحت سترته حقى ، ومن لم يكن به داء لا من فوق ولا من تحت لم يسق
الدواء ، فإن الدواء إذا لم يجد داء يعمل فيه وجد الصحة فعمل فيها .
قال أبو اليقظان : كان عبد العزى^(٤) بن عبد المطلب يشتكى عينه وهو مطروق
أبداً ، وكان يقول : ما يعني بأس ، ولكن كان أنى الحارث إذا اشتكت عينه يقول :
أكلوا عين عبد العزى معي فإمر من يكطني معه ليرضيه بذلك فأمرض عيني .
قال ابن أحر حين سُئِلَ بطنه :
شربت الشكاكى وألددت ألدّة * وأقبلت أفواه المكاريا^(٥)
شربنا ودأونا وما كان ضارنا * إذا الله حمّ المرأة أن لا تدأوا^(٦)
وفي الحديث : "دأوا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة واستقبلوا^(٧)
أنواع البلاء بالدعاء" .

- (١) الكلمة عن أسد الغابة . (٢) المشي : الإسهال ودوائه المشي وهو المسهل .
(٣) في الأصل : « أم » . (٤) هو أبو زب . (٥) ليل القامل «أي» أرغوه
من له ولاية الأمر عليه . (٦) الشكاكى : من دق النبات وهي دقيقة العيدان صغيرة خضراء
يتداوى بها الناس . قال سيدي : هو واحد وجمع ، وقال غيره : الواحدة منها شكاكة . وألددت ألدّة
من قولهم التدا الرجل إذا ابتلع اللدود وهو ماسق في أحد شق الفم ، جمعه ألدّة . (٧) أقبل المكاراة
الداء : جعلها قبالة . (٨) كذا في الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفي الأصل : « لنا » .
(٩) في الجامع الصغير : « واستنبوا عن حل البلاء بالدعاء والتضرع » .

الْحَدَّثُ وَالْحُقْنَةُ وَالتَّخْمَةُ

عن وَهْبٍ قَالَ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : إِنْ طَوَّلَ الْجُلُوسُ عَلَى الْخِلَاءِ يَرْفَعِ الْحَرَارَةُ إِلَى الرَّأْسِ ، وَيُورِثُ الْبَاسُورَ وَيُجِيعُ^(١) لَهُ الْكَبِدَ ، فَأَجْلِسْ هُوَنًا وَقِمْ هُوَنًا . فَكَتَبْتُ حِكْمَتَهُ عَلَى بَابِ الْحَشِّ^(٢) .

- وكان يقال : إذا خرج الطعام قبل ست ساعات فهو مكروه ، وإذا بقي أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو مرض .

وكان أبو ذؤافة الباهلي^(٣) أشتكى ، فأشار عليه الأطباء بالحُقْنَةُ فامتنع ، فأنشأ أعرابي يقول :

لقد سرتني — والله وقاك شرها — * يفارك منها إذ أذاك يقودها
كفى سوءة ألا تزال مجيئًا * على شكوته وقراء في أمتك عودها^(٤)

وأشاروا على عبيد الله بن زياد بالحُقْنَةُ فنفضها ، فقالوا : إنما يتولاها منك الطبيب ، فقال : أنا بالصاحب آنس .

قال المدائني : سأل المجاج جلساءه : ما أذهب الأشياء للإعياء ؟ فقال بعضهم : أكل الثمر ، وقال بعضهم : الحمام . وقال بعضهم : التمرخ^(٥) .

وقال فيروز : أذهب الأشياء للإعياء قضاء الحاجة .

(١) تجيع من وجع يوجع (قلب الواو ياء) إذا مرض وتألم . (٢) الحش : البتة .
وقيل : النخل المجتبع ، ويكنى به عن بيت الخلاء ، لأنه كان من غادتهم النقوض في البساتين .
(٣) مجيئ : منكبًا على وجهه ، وفي الأصل : « مجيئ » . (٤) الشكوة : وعاء من جلد .
ورفء : ملاي . (٥) التمرخ : التدخين .

وحدثني بعض الأطباء أن رجلاً شرب خبث الحديد المعجون ببق في جوفه ،
فأشتد عليه وجعه ؛ فسيحقت له قطعة من المغناطيس وسقي إياه ، فتعلق بالخبث
ونخرج مع الغائط .

قال : وقال تياذوق طيب التجاج للججاج : إن اللحم على اللحم يقتل السباع
في البرية . ثم قال لي جعفر : قالت جارية لنا : كان لي ظبي فزبعين قد هيئ
لشكك^(١) ، فكل منه فحس - والحفس : الحبط وانتفاخ البطن - فسأخ
فوجد قد شق بالدم . وقال يونس (طيب لنا) : هكذا يصاب الإنسان^(٢)
إذا شتم .

الأصمعي : قال بعض الأعراب : اللهم إني أسالك ميتة كيتة أي خارجة ، أكل
بذجا ، وشرب مَعسلاً ، ونام في الشمس ، تلقى الله شعبان ريان دفان .
وقال آخر من الأعراب : اللهم أجعل التخمّة دائي وداء عيالي .
قال ابن شَبَابَةَ مولى بنى أسد : من بال ولم يضطّر كُتبت آتته من الكاظمين
النبيط .

(١) في الأصل «دياذوق» وقد صحّته في امر . أنظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الخشكن كلمة فوسية ؛ ومعناها : الخبز الجاف ؛ أو هو ضرب من الحلوى . ١٥

(٣) في الأصل : « بصيب » . (٤) البذج : الحمل . (٥) المصل :

شراب معمول بالصل . ومنه قول الشاعر :

إذا أخفت مساكنها منحت به . وضابا كلم الزنجيل المصل

باب القيء

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكل يقيء ^(١) إذا أكل : لا تفعل . فإن
المعدة تضيض ^(٢) إلى القيء كما تضيض الدابة إلى الحمل . فلا يضيض الطعام .
وأخذ مزبد شارباً فاستنكه ^(٣) ، فأتى به الوالي فاستنكهوه ، فقالوا نكهته لا تنفي ^(٤)
عنه ، قال مزبد : إن لم أقيء نبذا فمن يضمن لي عشاء .
رئى الجمال يأكل فقيل له : ما تأكل ؟ قال : قيء كلب في حنف خنزير ^(٥) .

التكهنه

سئل تياذوق عن البحر فقال : دواؤه الزبيب يعجن بسعتر ثم يؤكل أسبوعين
أو ثلاثة . بخرب فذهب .

وتقول الروم في الكرفس : إنه يطيب الفم ويذهب البخر ، ويحتاج إلى أكله
من يشاهد السلطان ومحافل الناس وكان أكثر كلامه السرار ^(٦) .

قالت الأطباء : الجزر المشوي والخبز المقلوب بالزيت أو بالسمن إذا مضغ
ورمي بشق ^(٧) قاطع لرائحة البصل من الفم . والقوم ^(٨) إن أكله آكل فاحب أن يقطع
رائحته مضغ ورق الزيتون الطري وتمضمض بعده بالخل .

- ١٥ (١) في الأصل : «لين» . (٢) تضيض : ثب . (٣) استنكه : شم وريح .
فه ، وأمره أن ينكه ليعلم أثاره هو أم غير شارب . (٤) في الأصل : «قالوا» .
(٥) القحف : ما اقلق من الجمجمة فإن أى انفصل ، ولا يدعى لحفا حتى يبين أرينكرمه شيء .
(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة حريف زهره أبيض ان لنبهة . (٧) السرار : المساة .
(٨) الفل : ما سفلى من كل شيء وهو خنارته . (٩) القوم : النرم .

والسعد^(١) قاطع لرائحة التبيذ من الفم . وحَبَّ الأترج مطبَّب للنكهة . والبَخر لا يكاد يكون في الملاحين لأكلهم الملاح .

وقرأت في الآين : أن رئيس الحرم أمر جوارى الملك ألا يأكلن الثوم والبصل والكراث واللُّفَّاح^(٢) والجِصَّ الرطب والمشمش ؛ فإنه يؤرث البخر .

باب المياه والأشربة

قالت الأطباء : معرفة خفة الماء بأن يكون سريع الغليان ويكون سريع البرد . وأحمد المياه ما كان قبالة المشرق ومجره مجرى الشمال ومروره على الطين الأحمر وعلى الرمل . قالوا : ومما يصنَّى من الماء الكدَّر فيصفو سريعاً أن يلتقى فيه قطع من خشب الساج^(٤) أو قطع من أجر جديد .

١٠ قال بعض المحدثين :

يمنع أمه بالشمال * وماؤها البارد الزلال
يصبح فيها وقايتونا * يجرى به الثلج في مثال^(٥)

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفي الأصل : « السعد » .

(٢) في الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسباً ، فقلنا بحركة عما أئبناه . والملاح :

١٥ ضرب من نبات الحضر أو حمضة مثل القلام فيه حمرة . (٣) القفاح : نبات يقطين

أصفر يشبه بالبادنجان . (٤) الساج : شجر عظيم جداً لا ينبت إلا ببلاد الهند ، ورشبه أسود

وزين لا تكاد الأرض تبليه . (٥) كذا بالأصل ، ولم نعثر على هذين البيتين ولم نوفق

إلى تصويهما .

وقال صاحب الفلاحة : من أراد أن يعدّب له الماء الزعاقُ جعله في قدر جديدة من خزف وغطى فاهها بأشمال ثم أوقد تحتها حتى تفل ويحصل فيها نصف ذلك الماء ثم صفاه وتركه ، فانه يجيده شروباً .^(١)

وقالوا : ماء دجلة يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ونشاطها ، ومن لم يأكل الدسم عليه أنحل عظمه وييس جلدّه ، وهو مع هذا أهضم للطعام من غيره من المياه وأسرعها برداً .

قال : والنيل يستقبل الشمال وينضب في وقت زيادة الأودية ويزيد في وقت نقصانها . وزيادة أوله وآخره معها ، ولا تكون التماسيح إلا فيه ، قال الشاعر :

أضمرت للنيل هجراناً ومقلية * إذ قيل لي إنما التماسيح في النيل

فمن رأى النيل رأى العين من كتيب * فما أرى النيل إلا في البواقي^(٢)

والسقنقور أيضاً لا يخرج إلا منه .^(٣)

(١) الزعاق : المخلوط . (٢) أشمال : جمع شمل وهو الخثرة البيضاء . وفي الأصل : «شمال» ويزيد هذا في جمع شمل وإنما جمعه أشمال بحول وشمل . (٣) الثروب : الماء دون أنصب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقي — كما في معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوروبا) — : كيان بشرب منها أهل مصر . وقد روى في شفاء الغليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : «البواقي» بالراء وفسره الخفاجي بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . ونجد هذين البيتين في ديوان أبي نواس وهو الذي نسب له البيتان . (٥) السقنقور كما في خطط المقرئ (ج ١ ص ٦٦) : صنف يتواله من السمك والتماسيح فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين ، ولا يشاكل التماسيح لأن ذنبه أجرد أملس عريض غير مفرس ، وذنب التماسيح مخيف مفرس . وذكره ابن الططارقال : هو شديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدا وهو مما يسمى في البر ويدخل في الماء — يعني النيل — ولهذا قيل له الورل المائي لشبهه به ولدخوله في الماء .

وروى في الحديث عن الضحاك بن مزاحم أنه قال قَذَفَ الْفُرَاتُ فِي الْمَدِّ رُمَانَةً^(١)
كَأَنَّهَا الْبَعِيرُ الْبَارِكُ، وَتَحَدَّثَ أَهْلُ الْكَأَبِ أَنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ .

وقال ابن ما سويه : ينبغي للساء الغليظ الذي ليس يَسْدُبُ أَنْ يُطَبَّخَ حَتَّى
يَذْهَبَ مِنْهُ نِصْفُهُ، ثُمَّ يُطْرَحَ فِيهِ السَّوِيقُ أَوْ الطِّينُ الْأَحْمَرُ فَإِنَّهُ يَلْطَفُهُ وَيَذْهَبُ غَائِلَتُهُ
وَيُعَذِّبُهُ وَيَمْنَعُ كَدَرَهُ .

قالت الأطباء : الْفُقَاعُ الْمَتَخَذُ مِنْ دَقِيقِ الشَّعِيرِ نَافِعٌ مِنَ الْجُدَامِ . وَالْجَلَّابُ^(٢)
قَاطِعٌ لِكَثْرَةِ دَمِ الْحَيْضِ ، . وَالسَّكَنْجِينُ^(٣) نَافِعٌ مِنَ الدُّبْحَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ حَرَارَةٍ ،
يُشْرَبُ وَيَتَغَرَّغُ بِهِ .

باب اللُّحْمَانِ وَمَا شَاكَلَهَا

قالت الأطباء : لَحْمُ الْمَاعِزِ يُورِثُ الْهَمَّ، وَيُحْزَنُ السُّودَاءَ، وَيُورِثُ النِّسْيَانَ،
وَيَجْلِبُ الْأَوْلَادَ، وَيُفْسِدُ الدَّمَ، وَهُوَ ضَارٌّ لِمَنْ سَكَنَ الْبِلَادَ الْبَارِدَةَ . وَأَخَذَ اللَّحْمَانِ
مَا خَصِيَ مِنَ الْمَعَزِ . وَالضَّانُّ نَافِعٌ مِنَ الْمِرَّةِ السُّودَاءِ، إِلَّا أَنْ الْمُرُورِينَ الَّذِينَ يُصَرَّعُونَ،
إِذَا أَكَلُوا لَحْمَ الضَّانِّ أَشْتَدَّ بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يُصَرَّعُوا فِي غَيْرِ أَوَانِ الصَّرْعِ . وَأَوَانُ الصَّرْعِ
الْأَهْلَةُ وَأَنْصَافُ الشُّهُورِ .

١٥ (١) في سحر البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٨٦١) : « وروى عن السدي، واقفه أعز بحقه من باطله،
قال : قد التفت في زمن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فالتق رمانة قطعت الجسر من عظمها - فأخذت
فكان فيها كَرْحَبٌ، فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يرونها من الجنة . وهذا باطل لأن نواكه الجنة
لا توجد في الدنيا . ولو لم أر هذا الخبر في عدة مواضع من كتب العلماء ما استجرت كتابته » اهـ .

(٢) الفُقَاعُ : شراب يتخذ من الشعير، سمي بذلك لما يصنعه من الزبد . (٣) الجلاب : باللام
مشددة ومخففة : الصل أو السكر، ضد بوزنه وأكثر من ماء الورد . (٤) السكنجين : شراب من
خل وعسل، ويراد به كل حلوى حامض . (٥) المِرَّةُ السوداء : خلط من أخلاط البدن .

(١) قال الشاعر :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَائِنٍ * فَهُمْ نَجُونَ قَدْ مَالَتْ طُلَاهِمُ
قَالُوا : وَاللَّهِ أَقَلَّ الطَّعَامَ نَجَّوْا . وَلَحْمَ الدَّجَاجِ الْحَرِيمِ شَرُّ الْفُتَّانِ وَأَغْلَظُهَا .
وَالْيَبِضُ إِنْ سُلِقَ بِالْحَلَلِ ثُمَّ أُكِلَ بِالسَّاقِ وَحَبُّ الرِّثْمَانِ الْمُفَلَّقِ وَالْمَلْعُ وَالْمُرِّيُّ
عَقَلُ الطَّبِيعَةِ .

وَالزُّبْدُ إِنْ طُلِيَ عَلَى مَنَابِتِ أَسْنَانِ الْفَتْلِ كَانَ مُعِينًا عَلَى نَبَاتِهَا وَطُلُوعِهَا ، وَالْمَخُ
وَالدَّمَاعُ يَصْلَانِ ذَلِكَ .

مَضَارُّ الْأَطْعَمَةِ وَمَنَافِعُهَا

الْكُمَاةُ وَالْفُطْرُ (٦) — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ
وَهُمْ يَذْكُرُونَ الْكُمَاةَ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ جُلْدِي الْأَرْضَ ، فَقَالَ : « الْكُمَاةُ مِنَ الْمَنِّ (١)
وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السَّعَمِ » .

- (١) هُوَ غِلَاقٌ مِنْ عَقَبَةِ الْعَدِيِّ الْمَعْرُوفِ بِذِي الزَّمَةِ . (٢) كَذَا فِي اللَّسَانِ (مَادَّةُ نَجٍ) ،
وَنَجُونَ : تَقَلُّ أَوْ كُلُّ لَحْمِ الضَّائِنِ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، يَرِيدُ أَنَّهُمْ قَدْ نَجَّوْا مِنْ كَثْرَةِ أَكْلِهِمْ فَالْتَمَسُوا طُلَاهِمَ
(أَعْنَاقَهُمْ) ، وَفِي الْأَصْلِ « بَسَجُونَ » بِالْيَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَهِيَ تَحْرِيفٌ . (٣) النَّجْوُ : مَا يُخْرَجُ
مِنَ الْبَطْنِ مِنْ رِيحٍ أَوْ غَائِقَةٍ . (٤) السَّاقُ : (أَيْ تَسْنِيدُ) مِنْ شَجَرِ الْفَقَافِ وَالْجِبَالِ لَهُ ثَمَرٌ حَامِضٌ
عَتَائِدٌ فِيهَا حَبٌّ صَفَارِيٌّ يَطْبِخُ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْحَمَةِ . (٥) الْمُرِّيُّ : يَعْمَلُ عَمَلُ الْمَلْحِ إِلَّا أَنَّهُ أَقْوَى مِنْهُ
وَأَخْفَى . وَفِي مَفْرَدَاتِ ابْنِ الْبَيْتَارِ : « وَلَيْسَ يَوَاقِقُ جِلْدَ وَخَاصَّةً الْمَطْلُوقَ مِنْهُ أَصْحَابُ الْمُدَّةِ الضَّعِيفَةِ
فَإِنْ اضْطُرَّ إِلَى إِدْمَانِ أَكْلِهِ فَلْيُزَكِّ كُلَّ بِالْمَلْحِ وَالْفَقْلِ وَالْمُرِّيِّ » . وَفِي الْأَصْلِ : « وَالْمَلْحُ الْمَشْوِيُّ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٦) الْكُمُ : نَبَاتٌ مُسْتَدِيرٌ كَالْقَلْقَاسِ لَا سَاقَ لَهُ وَلَا عَرَقَ . وَهُوَ إِلَى الْقُبْرِ وَالسَّوَادِ ، يَوْجَدُ فِي الرِّيْعِ
تَحْتَ الْأَرْضِ . وَهُوَ عَدِيمُ الْعَطْمِ وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ يُؤْكَلُ نَبْتُهَا وَمَصْيُوعًا . (٧) الْفُطْرُ : ضَرْبٌ مِنَ
الْكُمَاةِ قَتَالٌ . (٨) شَبَّهَتِ الْكُمَاةُ بِالْجُلْدِيِّ . وَهُوَ خَبٌّ الَّذِي يَنْظُرُ فِي جَسَدِ الْبَشَرِ ، لَيُظْهِرُهَا
مِنْ بَطْنِ الْأَرْضِ كَمَا يَنْظُرُ الْجُلْدِيُّ مِنْ بَاطْنِ الْجِلْدِ . وَيَرَادُ تَسْنِيدُهَا (أَيْ الْقُرْبُ الْبَاقِي الْأَثِيرُ) .
(٩) مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْكُمَاةَ شَيْءٌ أَنْبَتَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ وَهُوَ مُؤَمَّةٌ مِنْ أَحَدٍ ، وَهُوَ بِمِثْلَةِ الْمَرِّ الَّذِي كَانَ
يَنْزِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .

الأصمعي عن بعض مشايخه قال : ثلاثة أشياء رُبَّمَا صرَعَت أهل البيت عن .
 آحرم : الجرادُ، ولحوم الإبل، والفُطر .
 وتقول الأطباء : إنَّ أَرْدًا الفُطْر ما نَبَت تحت ظلال الشجر، وأردأه كلُّ ما كان
 في ظلِّ شجر الزيتون فإنه قتال .

قالوا : والكُمَرَى إذا طُبِخَ مع الفُطْر أنحب ضرره .
 قالوا : والفُطْر بُورث الذبجة .^(١)

قديم أعرابيُّ المِصرَ فأكل فُضْرًا، فأصابته دُبْجَةٌ، ف قيل له : إن الطيب بعث
 أن يُجَلَّب في فيك، فقال : ما زلت أسمع بالثيم الرَّاضِع ولا والله لا أكونه ؛ قالوا :
 فتموت إذا ؛ قال : وإن مت .

وتقول الأطباء : إنَّ أكلَ آكلِ الفُطْرَ فَأَضْرَبَهُ، سَقَى الكُرْبَ المعصورَ وسَقَى
 من نَحْو الدَّجاج وزنَ درهمين مع خَلٍّ وعسلٍ مطبوخٍ وقِيَّ به .
 قالوا : والكَمَّةُ تُورِث وجع القولنج والسَّكَنَةُ والقالجُ ووجع المِعدة .^(٢)
 قالوا : والذباب لا يَقْرَب قَدْرًا فيه كَمَّةٌ .

ومن أراد اتِّخَاذَ الكَمَّةِ اليَابِسَةِ جعلها في الطين الحرَّ يومًا وليلةً ثم غسلها
 واستعملها . ١٠

بلغني عن قتي من أهل الكتاب أنه قال : كما في طريق مَكَّةَ بالخَزِيمِيَّةِ^(٣)، فأتانا
 أعرابيُّ بِكَمَّةٍ في كِسَاءٍ قَدَرًا أطاق، فقلنا : بِكَمِ الكَمَّةِ ؟ قال : بدرهمين ،

(١) الذبجة : داء يأخذ في الحلق وربما قتل . (٢) سيذكر المؤلف أنه انذرى بوضع الحلب
 فلا يحلبه في الاناء فلا يسمع صوت الحلب، وقال بعضهم : لئلا يضع من اللبن شيء .

(٢) القولنج : مرض مموي مؤلم يصرمه خروج الفضل والريح ، والقالج : الشلل . ٢٠
 (٤) الخزيمية : منزل من منازل الحاج بعد انشطية بالكوفة وقبل الأجرة . وقال قوم : بينه وبين الشلية
 اثنتان وملاثون ميلا، وقيل : إنه : " الخزيمية " بالحاء المهملة .

فَاشْتَرِيْنَاهَا مِنْهُ وَدَفَعْنَا الثَّمَنَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا نَهَضَ قَالَ لَهُ بَعْضُنَا : « فِي أَمْسٍ الْمَغْبُونُ ^(١) عَوْدٌ » ؛ قَالَ : بَلْ عَوْدَانُ ، وَضَرْبُ الْأَرْضِ بِرِجْلِهِ ، فَذَا نَحْنُ عَلَى الْكَلَّةِ .

قال بعض الشعراء :

جَنَّتْهَا تَمَلًّا كَفَّ الْجَانِي * سَوْدَاءَ تَمَّا قَدْ سَقَى السَّوَاتِي ^(٢)
* كَأَنَّهَا مَدْمُونَةٌ بِالْبَانِ ^(٣) *

وهذه صفة أجود الكَلَّةِ وأقلها أذى .

البصل والثوم

دَخَلَ دَاخِلًا عَلَى نَصْرَبِينَ سَيَّارَ وَحَوْلَهُ بَنُونَ لَهُ صِغَارٌ ، فَقَالَ : هَلْ تَكْدُرُونَ مَا وَلَدَى هَؤُلَاءِ ؟ هَؤُلَاءِ بَنُو الْبَصْلِ ، وَكَانَ يَأْكُلُهُ نَيْثًا وَمَشْوِيًّا وَمَطْبُوخًا .

- ١٠ والأطباء تقول في البصل : إنه يشهى إلى الطعام إن أُكِلَ مشويًّا أو نيئًا ، ويشهى إلى الجماع . وإن دُقَّ وشمَّ عطسَ وشهى الطعام . وإن أكتحلَ بمائه مع العسل جَلَا البصر . وإن وُضِعَ مع الملح والسذاب ^(٤) على عَضَةِ الْكَلْبِ الَّذِي لَيْسَ بِكَلْبٍ نَفَعَ . والإِكْثَارُ مِنْهُ يُفْسِدُ الْعَقْلَ . والمسلوقُ مِنْهُ يُدْزِ الْبَوْلَ وَالْتَمَعَةَ .

(١) مثل يضرب لمن غبن . (٢) السواتي : جمع سانية وهي ما يسق عليه الزرع والحيوان

- ١٥ من بعر وغيره . (٣) البان : شجر يسمو ويطول في استواء مثل نبات الأثل . وورقه هذب كهذب الأثل ، وخشبه خثار ريشو خفيف . وقضبانة سمجة خضراء ، وهدبه يثبت في القصب ، وهو طويل أخضر شديد الخضرة ، وثمرته تشبه قرون الورياء إلا أن خضرتها شديدة وفيها حبه . وإذا انتهى اقتنى وانثر ، حبه أبيض أخضر مثل الفسق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن الطبر) . (٤) السذاب : بقل يزرع فروه قطع من ساق له قصيرة تشعب عليه شعب مثل الأغصان ، ويحمل في أطراف أغصانه رومًا يفتح عن ورد صفار الورد أصفر ، وإذا انخرسقط منه الحب ، وله طابع وخواص مذكورة في كتب الطب .

العصافير إن أكلت بالزنجبيل والبصل هيجت شهوة الجناح وأكثر
المني .

عن طارق بن شهاب قال : بعث سليمان النبي عليه السلام بعض عفاريت^(١)
وبعث معه رجلاً وقال : رُدَّهْ إِيَّيَّ وَأَنْظُرْ إِلَى صَنِيعِهِ . فترَعَلَ أَهْلَ بَيْتٍ يَبْكُونَ
فَضْحَكُ ، وَدَخَلَ إِلَى السُّوقِ وَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهَزَّهَ ، وَنَظَرَ
إِلَى الثُّومِ وَدَوَّ بِكَالٍ [كِلَا] وَالْفُفْلِ [وَهُوَ] يُوزَنُ وَزَنًا ، فَضَحَكَ . فَلَمَّا رَدَّهُ إِلَى
سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى مِنْهُ ، قَالَ : لِمَ ضَحِكْتَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ؟
وَلِمَ هَزَزْتَ رَأْسَكَ حِينَ نَظَرْتَ إِلَى السُّوقِ ؟ وَلِمَ ضَحِكْتَ مِنَ الثُّومِ وَالْفُفْلِ ؟
قَالَ : أَمَّا أَهْلُ الْبَيْتِ فَإِنَّ اللَّهَ أَدْخَلَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْهُمْ الْجَنَّةَ وَهُمْ يَبْكُونَ عَلَيْهِ ؛ وَنَظَرْتُ إِلَى
النَّاسِ فِي السُّوقِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ ، وَالنَّاسُ يُمْلُونَ وَالْمَلَائِكَةُ سِرَاعًا يَكْتُبُونَ ،
فَهَزَزْتُ رَأْسِي ؛ وَنَظَرْتُ إِلَى الثُّومِ وَهُوَ شِفَاءٌ يُكَالُ كِلَا ، وَإِلَى الْفُفْلِ وَهُوَ دَاءٌ يُوزَنُ
وَزَنًا . وَعَنْ وَهْبٍ : أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : مِمَّ كُنْتَ تَضْحَكُ ؟ قَالَ إِنِّي مَرَرْتُ
بِرَجُلٍ يَشْتَرِي حُقَيْنَ وَيَقُولُ لِمُصَاحِبِهِمَا : شَرِّطِي عَلَيْكَ أَنْ أَرْنَا الْبَسْمَهِمَا عَشْرَ سَنِينَ
لَا يَتَخَوَّانِ ، فَصَجِبْتُ كَيْفَ شَرَّطَ أَمْلَهُ وَنَبِيَّ أَجَلَهُ . وَمَرَرْتُ بِمَجُوزٍ دُخْرِيَّةٍ تَتَكَلَّمُ^(٢)
وَتُخَبِّرُ النَّاسَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَالَّذِي سَخَّرَ لَكَ الرِّيحَ وَأَذَلَّ لَكَ الْحَقَّ وَعَبَّدَكَ الشَّيَاطِينَ ،
إِنِّي لَأَعْلَمُ فِي بَيْتِي تَحْتَ فِرَاشِي مَطْمُورَةٌ فِيهَا قَنَاطِيرُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَهِيَ لَا تَدْرِي
مَا تَحْتَهَا ، وَقَدْ مَاتَ هَزْلاً وَجُوعاً وَحَاجَةً . وَمَرَرْتُ بِأُنْثَى دُخْرِيَّةٍ تَتَطَبَّبُ وَكَانَ بِهَا

(١) في قصص الأنبياء (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : «أن سليمان عليه السلام دعا سحرا الجنى لئلا تمت
الجواهر من خير تصويت ، فأقبل سرعاً مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رسله عما أحدث
سحرة في طريقه ، فقالوا : يا نبي الله إنه كان يضعك في بعض الأحايز من الناس ، فقال له سليمان... الخ »
وقد ورد في الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف في بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) ، هي التي
أُتِيَ عليها الدهر وطال عمرها . (٣) المظمورة : الخفية تحت الأرض . (٤) الهزل : الضعف .

مرة داء، فكلت البصل فصادت منه برأاً، فظننت أنه حسم داءها وشفاهها، فهي تصفه للناس من كل داء، وقد كانت في ظهرها ريحٌ حُبست^(١) منذ زمانٍ فاكلت الثوم أحدًا وعشرين يوماً فشُفيت منه؛ فعجبت لما كيف تدع أن تصفه. ومررت برجل على شاطئ نهر يستقي منه في قلة له ومعه بغلة، فلما سقى البغلة ملأ القلة وربط البغلة بأذن القلة وذهب لبعض حاجته، فنفرت البغلة وكسرت القلة؛ فجعل يلعن الشيطان، وبرأ عقله ونسي فعله. ومررت بقوم يذكرون الله فاجتهدوا ونصبوا وآتاهوا، فلما أظلت الرحمة مل رجل منهم ققام، وجاء آخر لم ينصب معهم فجلس مجلسه، فزلت الرحمة فدخل فيها معهم وحرمها الأول؛ فعجبت من سعادة هذا وشقاوة هذا.

١٠ ر وتقول الأطباء : إن الثوم إذا شوي بالنار ووضع على الضرس المأكول ودلكت به الأسنان التي يعرض فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال : وهو ينفع من العطش الحادث من البلغم، ويقوم مقام الترياق في آسع الهوام، والأمراض الباردة.

١٥ وتقول الروم في الثوم : إنه دواء لمن أصابه وجع السقي في بطنه. وإن أكله من ظهر^(٢) فيه حرّة من شرى أو غيره أبرأه. وإن دق الثوم يابساً فأغلي بسمين ولبن ثم جعله من يشتكى ضرره في فيه شُخناً فأمسكه ساعة، ذهب وجع ضرره؛ وهو نافع لمن أجنوى^(٣).

(١) وردت هذه الجملة في الأصل بحزقة هكذا : «جهازمان» .

(٢) يعرض : يظهر . (٣) السق : ماء أصفر يقع في البطن وهو المعروف في الطب بالاستسقاء أو الصفار . وفي الأصل : «السقا» . (٤) زيادة يقتضها السياق .

(٥) الشرى : بثور بعض صفار وبعضها بكار حكاكة مكرية مائنة إلى اخره مائنة . (٦) أجنوى : من الجوى وهو داء الل أوداء يأخذ في الصدر أو هو كل داء يأخذ في الباطن لا يسترأ به الطعام .

الكراث

قالت الأطباء : الكُراث النَّبِيّ - إذا أُدْمِنَ كانت فيه أحلامٌ رديئةٌ ، وولدٌ بُجَارًا في الرأس رديئًا ، وإن صُبَّ في مائه خلٌّ ودُقَّاقٌ كُنْدُرٌ^(١) واستُعِطَ به سَكَنُ الصَّدَاعِ . وإن سُلِقَ أو طُحِنَ وأَكِلَ أو صُمِدَ به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نَفَعٌ منها .

وماءُ الكثرات إذا خُلِطَ بمثله من ألبانِ النساءِ ودُهْنِ الوردِ والكُنْدُرِ ونُكِّلَ به عينٌ من أصابته غشاوةٌ في عينه ، فلم يُبْصِرْ ليلًا نفعه . وأكلُ البصل نافعٌ لذلك أيضا .

الكُرْبُ والقُنَيْطُ

قالوا : الكُرْبُ مُعِينٌ على الإثْكَارِ من التبيذ إذا أِكِلَ ، وهو مُدِرٌّ للبول . وقالت الروم : بين الكُرْبِ والكَرَمِ عداوةٌ ، ولا يكاد يصلح الكَرَمُ والكُرْبُ إذا تجاوزا . قالت الأطباء : إن احتملت [المرأة]^(٢) زُرَّ الكُرْبُ بعد الحيض أسهلَ المنيِّ وأفسده ولم يكن معه حمل . وشربُ مائه مع الشَّيْحِ الأَرْمَنِ غير المطبوخ أو ماءِ التُّرْسِ الْمُتَقَعِ يُخْرِجُ حَبَّ القَرَعِ^(٣) من البطن . والقُسْطُ^(٤) أيضا خاصةٌ بزُرِّه يُفْسِدُ المنيَّ إذا احتملته المرأة بعد طهرها ، ومقدارُ ما يُحْتَمَلُ وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُرْبُ إن طُبِخَ وخُلِطَ مائه بالحنْدَقُوقِ وسُقِيَ المرأة التي تأخر حيضها حاضت لحيثها .

(١) الكندر : ضرب من العلك وهو ألبان الذكر .

(٢) زيادة بقتضيا انياق . (٣) حب القرع : اسم دود يكون في البطن . (٤) القسط : عود هندي يتدلى به . (٥) الحندقوق : بقلة وحشية كالقث الرطب (شجيرة في السهول والآكام وله حب كالحص) وقيل هو الهيد . وافيد : الحنظل ، نبلي معرب ويقال لما بالعربية : الذرق .

قالوا : وإذا خلط ماء الكُؤْب بالبنج كان نافعا للسعال .

قال أبو محمد : شكوتُ الى حنين الطيب علة كنتُ أجدُها في حلقِي لا أكاد أتبلعُ معها ريقاً ؛ فقال : هي بينة في عينك . فتفرغُ بعقيد العنب مع خمير ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث مرات ؛ ففعلتُ ذلك يوماً واحداً فذهب .

قالوا : وإذا دقَّ الكُؤْب وُخِلط به شيء من زاج الأساكفة وشيء من خل ، فأوجف ذلك بالخطمي^(١) ، ثم طلي به برص أو جرب نفع بإذن الله تعالى .

السَّلْجَمُ^(٢) والفُجْل

تقول الأطباء في الفجل : إنه مهيج للجائع زائد في المني ، ويزُرُه نافع من السموم قالوا : والفُجْل هاضم للطعام ، فإن أُكِلَ يزُرُه بسل كان دواء من السعال والقواق ؛ وإذا سُدِخت قطعة بخل فُضِرحت على عَقْرَب ماتت ؛ وماؤه ويزُرُه للسموم بمنزلة الترياق . وإذا طلى أحد يده بمائه ثم قبض على حية أو غيرها من الهوام لم يُضَار ذلك

(١) البنج : هو الشكران بالنعيرية ، وهو نبات له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة للول مشقة الأضراف الى السواد ؛ عليها زغب وعلى القضبان ثمر شبيه بالجلار ملونه يزر شبيه بزر الخشخاش (ابن البيطار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب الباقى ، وجاء في مفردات ابن البيطار أن الزاج العراقي هو المعروف بزاج الأتراكفة . (٣) أوجف : حرك . (٤) في الأصل كالخطمي . والخطمي نبات ينفع الأمراض الصدرية . (٥) السلجم : يلاحظ هنا أنه لم يتكلم عنه في هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك من قصور في النسخ . ونحن ننقل هنا باختصار ما قيل عنه في كتاب الجامع لابن البيطار إماما لقائمة دول السلجم ، وقد تسمي منه ، هو القوت . ويزر هذا النبات يهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحا نافعة وأصله نافع عند الانضمام ويزيد في المني ، وقلوب وورقه تؤكل مطبوخة فتدز البول ، ويزر يستعمل في أخلاط بعض الأدوية المحبوبة النافعة من لسع ذوات السموم ، وإذا عمل السلجم بالماء والمالح كان أقل لفضائه إذا أُكِل . غير أنه يحرك شهوة الضمام . (٦) كذا في مفردات ابن البيطار . وفي الأصل « وإذا شح وانزف فضرحت » وهو تحريف .

الموضع. قالوا : وإن دُقُّ بزره مع الكُنْدُرِ وطُلي به البَهَقُ الأسودُ في الحمام أذهبه .
وإن شُرب ماءٌ ورَقِه نَقَعَ من الأَرْقَانِ الحَادِثِ ^(١) من الطَّحَالِ .

البَاذِنْجَان

قالوا : والبَاذِنْجَانُ مُكَلِّفٌ للوجه يُورِث دَاءَ السَّرَطَانِ والأورَامَ الصُّلْبَةَ . وحدثني
أبي عن أبي الحَارِثِ جُمِيزَ أَنَّهُ سمعه يقول في البَاذِنْجَانِ : لَا تَأْكُلْهُ ، لون العقرب
وشبهُ الحِجْمَةِ ^(٢) . قيل له : فقد رأيتك تأكله على خَوَانِ فلانٍ ! قال : كان مَيْتَةً وأنا
مُضْطَرٌ .

الخِيَارِ والقَشَاء

قالوا : شَمَّ الخِيَارِ نافع لمن أصابه الغشْيُ ^(٣) من الحرارة . وبِزْرُ القَشَاءِ إذا شربه
من به حُمَّى الأَمْسَى ^(٤) نفعه . وإن أصابت رَضِيْعًا حُمَّى فَأَلْقَتْ به خِيَارَتَيْنِ تَمْسَانِ جلده
إحداهما عن يمينه والأخرى عن شماله ، أقلت الحُمَّى عنه .

السَّلَقِ

قالوا : والسَّلَقِ إن دُقَّ مع أصله وعُصِرَ مائِدُهُ وغُسِلَ به الرَّأْسُ ذهبَ بالآثَرَةِ
وأطالَ الشعرَ .

- ١٥ (١) الأرقان : لغة في البرقان وهو ، كما في اللسان والقاموس وشرحه ، داء يصيب الناس يصفر منه
الجسد ، وفي الأصل « الأرقال » باللام وهو تحريف . (٢) مكلف : منير للوجه بجمرة كدرة
تلوه تسمى الكلف وتعرف بالشمس . (٣) الحجمة : قارورة الجلام .
(٤) الغشْيُ بالفتح ويضم : تسلل أكثر القوى المحركة والحاسة لضعف القلب من الجوع أو النعاس .
(٥) كذا بالأصل . ولعله « الأمر » وهو احتباس البول .

الهلبيون^(١)

قالوا : والهلبيون مُدِرُّ للبول، نافع من القولنج .

القَرع

قالوا : إذا شوى القَرعُ بالنار ثم عَصِرَ بِخَمَلٍ من مائه في أُذُنٍ من أَشْتكى أُذُنَهُ نفعه . وإن دُحِنت منابت شعر اللحية بدهن القَرع المُتَرَّى، وقَتَاءِ الحِمَارِ مُذَابًا فيه شَيْعُ^(٢) .
أَرَمَنِي- أسرع فيها نباتُ الشعر .

البَقول

قالوا : والجرجيرُ زائد في الباه والإِنْعَاطِ مُدِرُّ للبول . وتذكر الروم أن من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسَّيَاطِ هَوَّنَ عليه بعض ذلك الجَلْدِ . قالوا : وهو ينفع من دَفْرِ الإِيطِينَ إذا أَكَلَّ على الرِّيقِ وطُيَّ الإِيطَانُ بمائه . وترجم الروم أن ماءه ينفع من عَضَةِ آبنِ عَرِمٍ^(٣) .

وقال بعضُ الأطباء : إن دُرَّ زُرُّ الجرجيرِ مدقوقًا في البيض وحشي كان ذلك زائدًا في الباه والإِنْعَاطِ زيادةً بَيِّنَةً . قال أبو حاتم عن القَعْدَمِيِّ قال : أكله أعرجيًا فأعظ شهرًا، فقال الفرزدق يَفْخَرُ به :

١٥ (١) المليون : نبات ورده كورق الثبت ولاشوك له البية وله بز مدقور أخضر ثم يسود ويحمر (مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٥) . (٢) قَتَاءِ الحِمَارِ : نوع برى من أنواع القَتَاءِ . وفي الأصل «قَتَاءِ الخيل» وهو تحريف . (٣) الدفر : رائحة الإيطين الكريهة . (٤) كذا في نهاية الأرب للتوحي في باب انخفص إرواء والبقول ومفردات ابن البيطار في اسم الجرجير . وفي الأصل وردت هذه اللفظة هكذا «عضة ابن مرقس» وهو تحريف .

ومنا التيمى الذى قام آيره * ثلاثين يوماً ثم زادهم عشراً^(١)

قالوا : والسذاب قاطع لشهوة الجماع . وقالت الروم : إن أكلت امرأة حامل أربعة مثاقيل كل يوم بماء سُخْنٍ أو نبيذ خمسة عشر يوماً أسقطت ولدها .

وقال بعض الشعراء :

كم نعمة للسذاب * جليلة في الرقاب
الناس عنها غفول * إلا ذوى الألباب
فالحمد لله شكراً * لولا مكان السذاب
لغيب الأرض نسل^(٢) ال * مَغْنِيَاتِ الْقَحَابِ

قالوا : والبقلة الحقاء اذا مضغت أذهبت الطرش ، واذا أكلت أذهبت شهوة الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظر عند رؤية الهلال الى الهندباء^(٣) غف بباله القمر ألا يأكل هندباء ولا لحم فرس ، سلم في كل شهر يحلف فيه من وجع الضرس .

قالت الأطباء : الخس اذا أكل على الريق نافع لتغير الماء ومن يتأذى باحتلام . واذا شرب زره بماء بارد [قطع شهوة الجماع]^(٤) .

(١) كذا بالأصل ولم نجد هذا البيت في ديوان الفرزدق . ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلها «ثم قد زادها عشراً» أو «ثم أتبعها عشراً» أو نحو ذلك . (٢) تقدم شرح هذه الكلمة في ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمام الكلام يحتاج الى أن يكون بعد كلمة «مثاقيل» من «السذاب» أو «من بز السذاب» . (٤) في الأصل : «تغيب الأرض» . (٥) يقال : بقلة الحقاء بالاضافة على تأويل بقلة الحبة الحقاء ، والبقلة الحقاء بالنت . قال ابن سيده : هي التي تسمى العامة الرحلة . (٦) الهندباء : صفان برى وبنافى والأول أعرض ودقا من الثاني ، والبنافى صفان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآثر أدق ورد منه رى ضده مرارة (مفردات ابن اليطارج ص ١٩٨) . (٧) الكلمة عن ابن اليطار في كلامه على الخس .

قالوا : والخردل إن أُكثِرَ من أكله أَوَّرَتْ ضعفاً في البصر، وهو مُكثَرٌ
لأن مُدِرَّ للبول ، وهو نافع من الصرع . وإن أُكْتُحِلَ بمائه بعد أن يُغلى عليه
ويُصَفَّى جلا البصر الضعيف من الرطوبة . وتزعم الروم أن مائه يصلح للأطفال
من الحمى إذا أصابته . وهو يُفسد الدهن ويورث النسيان ويُضعف البصر .

قالت الأطباء : النعناع يُسكن القيء ، وينفع من التَّوَقُّع الحادث من البغم .
إذا شُرب مع التَّمَام^(١) .

وتقول الروم : الحَبَق^(٢) الذي على شطوط الأنهار نافع للرمم إذا دُق وتُحِلَّ
وأكْتُحِلَ به ، وإن مضغه ماضغاً ووضعته على عينه نفعه .

وأما القُودُنَج^(٣) النَّهْرِيّ — [فإنه] يُدِرُّ الطَّمْثَ^(٤) . وإن أُخِذَ من القُودُنَجِ الجِلِّيِّ
أَوْقِيَّةً وطُبِخَ بنصف رطل من ماءٍ حتَّى يَبْقَى الثُّلُثُ وشُربَ ، سَهَّلَ السَّودَاءَ .
وقالت الأطباء : الحَنْدَقُوقُ^(٥) يُورِثُ وَجَعَ الحَلَقِ ، ويَنَهَبُ بضرده من
يأكل بعده الكُزْبَرَةَ الرُّطْبَةَ والبَقْلَةَ الحَمَقَاءَ والمُنْدَبَاءَ .

والطَّرْحُونُ^(٦) يُؤْكَلُ مع الكَرَفِيسِ .

قالوا : والرَّاسَنُ^(٧) ينفع من قَطَارِ البول إذا كان من بَرْدٍ ، ويُقَوِّي المَنَانَةَ .

- ١٥ (١) التَّمَام : نبت ورقة كالذباب ، له بزر كالريحان ، عطرى قوى الرائحة ، سمي بذلك لسطوع
واحه . (٢) الحَبَق : نبات طيب الرائحة . (٣) القُودُنَج : نبت ، معرب عن
قودينه ، ويقال فيه : قودنج (بأعمال الدال ونهم الأول والرابع) . وأجناسه ثلاثة : برى ونهرى وجبل
ولكل منها أوصاف ونحوها مفصلة في مفردات ابن الطيار . (٤) الطَّمْث : دم الحيض .
(٥) تقدم شرح هذه الكلمة في ص ٢٨٦ من هذا المجلد . (٦) قال ابن الطيار : الفرخون :
بقلة معروفة عند أهل الشام وهي قليلة الوجود بمصر . وقال أبو حنيفة : ورقة طوان دقاق .
٢٠ (٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

قالوا : وَالْكُشُوثُ ^(١) يَذْهَبُ بِالْأَرْقَانِ .

قالوا : وَعِنَبُ الثَّعْلَبِ قَاطِعٌ لِدَمِ الْحَيْضِ إِنْ شُرِبَ أَوْ أُحْتَمِلَ .

وقالوا : الْكَرْفَسُ ^(٢) إِذَا طُبِخَ وَشُرِبَ كَانَ دَوَاءً مِنْ وَجَعِ الْكُلَيْتَيْنِ وَمِنْ الْأَمْرِ ^(٣) .

باب الحبوب والبزور

تقول الأطباء في حَبِّ الْقُلْفُلِ : إِذَا خُلِطَ بِالسَّمْسِمِ وَنُجِّنَ بِعَسَلِ الطَّبْرَزْدِ ^(٤) يَزِيدُ فِي الْجَمَاعِ .

والعرب تزعم أَنَّ الْحَبَّةَ الْخَضْرَاءَ وَشُرِبَ أَلْبَانُ الْإِبِلِ عَلَيْهَا تَبْعَثُ الشَّهْوَةَ .

قال جرير :

أَجْعَلُنِ ^(٥) قَدْ لَاقَيْتَ عِمْرَانَ شَارِبًا * عَلَى الْحَبَّةِ الْخَضْرَاءِ أَلْبَانَ إِبِلٍ ^(٦)

وَالْحَمِصَ زَائِدٌ فِي الْجَمَاعِ ، مُكَثِّرٌ لِلنِّسَاءِ ، مُحَسِّنٌ لِلْوَنِّ ، زَائِدٌ فِي لبنِ الْمُرْضِعِ ، يُدْرِي ^(٧) دَمَ الْحَيْضِ ، وَإِنْ خُلِطَ بِالْبَاقِلَاءِ أَسْمَنَ .

(١) الكشوث (بفتح وهى أفصح لغاته) قال ابن الططار : هو شئ يتعلق بالنبات مثل الخيوط

يشرب من ماء النبات الذى يتعلق به ولا أصل له فى الأرض ولا ورق ، لكن فى أطراف فروعه ثمرة

لغلاف وهو يسوق فى الشجر وتشتبك فروعه ، ويكثر فى الكروم الرطاب ، وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ .

(٢) الكرفس : (فتح أوله وثانيه وسكون ثالثه) : نبت معروف وهو من أحر البقول عظيم المنافع .

(٣) الأمر : احتباس البول . (٤) الطبرزد : السكر الأبيض . (٥) جثن : اسم

أمرأة وهى أخت الفرزدق . (٦) كذا فى لسان العرب مادة « أول » وفى الأصل : « ساربا »

بالسين والياء ، وهو مخزيف . (٧) الإبل (بكسر الهمزة وفتح الياء المشددة) : جمع إبل (بفتح

الألف وكسر الياء المشددة) (وهو الذكر من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الإفراد مع أن بكليهما يترن

الشعر ، « جمع ألبان » ، إذ لو كان واحدا لقال لبن إبل (انظر لسان مادة أول) .

الأصمعي قال : قلت لأبي عطارد : بلغني أنك أباك كان ذا منزلة من
أبن سيرين ، فما حفظت عنه ؟ قال قال أبي : قال لي ابن سيرين : يا أبا عطارد ،
إن سويق العَدَس بارد وهو يدفع الدَّم .

قالت الأطباء : إن الخردل نافع من حمى الربيع^(١) والحميات المتقدمة ووجع
الأرحام ويخفف^(٢) ... من البلغم ، ويترل الرطوبة من الرأس ، وإن أكل مع السلق
المسلوق نفع من الصرع ، وإن طلي البرص به زال .

وقالت الأطباء : الحرف^(٣) يخرج حب القرع من البطن ، وينفع من عرق النساء
ووجع الورك . وإن سخن بالماء الحار وشرب منه وزن أربعة دراهم أو خمسة
أسهل الطبيعة ونفع من القولنج .

وقال رجل من قدماء الأطباء في الباقلاء^(٤) : إنه إذا أدين أكل البصر، وأحال
الأحلام أضغاثاً لا ينتفع بها ولا يجد عابر الرؤيا إلى تأويلها سبيلاً .
ودهن الشاهدانج^(٥) نافع لوجع الأذن العارض من البرد والعلل المتقدمة منها .

- (١) حمى الربيع هي التي تأتي في البرد الرابع ، وذلك أن يجم يوماً ويترك يومين لا يجم ويجم
في اليوم الرابع . (٢) لم تبين مكان هذه القطع في الأصل فقد وقعت في أول الصفحة ولم تظهر
بالصور . وفي مفردات ابن الططار في الكلام على خواص الخردل أنه « يخفف اللسان الثقيل من
البلغم » . (٣) الحرف (بالضم) : حب الرشاد . (٤) أقرر شرحه في ص ٢٥٦
من هذا الجزء . (٥) الشاهدانج (ويقال فيه شاهدانك وشاهدانق وشهائج بغير ألف بعد
السين) : القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذو قضبان طويلة فارغة متن الرابحة
وله حب مستدير يוכל وتخذ منه حبال قوية .

باب الفاكهة

عن مَعْمَرِ بْنِ حُثَمٍ عن جَدِّهِ قَالَتْ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : إِذَا أَكَلْتُمُ الرُّمَانَ فَكُلُوهُ بِشَحْمِهِ فَإِنَّهُ دِبَاغٌ لِلْعِدَّةِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمُنْبَرِ .

الأصمعي : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : لِمَ تُبْفِضُ الرُّمَانَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ مَبْخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ بِجَمْعَةٍ .

قال : وقال يحيى بن خالد : شَيْطَانُ يُوْرِنَانِ الْقَمَلِ : التَّيْنُ الْيَابِسُ إِذَا أُكِلَ ، وَبِخَارِ اللَّبَانِ إِذَا مَجَّزَتْ بِهِ .

وقالت الأَطْيَاءُ : وَرَقُ الْخَوْخِ وَأَقَاعُهُ إِنْ دُقَّ وَعُصِرَ وَشُرِبَ أَسْهَلَ حَبَّ الْقَرَعِ وَالْدَّيْدَانَ وَالْحَيَاتِ الْمَسْوَلَةَ فِي الْبَطْنِ ، وَإِنْ صُبَّ مَاءُ وَرَقِهِ فِي الْأُذُنِ أَمَاتَ الدَّيْدَانَ فِيهَا ، وَإِنْ تَدُلَّكَ بُوْرَقُهُ بَعْدَ النَّوْرَةِ قَطَعْ رِيحَهَا .

وَحَمَاضُ الْأَرْجِ إِنْ لُطِخَ بِهِ الْكَكْفُ وَالْقُوبُ أَذْهَبَهُ . وَحَبُّ الْأَرْجِ نَافِعٌ مِنَ السَّمُومِ .

(١) مَبْخَرَةٌ : مِظْلَةٌ لِلْبَخْرِ وَهُوَ تَغْيِيرُ رِيحِ الْفَمِ . وَمَجْفَرَةٌ أَيْ أَنَّهُ يَذْهَبُ شَهْوَةُ الْجَمَاعِ . وَبِجَمْعَةٍ : يَرِيدُ يَسْرُ الطَّيْعَةَ أَيْ أَنَّهُ مِظْلَةٌ لَذَلِكَ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «وَأَيُّكُمْ وَنُومَةُ الْفَدَاءِ قَاتِنَا مَبْخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ بِجَمْعَةٍ» . (انظر اللسان والقاموس مواد بحر وجعفر وجمر) . (٢) النَّوْرَةُ (بضم النون) : حَبْرُ الْكَلَسِ ، ثُمَّ غُلِبَتْ عَلَى أَخْلَاطٍ تَصَافُ أَنَّ الْكَلَسَ مِنْ زُرْنِخٍ وَغَيْرِهِ ، وَتَسْتَعْمَلُ لِإِزَالَةِ الشَّعْرِ . قِيلَ عَرَبِيَّةٌ وَقِيلَ مَعْرَبَةٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَابْتَثْ عَلَيْهِمْ سَنَةَ قَاشُورَةٍ * تَخْلُقُ الْمَالَ كَخَلْقِ النَّوْرِ

وسنة قاشورة : مَجْدَبَةٌ تَقْشُرُ كُلَّ شَيْءٍ . (انظر المصباح المنير مادة نور) . (٣) حَمَاضُ الْأَرْجِ : مَا فِي جَوْهِهِ ، قَالَ ابْنُ الْبَيْضَارِ فِي مَفْرَدَاتِهِ قَلَّاعٌ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ الدِّينَوْرِيِّ : الْأَرْجُ كَثِيرٌ بِأَرْضِ الْعَرَبِ وَهُوَ مَا يَفْسُرُ غَرَسًا وَلَا يَكُونُ بَرِيًّا ، وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْأَعْرَابِ أَنَّ شَجَرَتَهُ تَبْقَى عَشْرِينَ سَنَةً تَحْمِلُ وَجْهَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي السَّنَةِ ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ وَرَقِ الْجَوْزِ وَهُوَ طَلِيْبٌ الرَّاحَةِ ، فَقَاحُهُ شَبِيهُ بَنُوْرِ التَّرْجَسِ إِلَّا أَنَّهُ أَلْطَفُ مِنْهُ .

ورق التفاح الغض إن دُق بالرفق أياماً خمسة أو ستة ثم صُمِد به الوشم^(١) قلعه من غير أن يقرَح موضعه .

عن الزهري قال : حدثني رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من بات وفي بطنه جَزْرَةٌ أو جَزْرَتَانِ أو ثلاثٌ أَمِنَ القَوْلَجَ والذَّيْلَةَ^(٢) " .

والفُسْتُقُ : إن دُق وشُرب بالمطبوخ الشديد نفع من لسع الحَوَامِ .

وَاللُّقَاحُ^(٣) : سمٌ ، وربما قتل آكله . وتُدفع مضرته بالقيء بالشراب والمسل والإسهال وشَمُّ الْفُقُلِ^(٤) والخردل والجندبادستر^(٥) والسذاب والتعطس .

قال وحدثني شيخٌ من الدَّعَاقِينِ عالمٌ بأيام العجم : أن بُزْجِيْهر قال لأهل الحبس : سلوا الملك أن يرزُقكم مكان الأدم الأترج^(٦) ، ليكون القشر لطيبكم ، ولحمته لفاكهتكم ، والمخاض لصباغكم ، والحب لدعنتكم . فكان ذلك أول ما عُرفت به حكمه .

(١) الذبيلة (وزان جبهة) : خراج ودمل كبير . تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً .
(٢) اللقاح (وزان رمان) : ثمرة البرج ، وهو صفر طيب الرائحة فيه حب شبيه بحب التكمثرى . والبرج صنفان : أحدهما يعرف بالأشئ ولونه إلى السواد ويقال له ويوفر أي الخس لأن في ورقه مشاككة لورق الخس إلا أنه أدق من ورقه وأصفر ، وهو زهم قليل الرائحة ينسبط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر يعرف بالذكر له ورق يضر ملس كد عراض شبيه بورق السلق ولونه كالأخضران . طيب الرائحة مع قتل ، وثأكله الرعاة فيعرض خاسير سبات وليس له ساق أيضاً ، واللقاح أيضاً : نوع من البطيخ صغير جسمه مضطرب ورائحته طيبة الهم . (٣) في ابن البيطار في الكلام على البرج أن ضرر اللقاح يصلح إلى كل الغفلن وشرب الجندبادستر والسذاب والخردل . (٤) كذا في مفردات ابن البيطار . وفي الأصل : «المجدستر» .

باب مصالح الطعام

قال رئيس من رؤساء الطبّاعين : العجينُ يملك . وفي الحديث المرفوع :
 « أَمْلِكُوا الْعَجِينَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّعِينِ »^(١) .

السَّوِيقُ : يُفْسَلُ بالماء الحارّ مرّاتٍ ثم بالبارد ويشرب .

والمِلْح : يُتَقَبَّلُ به الطَّبِيخُ .

وَالْحَلُّ : يُنَضِّجُ العَدَسَ وَيُصْلِحُهُ للأكل .

البَاقِلَى : يُنَقَّعُ ثم يُطَبَّخُ . ولا يُؤْكَلُ من الفاكهة إلا ما نَضِجَ على شجره ،
 وَيُلْقَى ثَقْلُهُ وَنَجْمُهُ^(٢) ، وَيؤْكَلُ على ريق النَّعْسِ .

والعِنَبُ : يُقَطَفُ وَيُهْمَلُ أَيْبَانًا ثم يُؤْكَلُ . ولا يُؤْكَلُ من القِنَبِ^(٣) إلا لُبُّهُ .
 ولا يُؤْكَلُ من الرأس إلا أَسْنَانُهُ^(٤) وِعْيُونُهُ .

الباذِنْجَان : يَسْقَى وَيُحْتَشَى بالملح ، ويترك ساعة في الماء البارد : ثم يَصَبُّ
 عنه ويعاد الى الماء مراراً ، ثم يُسَلَّقُ بعد ذلك .

الصَّكْبَرُ : يُؤْكَلُ بالخلّ بعد غسله بالماء من الخلّ .

الزيتون : يُؤْكَلُ وسط الطعام وَيُصَبُّ في الخلّ .

١٥ (١) ملك العجين وأملكه : محبة فأنتم محبة وأجاده . والرّيع : الزيادة . أراد أن خبز به يزيد بما يحتمله
 من الماء بلجودة العجين . (٢) نجمه : نواه . (٣) القنب : نبات متنزّح الرائحة له حب
 مستدير يؤكل ، وفي الأصل « القند » وهو سكر القصب ولا لب له والتعريف فيه ظاهر . (٤) كذا
 في الأصل ، ويحتمل أن يكون « لسانه » .

- ويؤكل من الأشتُر غَاظَ خَلِّهِ ولا يُعرض لجسده .
 والكَمَاةُ : تُصَفُّ وَيُقَشَّرُ عنها قِشْرُهَا، وتُسَلَقُ بالماءِ والمِلحِ ثم تُسَمَلُ
 بالسَعَرِ والفُلْفُلِ، وتُقَلُّ بالزَّيْتِ الرَّكَابِيِّ، وكذلك الفُطْرُ .
 السَلَقُ والكُرْبُ : يُسَلَقَانِ بالماءِ والمِلحِ، ويَصَبُّ ماؤُهُما ثم يُسَمَلَانِ .
 والبَقُولُ : تَمْسَحُ ثم تَوَكَّلُ ولا تُفْسَلُ بالماءِ .
 وأحمد الثَّوْرِيَّ الهَيْرُونَ . وأحمد البُسُورِيَّ الجَيْسِرَانُ . وما أَصْفَرَ أَحْمَدُ مَا أَسْوَدَ .
 وخير السَّمَكِ الشَّبُوطُ والبَنَانِيُّ والمِيَّاحُ . ولا يُؤْكَلُ السَّمَكُ الطَّرِيَّ إِلَّا حَارًّا
 بِالنَّحْرَدَلِ فِي الشِّتَاءِ . وفي الصَّيْفِ بِالْجَلِّ وبِالْأَبَازِيرِ . وأَقْلَ السَّمَكِ أَذَى المَحْقُورِ .
 وَشَرُّ السَّمَكِ كِبَارُهُ السَّجَارِيْسُ . وخَيْرُ السَّجَارِيْسِ البَيْضُ، [وَأَكْلُهَا] خَيْرٌ مِنْ أَكْلِ
 الْحَمْرِ، وَشَرُّهَا السَّوَدُ .

- (١) الاشتُر غَاظُ : تأريظه بالفارسية شوك الجمال ، وهو نبات حريف وخير وليس له صمغ وهو طويل الشوك تركاه الايل . (٢) السَعَرُ : نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض الى الغبرة ، ويقال له الصمغ بالصاد وهي اللغة الجيدة . والعامة تبدل السين زايًا . (٣) كذا في مفردات ابن البيطار في الكلام على خواص الكماة . وقد قل ياقوت أن هذا الزيت منسوب الى الركابية وهو موضع على عشرة أميال من المدينة ، ثم قال : وأراه وهما لأن تلك النواحي قليلة الزيت إنما يجلب إليها من الشام على الركاب فهو منسوب إليها . (٤) الهيرون : البري من التمر والرطب . (٥) الجيسران : جنس من الخمر النخل مغرب ، وفي الأصل «جيسوان» وهو تحريف . (٦) الشبوط (فتح الشين وتضم وضم الباء المخددة) : ضرب من السمك دقيق القنب عريض الوسط صغير الرأس لين المس . (٧) المحقور : الحامض المتقوع في الخل أو الماء والمِلح . (٨) السجاريس : صنف من السمك ، رأس المِلح منه إذا أُحْرِقَ قلع اللحم الزائد في القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تدمي في البدن ، ويقلع القليل (راجع مفردات ابن البيطار) . وفي الأصل : «عمارييس» وهو تحريف . وأصل الجملة في الأصل هكذا «وشر السمك كباره السجارييس وخير السجارييس البيض... الخ...» والسياق يقضي بحذف «البيض» الأولى . (٩) زيادة يقتضها السياق .

وخيرُ البَيْضِ بَيْضُ الشَّوَابِ من الدَّجَاجِ، ولا خيرَ في بَيْضِ المَريَةِ . وأخفُ
البَيْضِ الرِّقِيُّ، وأثقلُه البَيْضُ الصَّلْبُ .

ولا يُعَرَّضُ من الرِّأْسِ للدِّمَاغِ ولا لِللِّسَانِ، ولا الفَلَصَةِ^(١) ولا الخَرَّاطِيمِ .

ولَحْمُ العُنُقِ خَفِيفٌ سَرِيعُ الانْهْضَامِ . وفي الحديثِ المرفوعُ : ” العُنُقُ هَادِيَةٌ^(٢)
الشَّاةِ وهي أبعدها من الأذى “ .

والفَقَّاعُ : يُشْرَبُ قبلَ الطَّعامِ ولا يُشْرَبُ بعده .

واللَّسْبُنُ : لا يُؤْكَلُ ولا يُشْرَبُ إلا بعدَ وضعِ الشَّاةِ بشَهرٍ ونحوه .

والبَقْلِيُّ : يُؤْكَلُ بعده القُوذُنُجُ فإنه يَذْهَبُ بنَفْخَتِهِ .

اللُّوْبِيَاءُ : يُؤْكَلُ بعده الخَرْدَلُ الرُّطْبُ ، ويُشْرَبُ بعده ماءُ الرُّمَّانِ .

وَالسَّكَنْجِينُ المعمولُ بالسَّكْرِ .

الهِرَيْسَةُ : تُؤْكَلُ بالْقُلُقُلِ الكثيرِ والمُرَى ولا يُجْعَلُ فيها السَّمْنُ .

والمُضِيرَةُ^(٨) : تُطَبِّخُ بالقُوذُنِجِ والسَّدَابِ والكَرْفَسِ .

(١) الفلصة : رأس الخقوم بشواربه (عروق في الحلق) وحرقة (عقدة الحلق) . (٢) الخادية

من كل شيء : أذله . (٣) تقدم تفسيره في صفحة ٢٨٠ من هذا المجلد . (٤) الثوبيا : المائدة

والقصر، ويقال أيضا الوربا، وهو مذكر نبات معروف . (٥) السكنجين : شراب من خمر وعسل ،

ويراد به كل حلوى حامض ، وهو مرب . (٦) الهريسة : طعام يعمل من الحب المدقوق والحم .

(٧) المرى : الذي يؤتد به ، والعامية تخففه نسبة الى المرارة ، ويسمى الكاخ ، وهو عند الأطباء من

الأدوية القديمة ، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير . وقد ذكر خواصه ابن البيطار في مفرداته وداود

في تذكرته ، فراجعهما . (٨) المضيرة : اللحم المطبوخ بالبن المضراى الحامض . كان تهريرة

تسببه المضيرة فياكلها مع معارية ، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه ، فإذا قيل له في ذلك

قال : مضيرة معاوية أدام والصلاة خلف على أفضل ؛ فقيل له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدر) .

الزَيْتُ الرِّكَابِيُّ : اِنَّا خُلِطَ بِالْحَلِّ أَوْ أُغْلِيَ عَلَى النَّارِ ثُمَّ رُفِعَتْ رُغْوَتُهُ حَادٍ كَالْمَسْوُولِ . وفى الحديث : أن عمر رضى الله عنه قال : عليكم بالزيت ، فإن خِفَمَ ضَرَرَهُ فَأَخْبَنُوهُ بِالْمَاءِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ كَالسَّمَنِ .

عن عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «^(١) عَلَيْكُمْ بِالشَّجَرَةِ الَّتِي نَادَى اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ زَيْتُ الزَّيْتُونِ . أَدْهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ مِنَ الْبَاسُورِ » .

اِنْتَرَدَلُ : يُجَجَّنُ بِالْحَلِّ وَيُغْسَلُ بِالْمَاءِ وَرَمَادِ الْبَلُوطِ أَوْ رَمَادِ الْكَرْمِ مِرَارًا بَعْدَ أَنْ يُنْعَمَ دَقُّهُ وَيُحْلَهُ ، ثُمَّ يُغْسَلُ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ وَيُرَشَّ بِالْمَاءِ حَتَّى تَخْرُجَ رُغْوَتُهُ وَيَكْثُرُ حُلُّهُ ، وَيُحْلَطُ مَعَهُ اللَّوْزُ الْحُلُوُّ أَوْ مَاءُ الرَّمَانِ الْحَامِضِ وَمَاءُ الزَّيْبِ .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل
الفتوغرافى] .

ثم كتاب الطعام وهو الكتاب التاسع من عيون الأخبار لابن قتيبة ، ويتلوه فى الكتاب العاشر كتاب النساء . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خير خلقه محمد وآله أجمعين .

١٥ وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الجزري
الواعظ ، فى شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

نجز كتاب الطعام ويتلوه فى الجزء العاشر كتاب النساء .

(١) ورد هذا الحديث فى الكشاف للزغنى (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) والجامع الصغير هكذا : « عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فداودا به فانه مصحة من الباسور » .

جاء بعد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :

قال الأصمعي : دخلتُ على هارون الرشيد وبين يديه بَدْرَةٌ ، فقال : يا أصمعي ، إن حدثتني بحديث في العَجَزِ فاضحكنتي وهبتك هذه البدره ؛ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا في صحاري الأعراب في يوم شديد البرد والريح وإذا بأعرابي قاعد على أجمة وهو عريان ، قد احتملت الريح كساءه ، فالتفت على الأجمة ؛ فقلت له : يا أعرابي ؛ ما أجلسك هاهنا على هذه الحالة ؟ فقال : جاريةٌ وعدتها يقال لها سَلْبَى ، أنا منتظر لها ؛ فقلت : وما يمتنعك من أخذ كسائك ؟ فقال : الدَجَزُ يوقفني عن أخذه ، فقلت له : فهل قلت في سَلْبَى شيئا ؟ فقال : نعم ؛ فقلت : أسمى الله أبوك ! فقال : لا أسمعك حتى تأخذ كسائي وتُخَيِّمَ علي ؛ قال : فأخذته فالتقيته عليه ، فأنشأ يقول :

لعل الله أن ياتي بسلمى * فيطرحها ويلقيني عليها

وياتي بعد ذاك صحابٌ مُزِينٌ * تطهرنا ولا نسمى إليها

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره ، وقال : أعطوه البدره ، فأخذها الأصمعي

وانصرف . ١٥

(١) كذا بالأصل ، وأرقه يوقفه لغة ودية ، والقصبي : «وقته» بغير المدزة .

(٢) السحاب : النجم ، وهو اسم جنس بمعنى «ولذلك يوصف بالفرد مراعاة لقوله كقوله تعالى :

«والسحاب المسخرين السماء والأرض» والجمع مراعاة لمناه كقوله تعالى : «ويضيئ السحاب انقال»

ويعامل القمل مع معاملته مع أمثاله من أشباه الجوع فقوله : أفرغ السحاب ماء ؛ وأفرغت السحاب

ماءها . ولذلك قال : تطهرنا حل الوصف بالجمع ، ٢٠

ويُروى أن الحسن بن زيد لما ولي المدينة قال لأبن هرمة : إني لستُ كن
 بأعك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك، فقد رزقني الله بولادة نبيه عليه السلام
 المآدح وجتبي المقايح، وإن من حقه عليّ ألا أغضي على تقصير في حق ربه . وأنا
 أُنمِّم لئن أتيت بك سكران لأضربك حداً فحمر وحداً للسكر، ولأزيدن لموضع
 حرمتك بي . فليكن تركك لما لله تُمنّ عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل اليهم؛ فنَهَضَ .
 ابن هرمة وهو يقول :

نهاني ابن الرسول عن المُدَام * وأذيني بأداب الكرام
 وقال لي أصطبر عنها ودعها * لخوف الله لا خوف الأنام
 وكيف تصبري عنها وحيي * لمأجب ممكّن في عظامي
 أرى طيب الجلال على خبثا * وطيب النفس في خبث الحرام

١٠

ذكر هذا الخبر أبو العباس المبرّد في كتاب الكامل .

(١) كذا في الكامل البرد (طبع ليبزج ص ١٣٨) وفي الأمل «من» .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٦ / ٣٤٠١

I. S. B. N. 977 - 18 - 0028 - 0

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

‘UYŪN AL-AḤBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad ‘Abdullāh b. Muslim al-Dinawarī
(d. 276 H.)

Vol. III

[2nd EDITION]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1996